الاتجاهات الوطنية و القضايا الفلسطينية في شعر هارون هاشم رشيد

بحث جامعي قدم إلى جامعة جواهر لال نهرو لنيل

الشهادة ما قبل الدكتوراة

إعداد

جاويد أختر

تحت إشراف

البروفيسور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية

جامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة الهند 67

(2017)

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

Date: 25/07/2017

DECLARATION

I declare that this dissertation entitled "**Nationalist Trends And Palestinian Issues in The Poetry of Haroon Hashim Rasheed**" submitted by me in partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of Master of Philosophy from Jawaharlal Nehru University is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this university or any other University/Institution.

Javed Akhtar
JAVED AKHTAR
(Research Scholar)

Prof. RIZWANUR RAHMAN
Supervisor
CAAS/SLL&CS/JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

27/7/17
Prof. RIZWANUR RAHMAN
Chairperson
CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Nationalist trends and Palestinian issues in the poetry of Haroon Hashim Rasheed

DISSERTATION

Submitted to Jawaharlal Nehru University in Partial Fulfilment of the Requirements for the Award of Degree of

MASTER OF PHILISOPHY

Submitted by

Javed Akhtar

Under Supervision of

Prof.Rizwanur Rahman

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature & Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi -110067

2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى

والدي الرحيم وأمي الحنون وإخوتي وأخواتي

وإلى

الأساتذة والأصدقاء والأحباء

جاويد أختر

مقدمة البحث

الحمدلله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين وبعد:

مما لا ريب فيه أن نكبة فلسطين من أفدح النكبات في العصر الراهن ما احترق بنارها الملسمون و هي جرح شديد للإسلام لا يزال ينزف الدم منه، ومحنة المسلمين في هذا العصر أتت عليهم في أعقاب هجمات شرشة استهدفوا بها في أزمان مختلفة، وجاءت هذه الهجمة الشرسة من قبل الصهيونية على المسلمين تتميما لسلسلة المؤامرات والدسائس والمكايد التي أحاطت بهذه الأمة من كل جانب، هذا البحث العلمي الذي يشتمل على انعكاسات القضايا الفلسطينية وتجليات الاتجاهات الوطينة هو محاولة متواضعة لفهم هذه القضايا السياسية والاجتماعية، ومراحل تطورها في الأدب الفلسطيني، وبصفة خاصة في شعر هارون هاشم رشيد ولمعرفة وجودها في إنتاجه الأدبي تحليلا في ضوء أساليبه ومناهجه بعد ما درستها في الأدب العربي وبالأخص في الأدب الفلسطيني مع العثور على حياة الشاعر والاطلاع على ميزات أدبه.

من دون شك، أن الحس الوطني تولد عندما يتولد الإنسان و ظل يرافقه و يمر و يتطور ولكن الوطنية المتطرفة ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر بشدة أكثر مما كان معتمدا على التعصب القومي مما أوقعت الإنسانية ضحية وقتيلا باسمه، وعندما يعيث الاستعمار في الأرض فسادا و يبتلع خزائن الدول المستعمرة، فتعالت صيحات الاستقلال السياسي و بدأت تتحرر الدول بعد الدول و تخرج من قبضة الاستعمار و تنال الاستقلال السياسي ولكن فلسطين دخلت في كابوس الاحتلال الإسرائيلي ولم تخرج من ربقة الاستعمار والاحتلال بعد، فهذه الكارثة أدمت العالم العربي والإسلامي، و واجهت كل الإمكانيات الخطيرة نحو فلسطين لتدميرها واحتلال أراضيها واغتصاب ممتلكاتها وتوسيع نطاقها يوما فيوما، فكلما نالت فلسطين أسمى منزلة وأعلى مكانة وبصفة خاصة القدس حازت على

التشرف والتكريم والاحترام مالم تحصل عليه أية مدينة أخرى كما نالت من الأهوال والمحن بعد أن عبثت به أيدي الدماروالخراب.

فتأثر الأدب الفلسطيني بالكارثة الفلسطينية والنكبة الكبرى1948م و هزيمة عام 1967م وأكب الشعراء على ذكرهذه الحوادث في شعرهم كما اهتم الأدباء بكتابة الروايات والقصص و ما أعقبها من تفرق و تشتت الشعب الفلسطيني داخل الوطن و خارجه، فتفجرت قرائحهم و نطق لسانهم بالمحنة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، فصوروا مأساتهم و وصفوا المناظر الأليمة للنزوح والهجرة والتشريد والاغتصاب والانتهاك، ورسموا معاناتهم وعذاباتهم في الخيام البالية والكهوف المظلمة في صورة الشعر والنثر.

فاستولت ظاهرة الغرباء واللاجئين على المشهد الفلسطيني في تلك الفترة وبدأت تصدر سلسلة من المجموعات الشعرية بمثل هذه العناوين فصدر ديوان " المشرد" الذي عالج معاناة الغرباء وطلع ديوان " عائدون" ليوسف خطيب" و هوأول مجموعة فلسطينية تعالج مأساة اللاجئين وتخبرنا عن معاناة المهاجرين، و ديوان"مع الغرباء" و" عودة الغرباء" للشاعر هارون هاشم رشيد الذي أشعل مصباح الأمل وصدع بحق العودة، و هناك مجموعات أخرى تنطق بالجرح الفلسطيني مثلا "حيفا في سواد العيون" للشاعر حسن البحيري، و" كلمات فلسطينية " للشاعر حسن النجمي، و" فلسطين على الصليب " للشاعر معين بسيسو، فهذا هي الصبغة الشعرية الخاصة التي تجلت في الشعر الفلسطيني، و نوع من انعكاساتها الذي انعكس واضحا جليا في آداب الشعراء الفلسطينيين، ولمع هذا اللون الفريد في كتاباتهم وآثارهم أكثر بكثير.

قلما شاعر يوجد و لم يهتم بالجانب الوطني و لم يعبر آراءه في الاتجاه الوطني وعن الهوية الفلسطينية و مأساتها و معاناتها، فأصبح الاتجاه الوطني شغلا شاغلا للشعراء الفلسطينيين و قطبا يدور حوله رحى الأدب الفلسطيني فاهتم الشعراء والأدباء بقضاياها ومشاكلها ومأساتها قبل النكبة وبعدها داخل الوطن وخارجه، حتى قاوم الشعراء بشعرهم الحماسي وناضل الأدباء بأدبهم المقاوم وخطوا خطوة الشعر و ملامح الأدب حتى أصبحت فيما بعد عاملا من عوامل النهضة الشعرية في تلك الأوضاع القاسية و التي رسمها الأثر الديني والتاريخي اللذان قاما بتشكيل الملامح الشعرية في الأدب الفلسطيني و تجلي فيه الأثر الأدبي والأسطوري وانعكس فيه أيضا الانتماء القومي والاعتزاز به، كما قال الشاعر محمود درويش " سجل أنا عربي" ولم تختف فيه العوامل الشخصية و الثقافية بل تبرز فيه المؤثرات الإقليمية والأجنبية التي كانت لها دور حاسم في رسم الملامح الموضوعية. فاستلهم الشعر الفلسطيني من التراث العربي القديم على المستوى

الديني والتاريخي والأدبي واستفاد من العوامل الفكرية والسياسية والأدبية والثقافية في العالم العربي و ارتبط الشعربالعالم الخارجي بعد وقوع النكبة، وتأثر بالمذاهب الأدبية والأفكار الأجنبية.

لقد مر الشعر الفلسطيني في فترة الانتداب البريطاني بعدة مراحل، فمرحلة الغفلة إلى اليقظة هي المرحلة الأولى التي تعرضت فيها أهل فلسطين للاستعمار البريطاني، فصحا الناس من السبات العميق عندما اطلعوا على مؤامرة بريطانيا لإنشاء الوطن اليهودي، فاهتم الشعر الفلسطنيي بتلك والمؤامرات و الأحداث و التطورات التي كانت تقع في فلسطين. و نبه الناس إلى نيات الوافدين و أطماع اليهود، ثم تبدأ مرحلة الرفض والاستنكار ففي هذه الفترة نبه الشعر الفلسطيني الناس و أوقظ الحس الوطني فيهم و كشف الستار عن المؤامرات السرية للإنجليز و ندد بسماسرة الأراضي ودعا الأحزاب السياسية إلى تسوية الصراع الداخلي، و اعتنى بالطاقات البشرية والمادية، ثم تأتي مرحلة النكبة إلى النكسة ظهرت فيها صورة الخطيئة ومأساة اللاجئين الفلسطينيين ومعاناتهم في الغربة والنفي والجلاء، ففي هذه الفترة تبدو ذكريات الماضي فيه و تبرزصورة أمل العودة إلى الوطن السليب، و ظهرت المعاناة والمأساة في حياة اللاجئين في المخيمات البالية والكهوف السوداء، فعالج الشعر هذه القضايا والشؤون و اعتنى بقضية الوطن والدفاع عن حريته. وكان الطور الذي وقعت فيه الهزيمة وما أعقبها من تشريد و تهجير للشعب الفلسطيني إلى الدول المجاورة والدول الأجنبية كان أشد وأقسى وابتر فانفجر بركان الثورة و المكافحة والمقاومة، و تغير الاتجاه الأدبي و دعا الشعر بالصراحة والصدق إلى الكفاح و النضال ونفخ روح البعث والثورة في قلوب الناشئين والأبطال وحرضهم على خوض غمار الحرب ضد الاحتلال والاستعمار.

فالشاعر هارون هاشم رشيد الذي عالج قضية الوطن واهتم بمسئلة الهموم والغموم للفلسطينيين في دواوينه لأنه من الذين أوجدتهم النكبة، وأصبح من الشعراء الذين وقفوا أغلب قصائدهم على فواجعها وأحداثها، وله في شأن الخيمة السوداءوقصيدة وصف حياة اللاجئين وما يضطرم بين جوانح الفلسطينيين قصائد كثيرة.ولو نحلل دواوينه و نغربل قصائده نجد فيها صورة حياة اللاجئين ومأساتهم وعذاباتهم، ولون الغربة واللجوء والنفي والجلاء وصبغة التشريد والتهجير، فيتضح فيها حب الوطن و الحنين إليه و ساد فيها حق العودة، و عزم الرجوع إلى الأرض المسلوبة، وانعكس فيها لون من الرثاء على الشهداء والأبطال كما بدت فيها انعكاسات الغضب والمقت والحزن والأسى والأخذ بالثأر، و تنعكس الملامح الوطنية في كل شعره ويتجلى روح الاتجاه الوطني من كل بيت، أحيانا يذكر وطنه السليب و يردده و يؤكد على فكرة العودة إليه بغض النظر عن الثمن وهو الشهادة والطرد، وطورا يهتم بمأساة اللاجئين و معاناتهم وعذابات

اليتم والقهر و التشرد، ودائما يتغنى ببطولات الشهداء والأبطال في سبيل الحرية، في بعض الأحيان يسكب الدموع على الأسرى والسجناء والمعبدين في سجون الاحتلال الظالم، كما يعبر عن الغضب الشديد و المقت البالغ و الأخذ بالثأر و الانتقام، وطورا يبكي على وطنه وما حل بشعبه من النكبة ويرثي عليه. فتنوعت أساليبه التعبيرية عن القضية الفلسطينية وهموم المواطنين، فمنها ما تهتم بحياة اللجوء وأبعاده، ومنها ما تعتني بحياة المخيم وتقاصيله وآثاره، ومنها ما تركز عنايته على العودة من الخيمة إلى الوطن الأصلي.

فغنى الشاعر للوطن السليب بكل نبضات قلبه وخفقات وجدانه وارتعاشات لروحه، غنى للجبال ووديانه، لزيتونه ورمانه، لبرتقاله وأعنابه، غنى لدروبه ومتعرجاته لكل بقعة في أرضه، لكل ذرة رمل على ثراه لكل قطرة ماء تجري بين جنباته " فنداء العودة للوطن السليب، ومناجاته بحدائقه وبساتينه وجباله وكرومه وأشجاره وذكر أيام الطفولة الحلوة بين ربوع أرض فلسطين هي السمات البارزة للشاعر التي أبدعت فيه شاعريته أروع و أجذب ما غنى و أجمل و أحسن ما نظم.

أما هذه الدراسة عن الاتجاهات الوطنية و القضايا الفلسطينية في شعر هارون هاشم رشيد فهي في الحقيقة دراسة عن التجليات والانعكاسات في شعره ومحاولة متواضعة للإطلاع على أساليبه المتنوعة ومناهجه المتعددة في معالجة القضايا المختلفة والخبايا و الزوايا في شعره.

حانت مني التفاتة إلى هذا الشاعر وأعماله الأدبية عندما وقع نظري على أنشودة ثورية تدعو إلى قطع الأسلاك التي تقف بين فلسطين وشعبها رغم الحراب العدو الظالم، فبدأت أقرأ إنتاجه الأدبي فتحيرت ووقعت في الدهشة حينما اطلعت على إنتاجه الأدبي وطريقة معالجته المأساة الفلسطينية واهتمامه البالغ بالاتجاه الوطني وقضاياه. وأرشدني الأستاذ خلدون صبح في جامعة دمشق والأستاذ الزائر في جامعتنا إلى هذا الموضوع وأعطاني التوجيهات القيمة تجاه هذا الموضوع فأعجبني هذا الشاعر الكبير فأسلوبه رائع جذاب وصفه عميق وفكره ثاقب وأنه شاعر الحلم الفلسطيني وشاعر العودة وشاعر المخيم وابن أدب النكبة هذه الميزات البارزة حتى دفعتني إلى أن أقوم بتحليل هذه الاتجاهات والقضايا في شعره، ففي هذا البحث الوجيز حاولت بقدر المستطاع مني بتحليل هذه القصائد والغربلة هذه الأبيات من منظور نزعة وطنية فيها ولاكتشاف مدى وجوده هذا الاتجاه فيها. كما سيلقي هذا البحث العلمي الضوء على دراسة الشعر العربي الفلسطيني عامة وعلى شعر هارون هاشم رشيد خاصة.

ومن أهداف هذا البحث هو القراءة والتحليل والغربلة والتقييم لاتجاه الوطني في ضوء قصائد هارون هاشم رشيد، وفي هذا الشأن اعتمد كل الاعتماد على المنهج التحليلي لدراسة هذا الموضوع، حيث استنبط تجليات الاتجاه الوطني وانعكاسات القضايا الفلسطينية في أعمال الشعراء

الفلسطينيين وفي الأدب الفلسطيني عامة وهنا أخص بالذكر الدواوين والقصائد لشاعرنا هارون هاشم رشيد مع ذكر النماذج الشعرية في صدد القضايا الوطنية فيها.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب ويشتمل كل واحد منها على ثلاثة فصول، أما الباب الأول فعنونته الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية في القرن العشرين في فلسطين، وقسمته إلى ثلاثة فصول ذكرت في الفصل الأول، الأوضاع السياسية و تحولاتها ودور الثورة العرابية في العصر العثماني، وخلفية الانتداب البريطاني، وإنشاء الوطن اليهودي، وفي الفصل الثاني حاولت أن اسلط الضوء على الأحوال الاجتماعية وهيئتها وتشكيلها واقتصادها قبل الانتداب، وفي الفصل الثالث تكلمت عن الحالة الأدبية وتطورها أو المشاكل في طريق التقدم و مراقبة الانتداب والاحتلال على الفنون الأدبية.

ذكرت في الفصل الأول من الباب الثاني، حياة الشاعر ونشأته وتعليمه وتربيته، وفي الفصل الثاني تحدثت عن أعماله الأدبية ومآثره العلمية واستعرضت بعض الدواوين الشعرية له، كما قدمت في الفصل الثالث شاعريته في ميزان النقد وعيون النقاد ومكانته في الأوساط العلمية والأدبية و أقوال النقاد في شأنه.

الباب الثالث وهذا العنوان من صلب الموضوع ففي الفصل الأول من هذا الباب ذكرت القضايا الفلسطينية والاتجاهات الوطنية في الشعراء الفلسطينيين والأدباء البارزين الذين عالجوا هذه الشؤون والقضايا في كتاباتهم بأساليب متعددة و اهتموا بجوانبها المختلفة. واحتوى الفصل الثاني والثالث على الفكرة الأساسية للبحث وعالج هذان الفصلان القضايا الفلسطينية والاتجاهات الوطنية في شعر شاعرنا هارون هاشم رشيد في ضوء دواوينه و قمت بتحليل وتقييم لأعماله الشعرية في هذا الفصلين مع ذكر النماذج من أشعاره وأبياته.

لا أدعي في هذا البحث أن هذه الدراسة شاملة وكاملة من الناحية الموضوعية والعلمية وخالية عن الخطأ والنسيان، ولكنها محاولة متواضعة لإبراز هذه الاتجاهات في شعر هارون هاشم رشيد ولدراسة المأساة الفلسطينية في ضوء قصائده فلو أصبت فهو من الرحمن ولو أخطأت فهو مني ومن الشيطان.

وفي الختام، يسعدني ويغمرني الفرح والسرور أن اتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان إلى الأستاذ رضوان الرحمن الذي كان مشرفا على هذا البحث فأرشدني إلى الصواب وقام بمراجعة البحث وتحسين اللغة وتجويدها، وكما اتقدم بآيات الشكر وعبارات الامتنان إلى الأساتذة الكرام في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعتنا جواهر لعل نهرو بنيو دلهي، وكذلك أقدم باقة الشكر والإحسان إلى كل من مد يد المعونة في إعداد هذا البحث بتقديم رأي أو مشورة أو تشجيع، وهنا

أخص بالذكر الأستاذ خلدون صبح فالشكر الجزيل والامتنان العظيم له، فإنه ساندني ووفر لي بعض الكتب في هذا الصدد، وأرشدني إلى التوجيهات القيمة والآراء السديدة. وفي هذه الآونة كيف أنسى فضل أبوين الكريمين اللذين ربياني أحسن تربية، واعتنابي أشد عناية ووفرا لي كل ما احتاج في مسيرة حياتي العلمية وشجعاني على مواصلة التعليم والدراسة فلا أجد الكلمات والألفاظ للتعبير عن مشاعري وأحاسيسي وفي الحقيقة الكلمات قاصرة عن التعبير عما يجول في الضمير من عواطف صادقة ومشاعر نبيلة، فقط استطيع أن أدعو لهما كما علمني ربي" رب أرحمهما كما رباني صغيرا " وأشكر الله العليم الخبير سائلا: أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، وأن يعم نفعه للناس أجمعين، ويضعه في كفة حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون.

الباحث

جاويد أختر

مركز الدراسات العربية والإفريقية

جامعة جواهر لعل نهرو نيودلهي الهند

الباب الأول

الأوضاع السياسية والاقتصادية والأدبية في القرن العشرين في فلسطين

ليس من البحث العلمي أن يدرس الشاعر منفصلا عن بيئته التي استمد منها تجاربه، وعن الأوضاع التي استلهم منها اتجاهه، وعن الأحوال التي استوحى منها أفكاره، وعن المعاصرين الذين يعيش معهم في الحل والترحال، ويؤثر عليهم ويتأثر بهم حتى يسلك مسلكهم في التعبير عن الآراء والأفكار والاتجاهات والنظريات في الكتابات والخطابات التي تخطر ببالهم بما أنهم كانوا قد فقدوا كلهم الوطن الذي كان محببا لديهم وواجهوا الغربة أينما حلوا ونزلوا، وليس من الأمانة العلمية أن نحكم على الأديب والشاعر بدون أن نستعرض الأسباب والدوافع التي تركت بصمات عميقة في تكوين شخصيته وأثرت عليه أن يتخذ تلك الآراء والأفكار كميزة خاصة له التي يتميز بها عن أصحابه وزملاءه، والاتجاهات الخاصة التي يصوغها في قالب الشعرو النثر كعناصر غالبية له في أدبه لكي تتغلغل في أحشاء القارئين والسامعين وتكون نبراسا لمن يريد أن يسلك تلك الدروب والمسالك وهويهدف إلى تحقيق الغاية المنشودة التي هي أسمى أمانيه في حياته ولذلك ينبغي أن ندرس الأوضاع والأحوال والظروف التي نشأ فيها الشاعر والأديب وترعرع، وكذلك نقرأ الأساتذة الذين يربونه تربية دقيقة حسب ما يتطلب منهم المقتضيات والمؤهلات التي تكون أداة مهمة في تكوين شخصيته وصياغة سليمة في تربيته ولا نستطيع أن نغمض عيناه عن أصدقاءه وأحباءه الذين يقومون بدور فعال في تشكيل وجوده الهائل.

يكون بحثنا هو الاتجاه الوطني في شعرهارون هاشم رشيد الذي احتل مكانا مرموقا بين الشعراء والأدباء العرب وغيرالعرب، ونال قبولا حسنا بين العالم العربي والإسلامي بأسره، لأن له المآثر العلمية والدواوين الضخمة والروايات والمقالات الهامة التي تتجلى فيها الغربة والحنين إلى الوطن وصورة المنفى وذكر الخيمة ودعوة إلى النضال والمقاومة ونداء حق العودة والأخذ بالثأر وذكرالجبال والسهول والتلال وأشجار الزيتون والبرتقال والعبير في كلمات رنانة طنانة وهذه هي الملامح في أدبه أصبحت ميزة له أكثر من الشعراء الفلسطينين الآخرين، و أصبح هو رمزا للنضال والكفاح والصبر والمثابرة وعلامة الرموزوالخفايا التي صبغته صبغة نضالية وصورة حية لتلك الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صاغت أدبه في الثورة العارمة مما أشعلت في نفوس الفلسطينيين روح الوطنية ورغبة شديدة في العودة و زادت في الشعوربالغربة ونفخت فيهم التمرد والثورة لاستعادة أراضيهم وبيوتهم من الاحتلال الغاشم.

هذا الشاعر الموهوب هارون هاشم رشيد اهتم بالقضية الفلسطينية اهتماما بالغا واعتنى بمأساتها ونبه العالم بخطورتها ورفع صوته ضد الاحتلال الغاشم بدون خوف و تردد في المنصات العالمية ولم يكن مستعدا ولا يكون جاهزا على أن يوافق على الاحتلال ولن يرضى به بأي حال من الأحوال بل صدع بالرجوع والعودة مع إيمانه الكامل به.

لونرى عناوين الدواوين والروايات والمقالات والإذاعات له ونشاهد المضامين والموضوعات في كتاباته، فتتجلى فيها صورة الغربة والمنفى والصدع بحق العودة وألم الخيام واللجوء، ومناجاة ببساتينه وكرومه وذكر أيام الطفولة الحلوة مثلا "مع الغرباء" "عودة الغرباء" "حتى يعود شعبنا" "الرجوع " أو تنعكس فيها روح التمرد والثورة والكفاح و النضال على سبيل المثال" أرض الثورات " "غزة في خط النار" "سفينة الغضب " وما إلى ذلك وهذه الدواوين مع عناوينها تشير إلى الحنين إلى الوطن والرغبة في العودة، والدفاع عن القدس وصيانة قداستها، وأنا وجدت شخصيا عدم الاعتناء بالاتجاه الوطني في دواوين هذا الشاعر الجليل الذي أضاف إلى الأدب العربي أدبا ضخما وجعله يساير الأدب العالمي جنبا إلى جنب في مختلف الألوان والأنواع، وركزعنايته بالوطن والرجوع والعودة والغربة والمنفى، ويختلف بحثي عنما كان قام به الباحثون في شعره وأنا أثبت فرضيتي في ضوء التحليل لقصائده وأشعاره التي ستكون مثالا رائعا في النظرية الوطنية في فلسطين بصفة عامة، وفي تجليات الاتجاهات الوطنية وانعكاسات القضية الفلسطينية في شعرهارون هاشم رشيد بصفة خاصة.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في القرن العشرين في فلسطين

كان الأدب وثيق الصلة بالسياسة ولم يزل معهاعلاقة وطيدة عبرالقرون والعقود ولايزال إلى يومنا هذا وظل يرافقها دائما ولا ينفصل عنها في أية لحظة من اللحظات ولا يتخلف عنها في ساعة من الساعات بل يكون في المسايرة الدائبة معها لأن الأدب مرآة المجتمع والحياة ومهما يقع في المجتمع والحياة يتجلى ذلك في الأدب، ولذلك نستطيع أن نشاهد صورتهما في الأدب ونطلع على ما قد وقع في أي زمن من الأزمان أو يقع في زمننا هذا، لأن السياسة جزء من الحياة فتؤثر السياسة على الأدب ويتأثر بها ومن اللازم أن تدرس السياسة قبل الخوض في أي أدب لكي يكون الأمر واضحا جليا.

فلسطين هي مهبط الوحي الإلهي وأرض النبوءات والرسالات ومبعث الأنبياء والرسل وهي أرض الإسراء والمعراج التي نالت القداسة والاحترام بين المسلمين والمسيحيين واليهود، وعاشت فيها الأديان السماوية الثلاثة، وشهدت هذه الأرض المباركة عبر تاريخها الطويل أمما متعددة وشعوبا مختلفة وأحزابا شتى التي مكثت في ترابها الخصبة ونزلت فيها أقوام وأجنا س وقامت في ثراها الحروب الضارية بين السكان والغزاة التي سجلها قلم التاريخ في جبينها، وكان وضعها الجغرافي والديني والسياسي وعلاقتها القوية المتينة مع الأراضي المجاورة مهم جدا للغاية، ودليل على تطورها ومصيرها على مر الزمان، حيث كان تاريخ فلسطين من الشاهدين على أهمية موقعها في خريطة العالم من القدم، وهذا بالإضافة إلى أرضها الخصبة ومناخها المعتدل، فقد جعلهاهذا محط العيون والأنظار وعرضة للهجمات الخارجية ومحطة سلسلة دائبة من الهجرات إليها وعلى رأسها الهجرة الأشورية والكنعانية، وفي ردح من الزمن هاجم عليها اليهود عام 122 ق م وأنشأوا فيها دولة ولكنها لم تتمتع بعمر طويل وتم انقساهما إلى مملكتين مناوئين لبعضهما البعض متصارعين، وهي مملكة إسرائيل في الشمال وهوت على أيدي الأشوريين، و مملكة يهوذا في الجنوب التي عاشت ودامت ست وثلاثين سنة بعدهوية مملكة إسرائيل،[1] يقول عبد الوهاب الكيالي حول حكم اليهود على هذه الأرض المقدسة " إن اليهود لم يدخلوا إلي فلسطين إلا حقبة من الزمن ولم يحكموا البلاد إلا مدة قصيرة ناهيك بأنهم لم يحكموا سوى أجزاء فلسطين حتى في

[1] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث ص 14.

ذروة عزهم"[1] وكانت فلسطين خاضعة أيضا لحكم الفراعنة واليونان والرومان ولذلك وصل نفوذهم العسكري والسياسي إلي هذه المنطقة وتأثيرهم عليها قوية.[2]

رفرفت راية الإسلام في هذه البعقة في زمن الخليفة الثاني عمربن الخطاب رضي الله عنه عام 636 م بطلب من البطريق (صفرونيوس) الذي كان ممثل المسيحية في فلسطين آنذاك، ومنذ ذلك الحين كانت فلسطين تحت السيطرة الإسلامية التي حكمت عليها دول وجماعات وأحزاب حينا لآخر، ففي راية الإسلام شهدت فلسطين الرقي والازدهار والانتعاش حتى تأسست المعاهد العلمية والدينية وكثرت فيها الجامعات والمدارس، وولد رجال العباقرة والعلماء والمفكرين ورجال الفقه والقضاء والقيادة فيها، وكان الخلفاء الأمويون بنوا القصورالشاهقة الشامخة عندما تخضع هذه الأرض لحكمهم التي مازالت تشهد على الروعة في البناء الإسلامي حتى يومنا هذا، وتبعتها الخلافة الإسلامية من أقصاه إلى أقصاه، وكانت هذه البقعة جزءا منها التي حكم عليها خلفاءها وتشهد المساجد والآثار التاريخية في المناطق الفلسطينية على سطوتهم وجبروتهم ولكن بسوءالحظ تنتابها الاجتياح الصليبي الذي قضي على ما شيده المسلمون عبر القرون السالفة وبنيت في قراها ومدنها الكنائس والمعابد التي مازالت قائمة على بناءها، حتى ظهر القائد الباسل المغوار صلاح الدين الأيوبي على منصة الكفاح والنضال الذي اعتزم بتحريرها من الصليبيين كما حرر المشرق العربي بأسره من سيطرتهم الخطيرة التي تهدد هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة من الناحية الدينية والسياسية والاقتصادية في معركة حطين عام 1187م، وهذه المعركة أصبحت نطقة الفصل بين العالم الإسلامي والمسيحي ومرة أخرى تعرضت فلسطين للسيطرة الصليبية حتى جاء الأشرف خليل بن السلطان سيف الدين قلاوون الذي حررها منه.

وفي ظل الحكم الإسلامي تحسنت أحوال اليهود وتطورت وكانت الديارالإسلامية ملجأ لهم وموئلا، يأتون إليها كلما شددت أوروبا قبضة الوطأة والاضطهاد عليهم ولا سيما في أواخرالقرن الخامس عشروالسادس عشر، التجأ اليهود من أسبانيا وغيرها إلى المغرب العربي هاربين من محاكم التفتيش والمحاكمة حيث استقبلوا برحابة الصدروقوبلوا بالتسامح والتعاطف والتناصرولاقوا المعاملة الإنسانية الكريمة.[3]وفي ظل الوطأة والاضطهاد والمحاكمة، رغب اليهود المتمولون الغربيون في هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا، منذ ذلك الحين نشأت الحركة الصهيونية مع الهدف الأصيل إلى إيجاد دولة يهودية خارج أوروبا.

---

[1] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص17.

[2] سعدي أبوشاور، تطورالاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 10.

[3] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث،ص 20.

وكانت الدول الغربية طامعة بفلسطين أيضا لما كانت لها من أهميتها الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والدينية والغزوات الصليبية على هذه الارض شاهدة عيان على هذه الأطماع والرغائب ومداها و كانت تهدد هذه الهجمات الشرسة مصير الوحدة العربية والإسلامية، ولذلك كان الاحتلال الأجنبي خطرا على الوجود الحضاري للعرب، واعتنى الغرب وبالأخص بريطانيا بهذه المنطقة العربية اعتناء شديدا عندما احتلت بريطانيا الهند في القرن السابع عشر، ورغبت بريطانيا في السيطرة على هذه المنطقة بشكل مباشر أكثر مما كان قبل عندما غزا نابليون بونابرت على مصروفلسطين في أواخرالقرن الثامن عشرلما كانت تحمل من تهديد خطيرلمصالح بريطانيا في الهند.[1] والحق أن اعتناء بريطانيا بفلسطين والمنطقة العربية لم يعتمد على الحفاظ على الطريق التجاري للهند، وبالتالي نشرالشبكات للمواصلات العسكرية البحرية لصيانة هذا الطريق بل كانت بريطانيا تحب أن تحتفظ بهذه المنطقة لتعزيز النفوذ والسيطرة عليها وكانت لا تحب أيضا أن تقوم أية قوة حقيقية محلية تهدد مصالحها وتكون خطيرة على منافعها التجارية في المنطقة.[2]

وأصبحت فلسطين تحت حكم المغول والمماليك واحدة تلو الآخر حتى ظهر العثمانيون على المشهد الحكومي وسيطروا عليها وأخرجوهم من بلاد الشام ومصر، وهكذا بقيت هذه البقعة الواسعة المباركة تحت السيطرة العثمانية إلى أربعة مأة عام تقريبا من الفترة 1516–1918م، فغيرت الحادثتان في تاريخ فلسطين خريطة السياسة للمنطقة وهما حملة نابليون بونابرت على مصر الذي نادوا بهجرة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة لهم تحت الرعاية الفرنسية لكنه لم تتحقق هذه الخطوة وهزم في عكا كما كتب المؤرخ عبد الله التل في كتابه" خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية " إن نابليون دعا اليهود عام 1806م وحرضهم على احتلال الشرق العربي واعد إياهم بمنح فلسطين"[3] وهجوم إبراهيم باشا على بلاد الشام التي كانت ضربة قاسية إلى الحكم العثماني من ناحية وإلى التجارة الانجليزية من ناحية أخرى، ولذلك كافح الإنجليز نابليون للحفاظ على شريان التجارة في البحرو البر من سيطرة النابليون على هذه الأرض وتغلبهم عليها.

كان الإنجليز يعتبرون قناة السويس شريان المستعمرات في الشرق ولاسيما للهند المستعمرة التي هي من أهم المستعمرات، وكان لهم امتيازات خاصة مع فرنسا وروسيا وألمانيا في الشرق العربي وبصفة خاصة في فلسطين، ولم تتجرأ هذه الدول أن تستغلها عندما كان السلطان قويا مثلا

[1] عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث ، ص 22 .
[2] عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 23.
[3] عبدالله التل، خطراليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص 163.

كان السلطان سليمان القانوني أقوى من جميع الدول الأوروبية، ولذلك لم يخف من الامتيازات التجارية مع الدول الأجنبية، وفتح باب الدولة العثمانية للتجارة الأروربية، ولكن بعد مدة بدأت تستغل هذه الامتيازات التي منحت لها في زمن الحكام الضعفاء، بل أرغمتهم على التشبث بالنظام التجاري، ولذلك كان هناك التنافس الاستعماري عليها، ونظرا إلى أهمية هذه المنطقة، وقعت بريطانيا على الاتفاق التجاري مع الحكومة العثمانية عام 1838م، وبدأت بتدخل في شؤون الحكم العثماني، بطريق التجارة وبدعواها للحفاظ على الأقليات التي تسكن تحت الراية العثمانية للقضاءعليها.[1] ولكن بدأ يتطرق الضعف والفوضى إلى الخلافة العثمانية، ويدب في جسمها النحيل الشقاق والنفاق، ويتسرب إليها الذل والهوان والاستسلام والاستكانة، ويتطرق إليها الطمع والخيانة والظلم والجور، وأثخنتها جراح القومية العربية والوطنية، فلم تال المؤامرات والدسائس جهدا لإضعاف قواها ومدى سيطرتها بل للقضاء عليها، وكانت بريطانيا بالمرصاد وبذلت كل الجهود في ظل الامتيازات الأجنبية تحت الإمبراطورية العثمانية للحفاظ على الجالية اليهودية في فلسطين، وكانت تهدف أيضا إلى استقدام الجاليات اليهودية للدوافع الاستعمارية ولأجل المنافع السياسية والمادية التي تأتي بها إلى الحاكم العثماني من جراء تحفيزهجرة اليهود إلى فلسطين، وكانت قناة السويس وتعرض مصرللاحتلال البريطاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشركان لها أثرا عميقا ذا الأبعاد على استراتيجية السياسة البريطانية بالنسبة لأهمية فلسطين وموقعها الجغرافي، مما أدى إلى تزايد الفكرة لإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين تحت رعاية بريطانيا، حتى احتلت هذه الأرض المباركة زمن الحكم العثماني بعد الحرب العالمية الأولى، لأن الفوضى والثورة والتوتر أنهكته وجعلته جثة هامدة لا حراك فيه الذي لا يستطيع أن يقاوم هذه القوى المناوئة له، في غضون ذلك كان يخطط الانتداب البريطاني بتشكيل الحكومة اليهودية بسياسة خفية مستمرة و بدأ يوطأ الطرق لها وينظم الندوات والحفلات لصالحها، ومن أجل ذلك الهدف الأصيل، انفصلت فلسطين عن سوريا مع أنها لا يفصلها عنها فاصل سواء كان جنسيا أو طبيعيا أو تاريخيا، بل كانت جزءا من بلاد الشام وتابعة للإمبراطورية العثمانية،[2] ولم يراع الانتداب البريطاني إلا ولا ذما في انتهاك الحقوق والكرامة للسيطرة عليها وتشديد القبضة على شعبها والقضاء على هوية الأرض ومعالمها لكي يوفر الفرصة الملائمة لتأسيس دولة إسرائيل، بينما عني بهذه الأرض الأتراك لقداستها والإنجليزو الفرنسيون و الروس و الألمانيا وبعض الدول الأوروبية

[1] تيسيرجباره، تاريخ فلسطين، ص 35 دارالشروق، طبع عام 1998 .
[2] عبدالله التل، خطراليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص 257 -251.

لأهمية موقعها الجغرافي والاستراتيجي الهام وشريان التجارة العالمي وهو قناة السويس بالإضافة إلى غنية ترابها ومناخها.

وكان هرتزل أول شخص من كان له خطة في ذهنه بإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين، ولذلك عقد المؤتمرات في مدينة بال في سويسرا وفي لندن لتخطيط الوطن اليهودي، وذلك بشراء الأراضي من عرب فلسطين لليهود، وبتقوية الحركة الزراعية والصناعية في فلسطين وما جاورها، وبدأ هرتزل يعمل بإقامة المشروع المسمى بالشركة المالية مع الهدف إلى جمع المال لشراء أراضي في فلسطين والمناطق وما يجاورها عام 2019م، وثم لقي هرتزل بالسلطان عبد الحميد الثاني واستأذنه بأن يسمح بهجرة اليهود إلى فلسطين والعمل على إنشاء الوطن اليهودي التابع للحكم العثماني، ولكن السلطان رفض هذا الطلب رفضا باتا وحاول كل المحاولة بمنع الهجرة اليهودية، وسد إقامة المهاجرين اليهود في فلسطين أكثرمن ثلاثة شهور، ولكن الإنجليز يتصدون لكل ما تتخذه الحكومة العثمانية لسد هذا السيل العارم للهجرة، وحاول هرتزل أيضا شراء السلطان بالمال ولكنه باء بالفشل والخيبة، وبعد ذلك دبرالصهاينة لخلع السلطان عن العرش ونشروا شبكات الدسائس والمؤامرات ضد الحكم العثماني.[1]

وفي جانب آخر، هاجت عاصفة القومية العربية الهوجاء، وزادت القوى المناوئة للخلافة العثمانية في شعلتها، وتعالت صيحات العرب على ضرورة إدخال الاصلاحات التي تتعهد للعرب بمشاركتهم في الحكم والإدارة، وأدى المسيحيون العرب هم الذين نادوا بانفصال عن الحكومة التركية دورا كبيرا في مطالبة بالاستقلال والانفصال عن الحكومة التركية، وعقود المؤتمرات السرية في البلاد المختلفة للاستقلال المحلي للبلاد العربية في كل ولاية عربية، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية حتى وافق العرب على هذه المطالبة أيضا، وعندما بدأت تنتشرشعلتها ويطيرلهبها ويصل إلى بعض أجزاء الخلافة، صدر الدستور العثماني الذي يستجيب لرغبات العرب ومطالبهم للاسقلال الذاتي في بلادهم، ويعتباراللغة العربية اللغة الرسمية في الأطر الحكومية، ولغة التدريس أيضا في المدارس والمكاتيب، وتعيين القضاة والولاة في الأقطار العربية من العرب، ولكن "جمعية الاتحاد والترقي" المتحلية بالنزعة الطورانية أثارت في نفوس العرب الرغبة الشديدة في الحرية الكاملة في العراق والحجازوالشام من سيطرة الأتراك، والانفصال الكامل عنهم، وإحياء الأمجاد العربية، والمشي قدما نحو الحصول على السيادة القومية لهم، وحكمهم الذاتي في دولة واحدة تصونهم، وتكرم مقومات حياتهم، وتحترم مشاعرهم وعواطفهم وترفع شأن أدبهم و حضارتهم و لغتهم و لكن الدستور باء بالخيبة و أخفق في تحقيق المطالب لهم و تكميل رغباتهم و شعرالعرب

[1] نفس المصدر، ص 68 .

بأن مطالبهم لن تتحقق وتذهب هباء منثورا فأثارت خيبة الأمل للعرب روح التمرد و الفجيعة فيهم تجاه الترك، وتعالت الصيحات بضرورة تنظيف اللسان التركي من الألفاظ العربية أيضا، ومن ردود فعلها ونقمة العرب على الترك، بدأت الهجرات من الأحرار إلى الأقطار العربية وإلى بلاد أوروبية، وتأسست الجمعيات والمنظمات السرية التي انتقدت الإدارة التركية نقدا لاذعا وطالبت بتحقيق رغبات العرب في وحدتهم واستقلالهم، و إكرام لغتهم وأدبهم وقوميتهم، ولكن الحكومة التركية وجدت في الحرب فرصة للقضاء على القومية العربية وأحرارها وأبطالها، وانتخبت جمال باشا لقمع هذه الرغبات والمطالب لهم، وحاول كل المحاولة في إخماد هذه النار، وقام بإعدام العرب في فلسطين وسوريا ولبنان الذين يشعلون هذه النيران بين العرب وغيرها حتى تأجج شعلها في أحشاء العرب واتخذت شكلها سيلا عارما ضد الكبت السياسي والاجتماعي والاقتصادي.[1]

في غضون ذلك، قد احتل الإنجليز مصر وسيطروا على قناة السويس، ومنذ ذلك الحين فقدت الدولة العثمانية مصر، وكان الإنجليز يبحث عن حليف لهم في داخل الدولة العثمانية فوجدوا عميلا لهم إسمه الشريف حسين شريف مكة الذي كان في العداء والمناوئة للحكم التركي والذي كان له علاقة وطيدة مع بريطانيا وفرنسا على وعدها له بإقامة خلافة إسلامية خالصة، وفي جانب آخر فاز اليهود في الدسائس والمؤامرات وتم خلع السلطان بسبب الثورة التي وقعت ضده عام 1908م، ودهش السلطان عندما جاء موظف عثماني يهودي مع الأتراك وسلم إليه رسالة الخلع وكان يعرفه السلطان.[2]

ثارالشريف حسين ضد الأتراك وأرسل جيشا بقيادة ابنه فيصل مع قوات الإنجليز ودخلت القوات المتحالفة أرض فلسطين، وقامت معارك ضارية بين الجيش التركي والإنجليزي حتى انهزم الجيش التركي، وانفصلت عاصمة الأمويين عن جسم الحكم التركي، وهكذا تعرضت فلسطين للحكم العسكري الإنجليزي عام 1917 م، فقسم الإنجليز فلسطين بالناحية العسكرية إلى أربع مناطق لسهولة الإدارة، وكذلك كانت إنكلترا تعمل على تقسيم الوطن العربي بينها من جهة، وبين فرنسا وروسيا من جهة آخر دون أن يعرفها الشريف حسين والعرب.

تزداد أهمية هذه المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى اقتصاديا وسياسيا ودينيا أيضا أكثر من قبل، ولذلك كانت تتحين بريطانيا الفرص الملائمة منذ وقت طويل على سيطرتها، وحان الوقت عام 1917م، وهي السنة التي فيها احتلها الإنجليز، لأن الدولة العثمانية كانت تلفظ الأنفاس الأخيرة، ولم تستطع أن تدافع عن جولتها وصولتها وعن حوزة الأجزاء لخلافتها أمام هذه

[1] الدكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1960 – 1860، ص 25 -23.
[2] تيسير جبارة، تاريخ فلسطين، ص 86.

القوى الماكرة، وكان الإنجليز في الحاجة الماسة إلى الحليف في هذه المنطقة للحفاظ على طريق التجارة العالمي الذي ضمن صيانة مصالحها السياسية والاقتصادية، ولايستطيع الإنجليز أن يعتمدوا على الدولة العثمانية ولا العرب، ولذلك وجدوا اليهود واعتمدوا عليهم الذين يدافعون عن المصالح الإنجليزية، ووعد بلفور وزيرالخارجية البريطاني بإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين عام 1917م، كمكافئة على مساعدة اليهود لبريطانيا في الحرب، وبدأت الحكومة البريطانية بتعزيز جذور الصهاينة في فلسطين، وأعطتهم امتيازات هائلة فيها، وسهلت وطريق الهجرة لهم إليها، حتى أصبحت خزائن البلاد تحت سيطرتهم، واستحوذوا على الوظائف العظيمة،وامتلكوا المساحات الواسعة من الأراضي والعقارات فيها، وهاجرمئات الآلاف من اليهود إلى فلسطين في ظل الانتداب البريطاني، الذي يغتصب الأراضي الفلسطينية بطرق الترهيب الاستعماري، وباستخدام أداة الترويع والتخويف في نفوس الشعب الفلسطيني، وهكذا وفرت بريطانيا الفرصة السانحة لليهود لإنشاء الوطن في فلسطين رويدا رويدا.[1]

لقد أدرك الشعب الفلسطيني بالمخططات الصهيونية، ومؤامرات الاستعمار البريطاني، ولذلك خالف الفلسطينيون وعد بالفورمخالفة شديدة بالتظاهرات العنيفة والإضرابات، ورفضوا وعد بلفور رفضا باتا، وطالبوا بالاستقلال الكامل، وانعقدت الحفلات والندوات والمؤتمرات التي تطالب فيها بمنع الهجرة اليهودية، والسد لتنفيذ وعد بلفوروحق الحرية الكاملة من براثن الاحتلال البريطاني، وتأسست الجمعيات والنقابات للحفاظ على هذه الأرض من اليهود، ولم تأت هذه المجهودات بثماريانعة، بل نكل الإنجليز للشعب الفلسطيني أشد التنكيل لتضييق خناق الحرية والمظاهرة والإضراب، حتى جاءت ردود الفعل أشد مما كانت من قبل، وبدأت المظاهرات العنيفة والاشتباكات الدامية بين اليهود والشعب الفلسطيني والجنود الإنجليز التي كانت تخسر فيها الأرواح الفادحة والممتلكات الهائلة، ومارس الإنجليز أقسى ممارسة بالقتل، والنهب، والسلب، والاعتقال، والإعدم لوقف العنف الدامي، والاشتباكات العنيفة، والمواجهات الشديدة، والمكافحات الهائلة التي يقوم بها الشعب الفلسطيني للدفاع عن أرضهم ووطنهم، ولكن رجعوا خائبين، وبالعكس بدأ يشتد الغضب والكفاح والنضال، حتى قررت الحكومة البريطانية بالانسحاب من فلسطين، وتسليم زمامها إلى الأمم المتحدة التي خططت بتقسيمها في جزءين حسب ما وعد به الإنجليز بإنشاء الوطن اليهودي عام 1948م.[2]

[1] عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 287 -283 .
[2] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 266 -260 .

خاضت القضية الفلسطينية في معركة جديدة من الكفاح والنضال والمقاومة بين العرب واليهود، ومنذ ذلك الحين يقاتل اليهود والفلسطينييون ولا يزالون يتقاتلون، وهم يدعون الأرض ملكية لهم، ولقد دام هذا الصراع أكبر و أوسع، وظلت هذه المواجهة أكثرمعقدة بين الإسرائيلين والفلسطينيين في القرن العشرين مما أدى إلى الحروب المتعددة، ومئات من القتلى والجرحى، وتدميرالمنازل وهدم البيوت، وتخريب الحدائق والأراضي، وتدخل الولايات المتحدة والقوى الكبرى في هذه القضية، ولكن في الحقيقة هذا النزاع راسخ الجذور يعتمد على الادعاء القديم لذلك الجزء الصغير من الأرض بين الشعبين في قلب الشرق الأوسط.

أثارت النكبة الفلسطينية عام 1948م هزا عنيفا في العالم العربي والإسلامي بأسره، وخطت خطا فاصلا بين وقت، يسود فيه التوتروالمظاهرة والإضراب والقلق النفسي، وزمن يعم فيه القتل والنهب والقتل والإعدام والسجن والجلاء والنفي والاشتباك والمواجهة والمقاومة بأكثركثير، واستفحلت المأساة الفلسطينية بعد انهزام الخامس من حزيران عام 1967م، عندما احتل الكيان الصهيوني الضفة الغربية وقطاع غزة و شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان لسوريا، واستولى على القدس وجعلها عاصمة الوطن الصهيوني، مع ذلك لم تفتر حماسة الشعب الفلسطيني، ولم يتوان روح الكفاح والنضال وعاطفة المقاومة والمواجهة فيهم ولم يستسلموا لهذا الاحتلال، فمارس الكيان اليهودي أشد العقابات بحق الفلسطينيين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لتضييق خناق الحرية والحس الوطني وأمل العودة إلى الأرض المسلوبة، واستخدم أبشع الأدوات والوسائل للاستحواذ على الأراضي الفلسطينية الباقية وممتلكاتها ممأأدى إلى تهجيرالفلسطينيين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة أو إلى الدول المجاورة، ونكل الصهاينة أشد التنكيل بحق الشعب الفلسطيني الذين حملوا السلاح في الدفاع عن هذه الجرائم البشعة في الأراضي المحتلة ولبنان والأردن، وبالعكس أصدر البرلمان الصهيوني " الكنسيت "قانونا يبرر هذا التعذيب، والإرهاب لتشديد إجراءاتها القمعية ولم تسمح بعودة اللاجئين، ولا برجوع النازحين، بل كانت تتوسع دائرة الاستيطان يوما فيوما، ففي فترة الانتهاكات الشاملة بحق الأرض والشعب الفلسطيني، شدد الفلسطينيون مواصلة المقاومة والمواجهة ولم يبق لهم أداة ووسيلة أو شكل من الكفاح والنضال إلا استخدموه.

عم النضال والكفاح والمقاومة في فلسطين، وسادت التظاهرات السلمية ومقاطعة الإدارة العسكرية، بالإضافة إلى إرسال مذكرة الاحتجاج التي تطالب فيها بالحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني، وتخالف مصادرة الأراضي وقيام المستعمرات والوحدات الاستيطانية، فحاولت إسرائيل بقمع هذه المظاهرات، ومارست أشد العذاب والقهرمع الفلسطينيين، ولم تراع إسرائيل إلا ولا ذما في مراعات التوصيات والقرارات للمنظمات الدولية والجمعيات المختصة بحقوق الإنسان والأجهزة

الأمنية التابعة للأمم المتحدة ولكن هنا ينشأ سؤال كيف بدأ هذا الصراع بين المستوطنين و العرب؟

تحدث معظم العرب أن الإسرائيليين أنشأوا هذا الصراع بإتيان المستوطنين الأجانب إلى فلسطين واقتلاع السكان الأصليين، ويؤمن معظم الإسرائيليين بأن العرب بدأوا الصراع،لأنهم رفضوا قيام إسرائيل وحاولوا بمحوها من صفحة الأرض، ولذلك في شهرمايو عام 1948 م بعد أن أعلنت إسرائيل قيامها، هاجمت القوات من خمس دول العرب على الدولة الوليدة، ولكن هذه دول العرب انهزمت وسيطرت إسرائيل على الأراضي أكثر مما أعطتها الأمم المتحدة، ووقعت دول العرب المهزومة اتفاقية لوقف إطلاق النار، ولكنها رفضت التوقيع على اتفاقية للسلام، وقالت إن حالة الحرب جارية، و اختلطت مساحة أراضيها الباقية التي حددتها الأمم المتحدة بالأدن ومصروسمى الفلسطينيون تلك الحرب بالنكسة.

وهاجرحوالي مليون من الفلسطينيين بغيرالأراضي والبيوت إلى الدول المجاورة أو إلى الدول الأوروبية، وغادروا إسرائيل بعد أن احتلتها، ولكن بعد وقت معظمهم رجعوا من الدول العربية، ولجؤوا إلى الخيام التي تديرها الأمم المتحدة في قطاع غزة والضفة الغربية ويسكنون فيها.[1]

ما هي الأراضي المحتلة ؟

جهزت مصروسوريا قواتهما بحدودهما في يوليو عام 1967 م،آنذاك شعرت إسرائيل بالخطر منهما، فهاجمت بنفسها عليهما خوفا من الغزو والإغارة، وشارك ملك الأردن حسين في الحرب لدعم قوات العرب، ولكن بسوء الحظ هزمت إسرائيل ثلاثة قوات كلها هزيمة منكرة خلال ستة أيام، وسيطرت على أكبرمساحة أرضية منها، وسلبت إسرائيل من مصر جزيرة سيناء، ومن سوريا هضبة الجولان، ومن أردن سلبت الضفة الغربية، وهي المنطقة الجبلية تحتوي التي على القرى الزراعية وكانت تشكل إسرائيل القديمة، وكانت هي مركزا للدولة الفلسطينية في عام 1948 م، وبعد أن احتلت إسرائيل على الضفة الغربية، سيطرت إسرائيل على المناطق التاريخية في فلسطين التي هي ذات العاطفية والقداسة والاحترام بما فيها بيت لحم، حبرون، يوروشليم.

أعلنت إسرائيل بعد الحرب أن الأراضي المسلوبة ترجع كخطوة للأمن والسلام إلى الفلسطينيين سوى يوروشليم، ورفض العرب الحواررفضا باتا، وأصدرت الأمم المتحدة قرارا بناء على توصية مجلس الأمن 242 في سبتمبر، طالبت فيها إسرائيل أن تنسحب من الأراضي المحتلة وترجع إلى الحدود الموثوقة بها، ولكن رفض العرب ذلك القرار أيضا، وبعد ذلك رضيت معظم دول العرب باتفاقية 242 كاتفاقيات السلام والأمن اليوم مع مرور الزمن.

[1] www.humbleisd,net(One Land Two People) 21/07/2017 , 11 : 55.

لماذا مدينة يوروشليم تحتل الأهمية البالغة ؟

مدينة يوروشليم هي من الأراضي المقدسة مثيرة للجدل والنزاع، لأنها تعتبر مقدسة في تاريخ الأديان، ويعدها المسلمون والمسيحيون واليهود محترمة ومقدسة لديهم، وتشتمل المدينة القديمة على بعض الأجزاء المقدسة منها في الأديان الثلاثة، وصلة اليهود بيوروشليم ترجع تاريخها إلى عام 1000 ق م، عندما النبي داؤود عليه الصلاة والسلام أسس هذه المدينة كعاصمة للقبائل الإسرائيلية، وبعده بنى إبنه سليمان عليه السلام أول معبد (هيكلا) لليهود هناك، وبقي من آثارها الأخيرة من ذلك المعبد في شكل الجدار الغربي، وتبقي محترما لدى اليهود اليوم.

يعتبرها المسلمون مقدسة لهم لأن منها أسري النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى السماء لكلام الله ولقاءه في عقيدة الإسلام، وذلك الموقع رسم بالقبة الصخراء إلى جانب الجدار الغربي، والصراع الحالي على مدينة يروشليم يرجع تاريخه إلى خطة التقسيم لهذه المدينة خططتها الأمم المتحدة عام 1947م، وبالنسبة لتلك الخطة التي أعدتها الأمم المتحدة ستكون هذه المدينة مدينة دولية تشرف عليها الأمم المتحدة، ولكن في حرب عام 1948م سيطرت إسرائيل على يوروشليم الغربية من الأردن، وسيطرت الأردن على يوروشليم الشرقية بما فيها هذه المدينة القديمة.

وبقيت هذه المدينة منقسمة خلال الحرب لستة أيام، وسيطرت إسرائيل على يوروشليم الشرقية من الأردن أيضا في عام 1967م، ومنذ ذلك الحين تعتبر إسرائيل هذه المدينة التاريخية كلها عاصمة لها، حيثما ترفض الدول الأخرى باعتراف سيطرتها على الجزء الشرقي كجزء لها، فأمل للسلام الدائمي يعتمد على حل قضية يروشليم حسب ما أفاد الخبراء، وقال الإسرائيليون أن يوروشليم غير المنقسمة ستكون عاصمة لهم في جانب، وأكد الفلسطينييون في جانب آخر أن أوروشليم كانت عاصمة لوطنهم ولاتزال أبدا.[1]

خرجت المقاومة الفلسطينية من لبنان ودخلت في عدد من الدول العربية، وساد التوترالسياسي، وتفجر بركان الانتفاضة الأولى التي تغيرت في ثورة عارمة، شارك فيها آلاف من الناس ضد الاحتلال الغاشم في التاسع من ديسمبر عام 1987م، وذلك بسبب المأساة الإنسانية والويلات مما لصقت بالأرض والإنسان،وقاوم الشعب الفلسطيني الاحتلال الإسرائيلي بكل ما في وسعهم من حجارة وقضبان وأداة النضال والكفاح المرير، وأصبح الحجر رمزا للتغلب على الظلم وعلامة المقاومة ضد المحتل الغاصب، بل صار وسيلة لتحقيق الحلم بالعودة إلى الوطن، ومجد الشعراء والأدباء دور الحجر وتغنوا به، كما مجد الشاعر السوري نزار قباني الحجر و الطفل الذي يرفعه يقول:

[1] .www.humbleisd.net (One Land Two People) 16/05/2017 , 03: 20

بهروا الدنيا وما في أيديهم إلاحجارة وأضاءوا كالقنابل وجاءوا بالبشارة

قاوموا وانفجروا واستشهدوا وبقينا ديبا قطبية

صفحت أجسادنا ضد الحرارة قاتلوا عنا إن أن قتلوا [1]

جرى الحوار بين الفئات الفلسطينية وبين الصهاينة في أثناء الانتفاضة الأولى عام 1991م لحل هذه القضية في سلسلة من المفاوضات، ولكنها لم تأت بنتائج إيجابية بل هذه المفاوضات السرية والعلنية أدت إلى اتفاقية أوسلو، التي يوافق عليها الموافقون ويعارضها المعارضون، ولكن هذا الاتفاق هو الانجاز الكبير في حق المعادلات العالمية الجديدة، لأنه اعترف بوجود الشعب الفلسطيني وحق الدولة الفلسطينية مع الوجودالسياسي، ولكن تترقب هذه القضية العالمية حلا عادلا منذ ما دامت قضية معقدة وشائكة.

[1] https://www.nizariat.com/poetry.php, 17/06/ 2017, 02:55

الفصل الثاني
الأوضاع الاجتماعية في القرن العشرين في فلسطين

كان ارتباط الأدب بالاجتماع ارتباطا قويا ولا يزال به، ولم ينفصل عنه بأي حال من الأحوال، بل يسايره دائما في التغييرالاجتماعي والسياسي والاقتصادي عبرالقرون والعقود، فيتأثرالأدب بالتغييرات في المجتمع والبيئة والظروف التي تقع فيه تجلى ذلك أيضا في الجوانب الأدبية جلاء واضحا، ويرى كلود دوشيه المجتمع الذي كان سابقا على الإنتاج الأدبي " أن كل ما في النص إنما يصدرعن فعل من أفعال المجتمع " والشاعر يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، وينعكس أثره وملامحه في أعماله الأدبية التي تعبر عن مشاعره، وأحاسيسه، وأفكاره في العمل الأدبي، واستمرهذا التبادل ودأب علمه بين الأدب والمجتمع.

من اللازم أن ندرس الأوضاع الاجتماعية التي يعيش فيها الشاعر، واستلهم منها اتجاهه، واستخرج منها أفكاره قبل دراسة إنتاجه الأدبي، وتحليل مآثره الأدبية التي أعطت اتجاها جديدا للأدب العربي، أو جدد الاتجاه القديم في أسلوب نادر، أو فكرة جديدة في قالب علمي سليم.

كانت فلسطين تحت الرأية الأموية والعباسية حينا لآخر في ظل الاستقرار والأمن إلى حد، لم يتجرأ عدو من الأعداء أن يسيطر عليها عنوة، ولكن عندما جاءت هذه الأرض المقدسة تحت الحكم العثماني وأصابت الخلافة العثمانية بالبلبة والتمزيق والتفريق والاختلاف والثورة وعدم الاستقرار بعد القرن الثامن عشر وأثخنتها الجراح للقومية العربية، وكانت المؤامرات والدسائس بالمرصاد للقضاء عليها لأنها كانت سدا منيعا للدفاع عن الوطن العربي والإسلامي، ووفرت الحرب العالمية الأولى هذه الفرصة السانحة تلك القوي التي كانت ترغب في هذه المنطقة واحتلها بريطانيا وهي تهدف إلى إنشاء الوطن اليهودي في فلسطين وتشكل السياسات حسب ما أرادت ووعدت به في الندوات والبرامج التي كانت تبحث عن الوطن لليهود في فلسطين، ومن أجل ذلك أولا سمحت بريطانيا بهجرة اليهود إلى فلسطين ومنحتهم الامتيازات العظيمة وقلدتهم الوظائف الكبيرة وملكتهم المساحات الواسعة من الأراضي، بالإضافة إلى تعيين المسؤولين الكباروالضباط الذين كانوا يؤمنون بالفكرة الصهيونية، ويعملون لها وخلقوا الاضطرابات بين العرب واليهود وغرسوا روح العداوة والشحناء مما أشعل بركان الصراع ونيران الحرب حتى يكون المسلمون الفلسطينييون منعزلين من جهة، واليهود الفلسطينييون بعيدين عنهم من جهة أخرى لكي تكون هذه

المواجهة نواة واللبنة الأولى لتشكيل القيادة السياسية لليهود، وتكون مفتاحا لإنشاء الوطن اليهودي، فالمجتمع الفلسطيني تأثر كثيرا بتلك المتغيرات السياسية والتحولات الديموغرافية، وانعكس ذلك بصورة جلية على الجوانب الأدبية التي تسلط الضوء الكامل على الأوضاع والمتغيرات في مجال السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة.[1]

التحول الديموغرافي:

تزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد الاحتلال البريطاني، ولم تكن تتجاوز نسبة اليهود من إجمالي سكان فلسطين 8% عام 1914 م حسب الاحصائيات العثمانية آنذاك، وصاعدت نسبة اليهود 11.1 % من إجمالي السكان عام 1922 م، ثم بدأت أعدادهم بالتزايد في فترة الاستعمارالبريطاني بسبب موجات الهجرةالهائلة إلى أرض فلسطين إلى أن وصلت إلى 31% وقت إعلان دولة إسرائيل، وبعد الحرب عام 1967 م واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، طرد وشرد 460 ألفا من السكان الفلسطينيين، وكانت عمليات الطرد والهجرة على قدم وساق من الفلسطينيين بعد ذلك حتى عام 1979 م، وفي عام2006م أن اليهود كانوا في الأغلبية إلا أنهم صاروا متساويين مع الشعب الفلسطيني عام 1990م، وتذكر الإحصائيات أن التغييرات والتبديلات السكانية الأساسية في المجتمع الإسرائيلي بدأت بعد حرب عام 1967 م، وتسارعت وتعمقت بعد حرب عام 1973 م وكان الفلسطينييون يقاربون مليون نسمة إلى حين حرب عام 1948م وبعد ذلك بدؤوا بالتقليل والنقص بعد مرورالزمن.[2]

الهيئة الاجتماعية:

اشتملت الهيئة الاجتماعية على خمس طبقات في فلسطين عندما تعرضت للانتداب البريطاني، فالطبقة الأولى هي طبقة الفلاحين الذين يرثون الأرض ويزرعون الحبات فيها، وهي أكبر الطبقات من حيث العدد في فلسطين لأنها تحتوي على السبعين أو الثمانين في المأة من الشعب الفلسطيني تقريبا، وهي العظم الفقري للشعب والمادة الأصلية بالرغم من المشاكل والمحن والشدائد التي كان يئن تحت وطأتها الفلاح الفلسطيني بسبب السياسة الإنجليزية التي كانت تهدف إلى إضعاف الفلاح، وإرغامه من أجل التنحي عن أرضه، وبيعها لليهود إلا أنه ظل متشبثا بأرضه وكان معظم الثوارالفلسطينيين من أبناء هذه الطبقة. والطبقة الثانية تحتوي على العمال الذين يقومون بالعمل في غيرأراضيهم بأجورمحددة، وضاعفت نسبة هذه الطبقة من الحرب

[1] عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 36 .

[2] http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions , 25/ 6 /2017, 05: 30

العالمية الثانية وانكمشت فرص العمل أمامهم عندما كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ذادت، ونهبت الفرص منهم، وكان هم الفلاحون والعمال الذين تأثروا بهذا العبءالكبير، وتحملوها جسديا وماديا في الدفاع عن فلسطين في مناوأة الاستعمار والاحتلال.

الطبقة الثالثة هي طبقة البدو الذين يعتمدون اعتمادا كليا في حياتهم على الاهتمام بالمواشي وتربيتها، ولم يكن صلتهم بالأرض قوية ومتينة،لأنهم يحتاجون دائما إلى التنقل، والترحل من هنا إلى هنا طلبا للرزق، والأعشاب، والماء. والطبقة الرابعة هي الطبقة البرجوازية وهي تعتمد على الوظائف الرسمية والتجارة والأعمال الكبيرة والصغيرة والمتوسطة وأصبح النفوذ السياسي والاجتماعي لهذه الطبقة المتوسطة بعد الحرب العالمية الثانية. الطبقة العليا هي تشتمل على الاقطاعيين وكبار التجار ورجال الأعمال والأغنياء، والأثرياء، وكان هدفها الوحيد الدفاع عن مصالحها والحفاظ على منافعها حتى ولو كانت على حساب البلاد والشعب، وانعكست آثار هذا التمايز الطبقي في ديوان الشعرالفلسطيني إذا نسرح أنظارنا في الأدب الفلسطيني.[1]

وضعت بريطانيا الفلسطينيين في الأوضاع السياسية الحرجة والظروف الاقتصادية القاسية، ولم تعتن بإعمار البلاد وتنمية اقتصادها حق الاعتناء، ولم تهتم بتحسين التعليم والتربية في البلاد اهتماما بالغا فكلما نمت وتطورت الأحوال الاقتصادية فتتحسن الأوضاع في جميع المجالات، ولكن حكومة الانتداب ركزت جل اهتمامهاعلى اقتلاع الشعب الفلسطيني من أراضيهم وإخراجهم منها وإسكان المهاجرين اليهود فيها.[2]

فهناك التشريد والتهجير والنفي والجلاء والقتل والنهب والسلب والتدمير والهدم ومصادرة الأراضي والممتلكات أصبحت شيئا عاديا، وامتزج الاعتقال والسجن والتخويف والترويع بلحوم الشعب الفلسطينيي ودماءهم، وساد التوتر والفوضى والاشتباكات الدامية والمظاهرات والإضراب في المجتمع الفلسطيني، وعم انتهاك حقوق الإنسان و القمع والكبت وسلب الحقوق الأساسية وتضييق الخناق للعيش على الشعب الفلسطيني والتعذيب والتنكيل بهم ومعاملتهم كمعاملة الدواب والأنعام التي أجبرتهم على التهجير والنفي والجلاء والمغادرة والعيش في المخيمات السوداء واللجوء إلى الدول التي لاتعرفهم إلا مثلهم.

واجه الشعب الفلسطيني الظروف القاسية بعد أن هاجروا من بيوتهم ووطنهم التي يعجز البشر عما يتحملها، وسقطت هذه الآلام كصاعقة عليهم وتدهورت الأحوال والظروف بعد النكبة عام 1948م، عندما تبدلت البيوت والمباني والقرى والمدن إلى الركام والأنقاض التي شيدها

[1] سعدي أبوشاور، تطورالاتجاه الوطني في الشعرالفلسطيني المعاصر ص68.
[2] د.أحمدالساعاتي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، ص 776.

الإنسان الفلسطيني وأنفق الأموال الطائلة عليها، وحاول الكيان الصهيوني كل المحاولة أن يطمس الهوية العربية للقدس ومدنها ويقضي على الحلم بالعودة إليها وذلك باستيصال الشعب الفلسطيني، وحضارتهم التراثية ضاربة الجذور فيها من آلاف الأحقاب، فقد الشعب الفلسطيني الأرض ومصدرالرزق وأصبح لاجئا يعيش على فتات ويعتمد على الهيئات والمنظمات والمؤسسات العالمية التي تقدم إليهم الدعم المالي. قد رفض الفلسطينييون محاولات توطينهم في الدول العربية رفضا باتا ولم يرضوا بها بل خالفوا هذه المحاولات مخالفة شديدة وأصبحوا راضين بالعيش في المخيمات التي يغلب عليها طابع البؤس والشقاء محجوزين فيها.

رحبت الدول العربية بوفود المهاجرين الفلسطينيين ولكنها منعتهم من العمل فيها لكي توفر فرصة العمل لمواطنيها، فعمت البطالة وفشت في أبناء المهاجرين الذين منعوا من التوسع في مخيماتهم وتشييد المساكن مما أدى إلى الازدهام الكثيف والاكتظاظ داخل المخيمات وأجبرهم هذا الواقع المريروالبؤس المؤلم على الهجرة إلى الدول الغربية، وتركت الأحداث السياسية غيرالمستقرة بسبب الانتداب والاستعمارفي فلسطين بصمات سلبية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، و تجلى وانعكس أثرها في الحياة الثقافية بل في جميع مناحي الحياة في فلسطين.

كانت الحياة الاجتماعية في أسوء حال في قطاع غزة والضفة الغربية، ولم تكن في أحسن الحال من الدول المجاورة بل سادت الأزمات في المياه والعمل والصحة والتعليم والبيوت واللباس والشراب، ومازالت هذه المعاناة على قدم وساق، لأن هذه المنطقة كانت في الحصارالإسرائيلي، وفي قبضة العقوبات على التجارة والتعليم والصحة والعمل وما إلى ذلك، وتفاقمت هذه المأساة بعد عام 1967م واستفحلت خطورتها عندما قررت إسرائيل بتدمير المنازل والبيوت التي بنتها الوكالات الدولية للمساعدة في المخيمات الفلسطينية، وهي تدعي أن الفدائيين والثوار الفلسطينيين يلتجؤون إليها، فهذه العملية الوحشية لإسرائيل أدت إلى ترحيل أعداد ضخمة من الناس إلى العريش والمناطق الأخرى.[1]

في الواقع، تريد إسرائيل أن تشدد قبضة السيطرة على جميع الميادين المختلفة، وذلك بفتح أبواب العمل لآلاف من الفلسطينيين الذين يعملون في داخل الخط الأحمر، والإذن ببناء المساكن على الأراضي الزرعية لتخفيف حدة التوتر وزيادة الشعور بالحرية الاقتصادية، بسبب ذلك تحسنت ظروف حياتهم المعيشية وقلت نسبة البطالة وتطورمجال التعليم والصحة، ونمت بعض المهن والوظائف إلى حد ما، ولكن الأوضاع الاجتماعية بدأت تتدهور عندما اندلع بركان الانتفاضة الأولى ولذلك الكيان الصهيوني فرض القيود على التجول، وحظر مواصلة العمال أعمالهم، وقتئذ

[1] د.أحمدالساعاتي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني،ص770 .

ارتفعت نسبة العاطلين، وعندما جاءت السلطة الفلسطينية في حيز الوجود، ازداد الأمر سوءا وبدأ الاحتلال يضيق الخناق على الشعب وشدد قوانين العمل وحرية الحركة والسفر إلى الخارج عندما فاز الاتجاه الإسلامي بالانتخاب في الانتخابات التشريعة الثانية، فرضت سلطة اليهود الحظر على جميع العمال من مواصلة العمل في غزة والضفة الغربية داخل الخط الأحمر، فتزداد هذه الأوضاع مترديةً يوما فيوما، وتكثر الأحداث الدامية والفواجع البشعة التي اضطرت الشعراء والأدباء الفلسطينيين على أن يعبروا عن التمزيق والضياع والمقاومة والصراع، وأن يبكوا على وطنهم السليب وأرضهم المقدس والجبال والسهول.

أشار الدكتور أحمد الساعاتي إلى سياسة الهيمنة والقمع والكبت لليهود وبريطانيا" أن الصهيونية والاستعمار البريطاني قد أسهما بصورة مباشرة في تشكيل البناء الاجتماعي والتنظيم الطبقي في المجتمع الفلسطيني وتعديلهما، وذلك بالعمل على إشعال العداوة القبلية وتوسيع الخلافات بين الريف والمدن من ناحية، وبين مختلف الشرائع الاجتماعية والمهنية والدينية من ناحية أخرى، وذلك فقط من أجل تعميق السيطرة واستملاك الأراضي وزعزعة الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي" [1] وعلى الرغم من ذلك أن المجتمع الفلسطيني تبقى مجتمعا ريفيا يشكله الفلاحون الغالبية الساحقة إلا أن التغييرات التي بدأت في بداية القرن العشرين تواصلت وتعمقت وتعززت، وفي الوقت نفسه تبرز بصمات الحركة الصهيونية على المجتمع الفلسطيني بغاية من الوضوح.

[1] نفس المصدر، ص 772.

الأوضاع الاقتصادية في فلسطين

تمتازفلسطين بالقطن والحبوب والزيتون والصناعات الخزفية والجلدية والزجاجية، وكانت هي غنية بها عبرالقرون والعصور، ولكن هذه الانتاجات تطورت ووصلت إلى ذراها في زمن ظاهرالعمر وأحمد باشا الجزار ولاسيما كان ظاهر العمريعتني اعتناء بالغا بالناحية الاقتصادية، لتوطيد قوته وتعزيز ميزانيته لأنه كان يثق بالفلاحين وجمع الضرائب منهم، وفي زمنه كانت منطقة الجليل مشهورة في شمال فلسطين بزراعة القطن، وكان هذا النمو الاقتصادي في فلسطين قد ساعد على تطوربعض البلدان الفلسطينية، كعكا والناصرة وصفد وعرابة وشفا وغيرها.[1] وكانت فلسطين اعتمدت على الزراعة اعتمادا تاما حيث بقيت هي العظم الفقري للاقتصاد الفلسطيني واحتلت الحمصيات والقمح قائمة المواد المصدرة من فلسطين، ولايمكن إغماض العين عن الصناعة ذات الطابع الحرفي التقليدي وبصفة خاصة صناعة الصابون كما رقت صناعة الأدوات التذكارية من خشب الزيتون وصناعة الصدف، وكانت مدينة القدس مشهورة في صناعة الأحذية، بينما مدينة الخليل اشتهرت بصنع الأساورمن الزجاج ودبغ الجلود، وصنع الخزف وكذلك صناعة الحصر والأطباق لا مثيل لها، وتدفقت المنتوجات الأجنبية إلى الأسواق الفلسطينية التي كانت تربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد العالمي ورفع مستوى معيشة الناس ولكن فلسطين كانت ليست بأحسن الحال اقتصاديا وسياسيا وثقافيا تحت الحكم العثماني الأخير، ولم يظهر أي تحسن ملحوظ وتطور على حياة فلسطين الاقتصادية، ولذلك كان يتهافت الناس على الوظائف لما تجلبه لهم من النفع المادي والرشوة التي تسربت في الدوائر الحكومية كلها و المصالح الرسمية وساد الفوضى وتفشى ظلام الجهل يسود آفاق البلاد لأن السلطة العثمانية ركزت جل اهتمامها بالحصول على الضرائب للإنفاق على الجيش وتلبية الرغائب اللامتناهية للطبقة الحاكمة مما اضطر الفلاحين إلى هجرة أرضهم و تفريغ الأرض و إثقال كواهلهم وإغراقهم في الديون، ولم تهتم بالمناطق والأراضي التي كانت خاضعة لها وتنكمش بسبب الإخفاقات العسكرية المستمرة الدائمة والصراع بين الحكام الإقليميين الذين تسابقوهم في السيطرة على تلك الأراضي التابعة لهم مما أدى إلى الانحطاط الاقتصادي، وأصيبت الحرف بالركود والتجارة بالانجماد مما أدى إلى التخلف في مجال التقدم الصناعي، ووصلت أزمة الاقتصاد العثماني قمتها عندما نجحت الثورة الصناعية في تلك الفترة في أوروبا، وتغلب الاقتصاد الأجنبي على المجالات الاقتصادية كلها، فلم تهتم الخلافة العثمانية بتحسين الزراعة، ولم تركز عنايتها على تجويد الغلات ولم تطور وسائل استنبات

[1] تيسيرجبارة، تاريخ فلسيطين،ص 26.

الأرض، ليتضاعف نتاج الأرض المزروعة، ولم تسع الحكومة العثمانية أن تصلح قسما من الأرض غيرقابلة للزراعة لإضعاف مساحة الأرض المزروعة وزيادة إنتاجها، وكانت تحرث وتزرع الأرض في السنة مرة واحدة ومع ذلك أن القرويين كانوا يؤلفون 70% من مجموع السكان، بعضهم لا يملكون الأرض بل يستأجرونها، ثم يزرعونها ويدفعون لهم ثلث نتاجهم، وهناك 47% من السكان الذين كانوا مشاركين في ملكية الأرض"المشاع" ويتقاسمونها كل سنة، ولم يوجد في فلسطين" إقطاع " سوى الإقطاع الوحيد، يوجد في الأسر غيرالفلسطينية التي امتلكتها نتيجة علاقتها مع الحكام الترك واستغلال نفوذهم، ولذلك عندما تعرضت فلسطين للانتداب البريطاني الذي فتح أبواب الهجرة اليهودية تنفيذا لوعد بلفور، باعت هذه الأسر غير الفلسطينية كل ما تمتلكه لليهود بأثمان غالية مما تسبب بتشريد آلاف من الفلاحين العرب من فلسطين.[1]

هذا في مجال الزراعة، أما في مجال الصناعة فلم تعتن الحكومة في فلسطين بإنشاء الصناعات الجديدة، ولم تحافظ على الصناعات التي كانت قائمة في البلاد ولم تفكر في بقائها، ولذلك ذاد عدد البطالة وضاعف عدد العاطلين عن العمل وانخفض مستوى المعيشة ووصلت إلى أسوء حالها وأسفل درجتها عندما أصبحت أرض فلسطين ساحة الحرب بين الحكومة العثمانية و بريطانيا، وتخرب عدد من مدنها وارتفعت أسعار البضائع والسلع ارتفاعا مرهقا وغابت المواد الغذائية عن الأسواق وعانت الأسر فيها من ألوان من الضيق والضنك، الأمر الذي بدل السطة العثمانية إلى شبه المستعمرة الأوروبية تحت وطأة الديون والاحتكارات الأوروبية، و بالعكس السياسة الاقتصادية التي اتخذها الانتداب البريطاني كانت أخطر من الحياة السياسة في فلسطين، لأنها قامت بدور يضعف الاقتصاد الفلسطيني، ويقلص الحساب، فهذه السياسة أدت إلى الاستحواذ على الأراضي العربية، وذلك بتشكيل القوانين والتشريعات التي توفر الفرصة السانحة لكي يسيطر اليهود على الأراضي في فلسطين، والسماح بالهجرة اليهودية إلي القدس، وفي حين تدهورت الحالة الاقتصادية زمن الحرب العالمية الأولى، واستفحلت خطورتها إلى حد أن المجاعة والفقر والبؤس سادت في المجتمع الفلسطيني وعم الطاعون، وأصبحت الحياة لا تطاق ولا تحمل، حتى أن أحدا إذا وجد خبزا أو رغيفا كأنه وجد كنزا، وفي تلك الأوضاع الحرجة للاقتصاد، مات عدد هائل من سكان غزة بسبب الجوع والعطش.[2] واستفحلت مجاعة الفقر إلى حد في فلسطين لا ينسلخ يوم إلا اشتد الغلاء وتفاقم التضخم المالي ولا غرو إذا مات الناس جوعا وهناك عدد هائل

[1] الدكتوركامل السوافيري،الأدب العربي المعاصرفي فلسطين، ص27.
[2] تاريخ فلسطين، تيسير جبارة، ص، 22.

من المتسولين من أطفال ونساء وفتيات يصيحون جوعا في الزقاق والمدن ويتضورون عطشا وهذه المشاهد تدمي القلوب وتمزق الأفئدة.

قد وضع الانتداب البريطاني فلسطين كلها في حصار ضيق و خطط خططا لاقتصاد البلاد على أسس الهجرة اليهودية التي تضمن إنشاء الوطن اليهودي مع الهدف إلى تهويد فلسطين، ولم يال جهدا في ضرب الاقتصاد الفلسطيني من كل جوانبه المتعددة مما أدت إلى تسخير الموارد الفلسطينية الطبيعية لصالح المشروع الصهيوني بل يتمحور حول إحلال الوجود اليهودي محل الوجود العربي في فلسطين.[1] فمع بداية الاحتلال عام 1947 م اتخذت السلطات الإسرائيلية خطوات للسياسية ومناهج للإدارة تعتمد على فصل القدس الشرقية سواء كانت ماديا وسياسيا أو اقتصاديا عن بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهي السياسة تواصل عملها بها خلال العقد الأخير مما بدلت الهيئة الديموغرافية والعمرانية للمدينة وطبيعتها لكي تسهل طريقها للمستوطنات وتضم المدن بها التي وضعت عراقيل لإعادة رسم الحدود بعيدا لماكانت قبل عام 1967 م.[2]

[1] د.أحمدالساعاتي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (1918-1948) ص 756.
[2] الدكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين ص 244.

الفصل الثالث

الحالة الأدبية في القرن العشرين في فلسطين

لقد شهدت فلسطين كثيرا من التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في خضم الثورات والحروب التي ما دامت إلى مدة طولة وبقيت حتى اليوم، لقد ظلت فلسطين تحت الحكم العثماني التي كانت جزءا منه منذ القرون الطويلة و واجهت الفقرو الإهمال والتخلف في جميع مجالات الحياة، سواء كانت سياسية و اجتماعية أو اقتصادية وثقافية، وساد الجهل في فلسطين في ظل الخلافة العثمانية الأخيرة وتفشت الأمية في ربوعها حتى في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، فلم تكن توجد هناك مدارس ثانوية ولا كليات عالية ولم تكن جامعات ومعاهد موجودة في أي فرع من فروع العلم والمعرفة، ولا جامعات تؤسس ولا كليات تقام ولا مدارس تفتح، ولم يعتنى بنشر الثقافة والعرفة بل ظلمة الجهل رانت على كل جوانب الحياة، وبالعكس تشير الإحصائيات الرسمية التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية إلى غيرمدرسة ثانوية واحدة، وهي المكتب السلطاني الذي تم تأسيسه في القدس عام 1889م، وكانت هناك أيضا بعض المكاتيب والمدارس الإبتدائية ولكنها قلة العدد، وكانت لغة التدريس والتعليم في هذه المدارس باللغة التركية مع قلة الأساتذة الرسمين وقلة الطلاب فيها.[1] وهذه الأمور اثخنت الدولة العثمانية وهيئت فرصة لبريطانيا لاحتلال فلسطين الذي عمل عملا جاهدا بإنشاء الوطن اليهودي وتم الإعلان لقيام دولة إسرائيل عام 1948م وكانت المؤامرة والدسيسة على قدم وساق للسيطرة على التراب الفلسطيني كله وتم الاستحواذ عليها كاملا عام 1967م مما أجبر الشعب الفلسطيني على التشريد من أرضهم و تهجيروطنهم، فتفجر بركان الثورة والانتفاضة وبدأت الاشتباكات والحروب بين الشعب الفلسطيني ودولة إسرائيل وتستمر إلى يومنا هذا.

وانتعشت النهضة العلمية والأدبية في العالم العربي وهبت ريح العلم والمعرفة وكان احتكاك العرب بالغرب قبل ذلك، فالثورة العلمية والأدبية سادت وغمرت كل جوانب الحياة، فتقام المدارس والجامعات والكليات، وتؤسس الهيئات والجمعيات للعلم والثقافة، وصدرت الصحف والمجلات والجرائد، وبرزت الفنون الأدبية الجديدة على منصة الأدب وبدأ إرسال البعثات العلمية إلى فرنسا وإلى دول الغرب الأخرى، حتى هناك دخل السيل الجارف للعلم والعرفة في العالم العربي، ولم تكن فلسطين في الانعزال والابتعاد عن تأثير تلك النهضة الثقافية والعلمية ولم تكن الحياة الأدبية أيضا

[1] الدكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص20.

في فلسطين في تلك الظروف القاسية للاستعمار والاحتلال في قاحلة ومنعزل، بل قامت بالمسايرة والتفاعل معها وغيرت مسار الأدب الفلسطيني من جهة إلى جهة أخرى، واجتازت صعاب الجهل والتخلف والجمود الفكري في تلك الآونة التي كانت حجرعثرة في سبيل التقدم والرقي في العصر العثماني الأخير وما كان يرافقه من عراقيل وعوائق في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، وتمكنت من التغلب على الحصار الثقافي والأدبي،الذي فرضه عليه الانتداب البريطاني و الاحتلال الصهيوني قبل النكبة، وتضييق خناق الثقافة والإعلام والسياسة والغلبة على واقع الهزيمة والآلام و المعاناة التي تنبع عن تلك الآثار المؤلمة بعد نكبة عام 1948م،[1] وكانت الحياة الثقافية أصيبت بالركود الشامل في ظل الحكم العثماني الأخير، وكان الأدب العربي أحدا من أنماط تلك الحياة الراكدة خامد الجذوة لا يحمل حيوية ولا شعلة ولا حداثة ولا إنتاجية فيه بل اشتهر أدب ذلك العصر في تاريخ الأدب العربي باسم أدب عصر الانحطاط.

صور أحمد حسن الزيات في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ذلك العصر الانحطاط صورة دقيقة "صارت اللغة الرسمية التركية لا اللغة العربية ففشا في اللغة الدخيل، وزاحمتها العامية والتركية في الدواوين وذهبت أساليبها من النظم النثر وتمكن الذل من النفوس فخمدت القرائح ونضب معين العلم، واطمأنت الكتب في الخزائن فلم يزعجها إلا إشعال الأرضية في صفحاتها، وضرب الجهل على أبصار الشرقيين فعموا وفدحتهم أعباء الذل فرزحوا وطال عليهم الأمد فغشاهم النعاس وخيم عليهم الظلام فلم يستيقظوا إلا بمدافع النابليون".[2]

حاول العثمانيون جاهدين أن يصبغوا المسلمين بالصبغة التركية مع التزامهم بالثقافة الإسلامية، واتسم حكمهم بالاستبداد والطائفية والقومية والعنف في القرون الأخيرة مما أثرت على الإنتاج الأدبي شعرا كان أو نثرا، وتجلت فيه سمات هذه الظواهر التي أفسدت ملكة اللسان وجمدت القرائح، و انكمشت البيئة الأدبية انكماشا ملحوظا في دائرة شعر التصوف و المدائح النبوية والمدح باللغة العربية والفارسية أو بالتركية والعربية و هكذا نال الأدب العربي ما نال الواقع السياسي وامتلأ بركاكة الأسلوب سخافة المعاني كثيرة الأغلاط وضعف الأغراض.

فتحت حملة نابليون على مصرعام 1798م آفاق الحركة العلمية والأدبية والثقافية التي نفخت في هذه الجثة الهامدة للأدب العربي روح التطور والنهجة والحيوية والإبداعية، وأثارت الثورة العلمية والأدبية الهائلة في العالم العربي بأسره، وذلك بفتح الجامعات والكليات والمدارس والتعريف بالطباعة والصحافة، والتمثيل والمجامع الأدبية التي كانت لها مساهمة فعالة ودورملموس في

[1] الدكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين ص 65.
[2] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 307.

تطوير العلم والأدب والثقافة، وأخذت هذه النهضة المباركة تنمو رويدا رويدا حتي وصلت لهبها إلى بلادالشام والعراق ولبنان، وهكذا دخل العالم العربي في النهضة العلمية والأدبية وساهم في إثراء الأدب العربي وجعله مسايرة الآداب العالمية، وظهرت ألوان من الأدب على منصة الأدب العربي مثلا الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والنثر والشعرالعربي في ثوب قشيب.[1]

لم تعترف الأوساط الأدبية الأدب الفلسطيني بذاته بل اعتبرته تابعا للأردن وبلاد الشام، لأن فلسطين لم تكن كيانا جغرافيا حتى الحرب العالمية الأولى ولم تكن كيانا مستقلا ولذلك تأخرت النهضة الأدبية والثقافية في فلسطين عما شهدت مصرو لبنان في ظل انبعاث الأدبي والثقافي في العصرالحديث. يقول الدكتورسليمان جبران" الشعرالفلسطيني بمعناه الوطني الدقيق لم يكتب قبل مطلع القرن العشرين وشعر القرن التاسع عشر وإن كتبه شعراء فلسطين إلا أنه لا يمثل مجتمعا فلسطينيا ولا يتجلى فيه الإنتماء الفلسطيني" ولكن نبيه القاسم لم يتفق مع هذا الرأي وقال " إن النهضة الأدبية والثقافية الفلسطينية بدأت في القرن التاسع عشر ليس في الشعر فقط بل إنما في المدارس والإرساليات والمطابع والصحف والجمعيات والنوادي والحركات السياسية والمؤلفات العديدة في مختلف المواضيع شعرا أو كان نثرا لايعكس هموم المجتمع الفلسطيني الذي لم يتطور بعد".

تطورذلك الأدب الذي يعبرعن الوطن الفلسطيني والقضية الفلسطينية والصراع بين الشعب الفلسطيني والصهيوني الاستعماري شعرا كان أو نثرا خلال القرن العشرين، وتبلور فيه الوطن الفلسطيني وهويته وما كان يرافقه من الصراع على البقاء والحرية من السلطة البريطانية والاحتلال الصهيوني مما أدى إلى زيادة الوعي السياسي والاجتماعي بالإضافة إلى الوعي الفكري والثقافي وتوسع نطاق التعليم وانتشار شبكة المدارس الرسمية والأهلية.

لقد دخل الأدب الفلسطيني في مرحلة النهضة الثقافية، والأدبية الكاملة،مع أنها لم تكن وحدة جغرافية وديموغراطية مستقلة بذاتها عن سائرالأقطار العربية المجاورة حتى القرن العشرين، ثم بدأ الأدب يلفت أنظار أدباء العالم إلى أدباء الأرض المحتلة للتعرف على الأدب والثقافة في هذه الأرض، ومن أجل ذلك تأسست الجامعات العربية والأجنبية،وفتحت أبوابها للاطلاع على مزيد من الدرس وقد دخل أول مطبعة في فلسطين عام 1830م وذلك بفضل الإرساليات المسيحية، ولكن تأسس أول مطبعة وطنية في مدينة حيفا عام 1908م بيد "باسيلا الجدع" الذي أعطى فرصة سانحة لظهوربعض المطبوعات الأدبية وشبهها، وبرز أول مجلة قصصية شهرية بيد "بندلي بياس مشحور"على منصة المجلات العربية الفلسطينية عام 1924م التى هيئت الفرصة

[1] كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين، ص 67 .

لظهور المجلات التقليدية والثقافية المتعددة والتي نالت قبولا حسنا بين الناس والأوساط العلمية والأدبية، وعني بنشر كتابات المثقفين الفلسطينيين والأدباء والشعراء الذين كانوا مناصرين للقضية الفلسطينية.[1]

يمكن أن ينقسم الأدب الفلسطيني في أربعة مراحل:

ظهرت فيها ملامح الإبداع الفلسطيني الحديث فالمرحلة الأولى تبدأ مع بداية القرن العشرين حتى عام 1948م تجلى فيها الاتجاه الإنتمائي الذي يتعلق بملامح الأدب العربي والانتماءإليه، وهذا الاتجاه برز في فن الشعر لا في الرواية والقصص القصيرة، ثم تبدأ المرحلة الثانية وهي الفترة من 1948م إلى عام 1967م التي ظهر فيها الاتجاه الرومانسي والفرار من الواقع الحرج وتجلى هذا في بعض الروايات في ذلك العصر مثلا "صراخ في ليل طويل" لجبرا إبراهيم جبرا و "وحدي مع الأيام " لعبد الحميد ياسين و "عابروالسبيل " لنجوى قعوار فرح، ثم تأتي المرحلة الثالثة وتبدأ من 1967م إلى بداية الانتفاضة الأولى عام 1987م والتي فيها تبلورت الأحداث والوقائع وتولدت الأفكار و والآراء التي تجلى فيها الاتجاه الواقعي النقدي، وفي الأخير تأتي المرحلة الرابعة من عام 1987م إلى يومنا هذا وهذه الفترة تعبرعن انتفاضة الحجارة والمقاومة والكفاح والنضال.

لقد امتازت الحياة الأدبية ما كانت في فلسطين قبل النكبة عام 1948م بعلاقتها الوطيدة مع الحياة الأدبية في العالم العربي ولاسيما مع الدول العربية التي جاورتها مثل سوريا ومصر ولبنان والأردن مما وفرته لهم من أسباب النهضة العلمية والثقافية وأثرت هذه العلاقة القوية على حياة الشعب الفلسطيني مما ركزت عناية الفلسطينيين بالتيارات الأدبية التي كانت تهب ريحها واطلاعهم على عواملها ودوافعها والتقييم بها.

ظهرالشعرالفلسطيني في قالب جديد بعد الاحتلال البريطاني واهتم بقضية بلاده وهموم شعبه اهتماما بالغاعلى المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والعسكري، وصار مصدرا أساسيا للتاريخ السياسي والنضالي والاجتماعي في فلسطين حيث الموضوعية والفكرية والفنية، حتى عالج جميع الجوانب التي برزت على الساحة الفلسطينية قبل النكبة وبعدها وتعامل مع القضايا التي لم يعتني بها من قبل على المستويات كلها سواء كانت إقليمية وقومية أو دولية بأبعادها السياسية والنضالية والإنسانية المختلفة، واعتنى الشعرالفلسطيني بالواقع الجديد الذي تعرضت له فلسطين وشعبه منذ أن احتلها الإنجليز، وحدد الهدف للتصدي للدفاع عن الوطن العربي والحفاظ على حرية البلد والقضاءعلى الاحتلال مهما كان نوعه، وبرزت المضامين الجديدة

[1] كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر ص 30-29.

على سماء الشعر الفلسطيني للقيام بدور في الدفاع عن أرضه ووطنه بشعره وروحه، ونفخ روح الوطنية في قلوب الناس والبعث على الحماسة والغيرة في نفوسهم والدعوة إلى الدفاع بالمال والنفس والأولاد، وقام الشعرالفلسطيني بدوره القيادي بعد النكبة حينما بدأ التقييم بأسباب الهزيمة وساند الثورات العربية ضد الاستعماروالاحتلال بالإضافة إلى الاشادة بالثورات العالمية ضد الاستعمار بمختلف أنواعه وألوانه في أنحاء العالم مما أدى الشعرالفلسطيني إلى الاتجاه القومي ثم الأممي.[1]

واعتبرالشعرالفلسطيني التغني بجميع القضايا الكفاحية والنضالية في الوطن العربي وفي الدنيا هي في الحقيقة التغني بالثورة الفلسطينية التي مازالت في النضال الدؤوب لمكافحة الاستعمار والاحتلال، ولم تفترحماسته بعد النكسة عام 1967م بل واصل دوره في مجال السياسة والأدب على المستويات الوطنية والقومية والعالمية كلها، وشارك في المقاومة الفلسطينية بشعره الحماسي والثوري الذي يحمل روح الكفاح والنضال وشعلة المقاومة والمثابرة ضد الاحتلال مهما كان لونه ونوعه، ولم يال جهدا في مفاوضات السلام الفلسطينية مع إسرائيل أيضا التي تشدد الخناق على الحياة والعيش، وتنتهك قانون الدول العالمي.

لقد تأثرالأدب الفلسطيني بالقضية الفلسطينية وهذا تجلى في جميع الفنون الأدبية والثقافية الذي مثل أبعاد القضية الفلسطينية وملابساتها وأحداثها، وتابع ألوانا من الشدائد والمعاناة التي واجهها الشعب الفلسطيني قبل النكبة وبعدها على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنضالي، ونما وتطور مع تطورالأحداث والأوضاع وحدد موقفه منه اجتماعيا وسياسيا مع الاهتمام ببث روح الوطنية في القلوب والحماسة للدفاع عن الأرض، وكان الشعر الفلسطيني يمثل دورالموجة والغضب والمعاناة في الفترة 1939م-1946م، ويتعامل مع ظروف الشعب والوقائع التي كانت تحدث في المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال، فكان الأدب مزيجا من الحزن والغضب والتمرد والقلق، وتغيرت وجهة الأدب بعد النكبة وانتقلت من موقف الهزيمة إلى الثورية التي تكون فيها الحزن والغضب والانفعال حتى اتخذ الشعر شكلا أكثر واقعية والتزاما، ولكن الموقف تبدل تماما بعد النكسة عام 1967م و دخل في شكل الثورة المسلحة التي تحمل روح الكفاح والنضال وعاطفة المقاومة والمثابرة ضد الاحتلال فبرز شعر المقاومة، شارك الأدباء والشعراء والروائيون والكتاب والمثقفون في هذه المقاومة والكفاح المسلح مع الإشارة الواضحة إلى أن الأدب الفلسطيني قد خرج من الدائرة الإقليمية، ودخل في المرحلة أكثربعدا وذلك بتوعية الشعب سياسيا ونضاليا

[1] د. كامل السوافيري،الأدب العربي المعاصرفي فلسطين ، ص 75-73.

ونفخ روح الحماسة والوطن في قلوب الناس وإثارة العاطفة للدفاع عن أراضيهم ووطنهم مع المسايرة للفترات الكفاحية في فلسطين والتغني ببطولات المقاومين.[1]

تطورت هذه الفكرة النضالية في الأدب الفلسطيني ودخلت في المرحلة التطورية الجديدة عندما أحس الشعراء بضرورة الالتصاق بهذه القضية مع الالتزام بالقضايا الوطنية والتحررية على المستوى الإقليمي والعربي والدولي والمساندة لجميع الحركات التي تطالب الحرية ضد الاستعمار، تطورالأدب الفلسطيني في أبعادها الموضوعية والفكرية تطورا ملحوظا في هذه الفترة، ونال تقدما هائلا في جوانبها الفنية وتأثربالمذاهب الأدبية والاتجاهات الحديثة التي سادت في الغرب، وهبت رياحها على العالم العربي التي غيرت وجهات الجانب التقليدي إلى نفحات الرومانسية، وبدأت خلال القرن العشرين على يد إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي وهذه الرومانسية أخذت تنمو بسرعة فائقة خاصة بعد النكبة بسبب العوامل المختلفة المتعددة سياسية واجتماعية وثقافية، فبرزت الموضوعات الجديدة بأساليب جديدة وصورجديدة وموسيقى جديدة التي تحمل في طياتها صدق الإحساس وطغيان العاطفة وسعة الخيال وتنوع الصور وحيوية اللغة ومإلى ذلك، وظهر الاتجاه الواقعي في الشعرالعربي بشكل بارز الذي رافق الرومانسية ولعل الشعراء الفلسطينيين كانوا أكثر تأثرا بالاتجاه الواقعي نتيجة لتلك الأوضاع السياسية والأحوال الاجتماعية التي يعيشونها داخل الأرض المحتلة.[2]

أساطين الأدب الفلسطيني في القرن العشرين:

لقد انجبت فلسطين الأدباء والشعراء والمثقفين والكتاب البارزين الذين قاموا بدورفعال في خدمة اللغة العربية وآدابها، وساهموا مساهمة ملحوظة في تطوير الأدب العربي ولم يالوا جهدا في تطويره، بل بذلوا كل غال ورخيص في مسايرته لجميع الآداب العالمية، وشهدت هذه الأرض المقدسة تطورات هائلة في مجال الشعر والنثر والرواية والقصة القصيرة والصحافة ومإلى ذلك مما أدى إلى أن يحتل الأدب العربي مكانا ساميا بين الآداب العالمية، فتلألأت نجوم الشعراء الموهوبين والكتاب البارزين على سماء الأدب الصافي، وطلعت كوكبة المثقفين والروائيين على أفق اللغة العربية خلال القرن العشرين في فلسطين، فبعضهم ولدوا في زمن الانتداب البريطاني وبعضهم في الاحتلال الإسرائيلي، وواجهوا الشدائد والمشاكل وعانوا من الفقر والجوع وقلة التسهيلات للحياة، و تعرضوا للاعتقال والحبس والجلاء والنفي والاضطراب النفسي والقتل والنهب

[1] الكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين ، ص 75-73 و 56 -54 .
[2] د.كامل السوافيري ، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين ، ص 84 -81 .

والهدم مع ذلك أنهم قاموا بخدمات جليلة في مجال الأدب العربي فيحلو لي هنا أنا اسلط الضوء هنا على بعض الشعراء المشهورين و مآثر بعضهم منهم.

ظهرإبراهيم طوقان (1941م –1905م) وهوالشاعر الفلسطيني والكاتب الكبير على منصة الأدب العربي وقرض الشعرالوطني والإنساني الجيد مما كان نشره في المجلات والصحف العربية، وكان ينظم الشعر الوطني بما كان يحمله صرخات حافزة ونارا مشتعلة، وله قصيدة " ملائكة الرحمة " ومن أشهر قصائده "الثلاثاء الحمراء".[1]

وتولدت شاعرة ذاع صيتها في أنحاء العالم وهي فدوى طوقان (2003م–1917م) التي كانت من أهم الشاعرات في فلسطين في القرن العشرين التي مثلت في شعرها التجارب الأنوثية في الحب والثورة، وصورت فيها تمرد المرأة على المجتمع، وكان ديوان لها " وحدي مع الأيام " وكذلك " وجدتها " وغيرها.

برزكثيرمن الشعراء والأدباء الذين كان لهم البراعة واليد الطولى في كثيرمن المجالات وكان الشاعر العملاق جبرا إبراهيم جبرا واحدا منهم (1994م–1920م) فظهر على الساحة الأدبية وعالج الرواية والشعر والنقد وبالأخص فن الترجمة واعتنى بالأدب كإداري في مؤسسات النشر، ولذلك يعد أكثرإنتاجا وتنوعا بين الأدباء العرب، وكان له من الروايات " عالم بلا خرائط " " السفينة " و" صراخ في ليل طويل " ومن الدواوين له " تموز في المدينة " و"لوعة الشمس".[2]

كان الشاعرالكبير سميح القاسم (2014م–1939م) يعتبرمن أشهر الشعراء الفلسطينيين الذي احتل مكانا ساميا بين الأوساط الأدبية والعلمية، ونال قبولا حسنا بين العالم العربي لأن كان له علاقة وطيدة مع شعرالمقاومة وشعر الثورة، وبلغت مؤلفاته أكثرمن سبعين فيها الروايات والدواوين والقصص والمقالات، ومن دواوينه:" دخان البراكين" " أغاني الدروب " " مواكب الشمس" " سقوط الأقنعة " و" ديوان الحماسة".

محمود درويش (2008م–1941م) كان من أساطين الشعراء الفلسطينيين ويعد أشهروأشعر الشعراء الذي كان له دوي هائل بين الأوساط العلمية والأدبية، وكان له براعة شعرية في الشعرالعربي الحديث، ويمتاز من بين المعاصرين بأنه أدخل الرمزية في شعره ما يتجلى فيه امتزاج ملامح الحب الشديد بالوطن، وارتبط إسمه بشعرالمقاومة والثورة له دواوين شعرية امتلأت بالمضامين الجديدة ومفعمة بالمعاني ذات الأبعاد مثلا:

" أقول لكم " " أوراق الزيتون " " يوميات الحزن العادي " " حبيبتي تنهض من نومها "

[1] د. محمد محسن عبدالله، إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره، ص3.

[2] كتاب في جريدة، عدد رقم 99، بيروت لبنان، تشرين الثاني عام 2006 .

" هي أغنية " وله بعض المقالات والحوارات الصحفية.

فن الرواية والقصة في فلسطين:

لقد تعرف الشعب الفلسطيني بفن الرواية والقصة القصيرة قبل القرن العشرين واطلعوا عليها ولكنها دخلت في فلسطين مع بداية القرن العشرين وأخذت تنمو وتزدهر فيها، وصدرأول رواية فلسطينية" الوارث"عام 1920م كتبها خليل بيدس الذي يعتبر الروائي الأول ورائد القصة في المشرق العربي حيث ذاع صيته وأخذ يترجم الأعمال الأدبية والمقالات إلى اللغة العربية وينشرها في مجلة " النفائس " عام 1908م في حيفا، فكان هذا وسيلة الارتباط الوثيق بين الأدباء والكتاب الفلسطينيين وبين المؤسسات الثقافية العالمية مما أثارتوعية ثقافية في فلسطين مع بداية القرن العشرين.[1]

وكانت الرواية والقصة القصيرة مرت بمراحلها التجريبية قبل عام 1948م وكانت في حاجة إلى الوقت لترسيخ جذورها، فتظهر رواية "مذكرات دجاجة " لإسحاق موسى الحسيني على المنصة الأدبية التى وطدت جذور الرواية في فلسطيين، وخلال الفترة عام 1967م–1948م فتأثر فن الرواية بعدد هائل من التجارب في العالم العربي، فتلألأت نجوم من الكتاب البارزين والشعراء العظام على سماء الأدب العربي وشاركوا في تقديم عجلة فن الرواية والقصة مشاركة فعالة،لا ينسى قلم التاريخ مآثرهم الأدبية وهم يعيشون خارج فلسطين، ولكن قلوبهم معلقة بها.[2] واهتم الروائيون والقصاص في آدابهم أيضا بقضية وطنهم واعتنوا بمأساة شعبهم وقومهم ولم يدخروا وسعا في لفت أنظار العالم إلى القضية الفلسطينية ذات الخطورة البالغة بطريق هذه الأداة العلمية القوية وكان منهم:

غسان كنفاني (1972م–1936م) هو القاص والروائي والصحفي الفلسطيني ويعد من أشهرالكتاب واحتل مكانا عاليا بين الصحفيين العرب وتنعكس الثقافة العربية في أعماله الأدبية وتمثلها في العالم كله، وتتجلى فيها ملامح الآلام والأحزان على الأرض المسلوبة واتضح ألم الغربة والجلاء في الروايات والقصص القصيرة له وهي مفعمة بالصيحات والصراخات على الوطن السليب.

له روايات وقصص قصيرة منها :

" رجال في الشمس " (رواية)

" أرض البرتقال الحزين " (قصة)

" الباب " (مسرحية)

---

[1] د.كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين ص 365.

[2] الدكتورنضال الصالح، نشيد الزيتزن (قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينة) ص 17 -16.

" عائد إلى حيفا " (رواية) [1]

وبدت على منصة الأدب الفلسطيني، الروائية البارزة التي أسهمت في تطويرالرواية العربية الفلسطينية واعتنت فيها بالقضية الفلسطينية أيضا وهي سحرخليفة (1941م) التي تعد من أهم الروائيين الفلسطينيين، وتتميزمن بين معاصريها بأسلوبها الشفافية والعمق والبساطة في الكتابة وهي نابضة بالحياة والحركة والنشاط.

لها إحدى عشرة رواية منها :

" لم نعد جواري لك "

" الصبار "

" أصل وفصل "

" صورة وأيقونة وعهد قديم "

ومن لم يعرف الناقد والشاعر والروائي الذي طلع على سماء الأدب وتلألأ وساد على معاصريه و قام بدور حيوي في مجال الأدب العربي وساهم مساهمة في تطوير الفنون العربية المختلفة، وركزعنايته أيضا على القضية الفلسطينة وانعكس ذلك بصورة واضحة في كتاباته، ألا وهو جبرا إبراهيم جبرا (1994م–1920م) الذي عالج الرواية والشعر والنقد وبالأخص فن الترجمة واعتنى بالأدب كإداري في مؤسسات النشر، ولذلك يعد أكثرإنتاجا وتنوعا بين الأدباء العرب وكان له من الروايات " عالم بلا خرائط " "السفينة " " صراخ في ليل طويل " " البحث عن وليد مسعود " و" صيادون في شارع ضيق ".[2]

برز وتألق على سماء الأدب الفلسطيني محمود شقير (1941م) هو القاص الفلسطيني الذي نال قبولا حسنا بين الأوساط العلمية والأدبية، وكان له أسلوب خاص في الكتابة، ومنهج نادر في التعبيرعن آراءه وأفكاره في القصة القصيرة وأدب السيرة والأطفال وبلغ عدد كتبه 34 كتابا وكان له في المسرحية ستة أعمال وكتب الحوارات كثيرا في المسلسلات التلفزيونية منها ما يلي:

" الحاجز " مجموعة قصصية للأطفال.

" الملك الصغير " قصة للأطفال.

" خبز الآخرين " مجموعة قصصية .

" كوكبة بعيد لأختي الملكة " رواية للفتيان والفتيات.

---

[1] غسان الكنفاني، عالم لنا (قصص قصيرة) ص 2.

[2] كتاب في جريدة، عدد رقم -99، بيروت لبنان، تشرين الثاني عام 2006 .

وكان الروائيون الآخرون في مجال الأدب الذين قاموا بأعمال قيمة في تطويراللغة العربية وأدوا دورا في مجالهم منهم:

" حبات البرتقال" و" حفنة رمال" لناصرالدين الشاشيبي.

" شقاء إلى الأبد " لعوني مصطفي.

" المشوهون " لتوفيق فياض.

" ستة أيام " لحليم بركات.

" فتاة النكبة" لمريم مشعل.

الصحافة في فلسطين في القرن العشرين.

لقد تعرفت فلسطين بالصحافة العربية عند ما صدرت صحيفة" القدس الشريف" في مدينة القدس عام 1876م وهي تأخرت نصف قرن تقريبا عن ظهور الطباعة فيها لأن العقبات والقوانين العديدة حلت دون ظهور الصحافة قبل هذا التاريخ، ولكن مع ذلك انبثق فجرجديد للصحافة الفلسطينية عام 1908م وبرزت طلائع الصحف عند ما صدر الإصلاح الدستوري عن الحكم العثماني وحينما أصدر"جورجي حبيب حنايا " جريدة القدس "وكانت هي صحيفة علمية أدبية اجتماعية، ولم تكن هذه الصحيفة ذات أهمية ومتميزة فائقة لأنها كانت هي الصحيفة الفلسطينية الأولى ولكنها مهدت الطريق لعدد كبير من الصحف والجرائد، فصدر في تلك السنة " الكرمل" " الإنصاف" " النفير" " البلبل" " بشيرفلسطين" وغيرها، وفي الوقت نفسه كانت هناك مطابع كثيرة ولكنها تطبع كتب الأشخاص الذين كانوا ينتمون إلى تلك الطائفة.[1]

فقد ظهر ست وثلاثون جريدة ومجلة تقريبا بما فيها مجلة سياسية وأدبية واجتماعية وهزلية من فترة بداية الصحافة الفلسطينية حتى الحرب العالمية الأولى، وهي ارتبطت بالتطور السياسي وما كان يرافقه النمو الاقتصادي والتطورالثقافي والاجتماعي والتي قامت بدورها في الحركة الوطنية والتنشيط السياسي مما أعادت إحياء اللغة العربية بعد أنها واجهت تراجعا وتخلفا تحت الدولة العثمانية بفعل سياستها، وفي الفترة نفسها لقد أدت الصحافة الفلسطينية دورا بارزا في تشكيل الوعي القومي وتوعية السياسية و إظهار ملامح الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، ومنذ أن نشأت الصحافة الفلسطينية هي مرت بمراحل عديدة التي تأثرت بها سواء كانت هي الظروف السياسية والاجتماعية أو هي العسكرية المتعددة التي تعاقبت عليها، ومن أجل ذلك السمة التي تغلب على الصحافة الفلسطينية هي توعية الجماهير والتحريض والدفاع عن الأرض، وتبدأ تلك المراحل من الحكم العثماني إلى يومنا هذا.

[1]عايدة النجار، صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن ص 480.

تبدأ المرحلة الأولى من 1918م-1876م، فصدرت صحيفة " القدس الشريف " عام 1876م في هذه الفترة باللغة العربية والتركية وذلك فقط لنشر الأوامر الحكومية والأنظمة، وفي نفس السنة صدرت صحيفة " الغزال " ثم جرت المحاولة لإصدار "مدرسة صهيون " عام 1906م ومجلة " الترقي " ومن الصحف السياسية الصادرة في القدس عام 1908م هي " القدس " " الصحف " " الإنصاف " " النجاح " " النفير " " الكرمل" وفي سنة 1909م "الاعتدال" " الأخبار" الأسبوعية " فلسطين" و أصدر الأخوان عيسى ويوسف عيسى "المنادي" وفي عام 1911م أصدر سعيد جارالله ومحمد موسى المغربي" المنهل" وهي أدبية والمهم لم تصدر الصحف السياسية في فترة الحكم العثماني ولكن برزت المجلات المتعددة التي عالجت الشؤون السياسية وبصفة خاصة من فترة عام 1914م-1906م فيما ظهرت أربعة عشر مجلة أدبية التي قامت بخدمات جليلة في البلاد ونفخت الروح المحلية وبعثت الشعوربالوعي ورفعت لواء الوطنية وعالجت مشاكل البلاد التي تواجهها البلاد، ومع ذلك كانت الصحافة في فلسطين تحت الرقابة الحكومية في هذه الفترة وتوقف صدورها خلال الحرب العالمية الأولى لمدة أربع سنوات.[1]

دخلت الصحافة الفلسطينية في المرحلة الثانية التي تبدأ من 1948م-1918م وعانت الصحافة في هذه الفترة من الاضطهاد والقسوة أكثربكثير من الحكم السابق ولكنها صمدت ضد القوانين الصارمة للانتداب البريطاني كجبال راسيات وكانت أكثر قوة وتصلبا ولم تكن الصحافة في سائر المجالات إلا أنها قامت بمساهمة فعالة في الحياة الأدبية والثقافية والسياسية وأصدر الانتداب صحيفة رسمية المسماة "أخبارفلسطين"عام 1924م.

فعلى الرغم من الظروف القاسية والأوضاع الحرجة تطورت الصحافة في هذه الفترة تطورا سريعا لأن الاستعمار البريطاني عمل على توعية التعليم، نتيجة لذلك يرافقه تطورثقافي واسع في رقي الحياة الأدبية والفكرية، وبرز الأدباء والشعراء والمثقفون والمؤرخون الذين أسهموا في تطويراللغة العربية وآدابها، وتأسست جمعيات للنوادي الأدبية والثقافية والسياسية والاقتصادية بثلاث لغات العربية والإنجليزية والعبرية، وكذلك ظهرت المطابع ومصانع الأوراق ودكاكين لتجليد الكتب، و صدرت الصحف والمجلات بعدد هائل في فترة 1948م-1919م بلغ عددها 1241 تقريبا و41 هي باللغة العربية وكانت الصحف متنوعة الألوان مختلفة الأنواع فيها تتعلق بالسياسة والأدب والدين والاقتصاد، ولكن تطورت الصحافة السياسية تطورا هائلا بالنسبة للصحف الأخرى و صدرت دورة نشرية " العامل " و " حقيقة الأمر" عن حزب العمال الصهيوني.

[1] عايدة النجار، صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن، ص 477.

صدرت"سوريا الجنوبية" عام 1919م وهي جريدة أدبية أشرف عليها عارف العارف ومحمود حسن البدري وهي الصحيفة التي هاجمت الصهيونية هجوما شديدا حتى توقف صدورها، وصدرت " مرآة الشرق " في نفس الفترة ولكنها توقفت عن الصدور أيضا لأنها نشرت قصيدة حرض فيها كاتبها على الثورة والتمرد ضد الاحتلال الإنجليزي، وصدرعديد من الصحف والمجلات في هذه الفترة ولكن لا يبقى لها الدوام ولذلك انتقلت الصحافة الفلسطينية من القدس إلى يافا عام 1929م حيثما تطورت واحتلت مكانا عاليا في مجال الصحافة العربية ومنحت الأوضاع والظروف المتدهورة الفرصة لها أن تفتح صفحتها الجديدة في تاريخ الصحافة الفلسطينية، وعندما أصبحت جريدة " فلسطين " جريدة حكومية بعد ذلك بدأت تصدر المجلات المتخصصة في مجال الشؤون الاقتصادية والزراعية والتجارية في فترة ما بين 1933م- 1932م[1] وفي جانب آخر أدت الصحافة الفلسطينية دورا فعالا في إثارة الثورة الشعبية بين الفترة 1939م-1936م ونبهت الشعب الفلسطيني مخاطرالصهيونية ونياتها السيئة بأنها تكاد تحتل الأرض الفلسطيني مما يؤدي إلى التشريد والنفي والجلاء وغير ذلك أنواع من التعذيب والتنكيل ولذلك تعرضت الصحافة للمعاملة القاسية مما يتعلق بالمراقبة الشديدة والإغلاق في المرحلة الأخيرة مثلا " اللواء " و "الدفاع ".[2]

تبدأ المرحلة الثالثة من الفترة عام 1967م-1948م وتعرف هذه المرحلة بالنكبة لأن دولة إسرائيل تم إعلانها مما أدى إلى الطرد وتهجير الآلاف من الشعب الفلسطيني والنفي والجلاء والقتل والنهب والسلب، وكانت الضفة الغربية خاضعة للحكومة الأردنية وقطاع غزة للسلطة المصرية، ولذا كانت الصحافة الفلسطينية خاضعة للقوانيين من هاتين الدولتين، وتجلت هذه الظروف الجديدة فيها واصطبغت الصحافة بالطابع الحكومي ولم تستطع الخروج عليها، ولكن الصحافة تطورت في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني لأنها اعتبرتها جزءا من بلادها ومنحت جميع الفرص والتسهيلات لرقيها وازدهارها، وتعتبر هذه الفترة من بين 1957م-1951م مرحلة النمو والازدهار في تاريخ الصحافة الفلسطينية وشهدت هذه الفترة نشاطا صحفيا ملحوظا بالإضافة إلى النهضة الأدبية مما أضاف عشرات الصحف مثلا " الجهاد" أصدرها محمود أبو الزلف وأصدر محمود يعيش وسليم الشريف عام 1953م " المنار" ولكن معظمها مغلقة وبعضها اندمجت مع صحيفتين" الدستور و القدس" و صدرت صحيفة " القدس " أسسها عيسى العيسى وصحيفة " الدفاع " على يد إبراهيم الشنطي.

---

[1] د. كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص 69.

[2]. https://majed1975.worldpress.com /2012 /annual report ,23 /06 /2017, 08:35

انتعشت الثقافة إبان حكم الإدارية المصرية في قطاع غزة، وانتشر الوعي الصحفي بألوانه المتعددة والرسوم والصور التي تسهل الطريق بإصدار الصحف والمجلات والكتب، وذلك على الرغم من الإمكانيات التي انكمشت دائرتها، فبدأت الصحافة في غزة سنة 1927م ولكنهاهي متأخرة فيها عن المناطق الأخرى، فصدرت " الحق " وهي نصف شهرية التي أصدرها فهمي الحسيني ثم أخرج معها مجلة" الحقوق " وهي مجلة متخصصة بالشؤون الحقوقية والقانونية، وصدرت الصحف المتعددة بعد النكبة مثلا جريدة "غزة " رأس عليها خميس أبوشعبان و" الصراحة الأسبوعية " " اللواء الأسبوعية " ثم" الوطن العربي" التي أصدرها رشاد الشوا و" التحرير" " أخبار فلسطين". ومن المجلات الصادرة في قطاع غزة قبل عام 1967م هي مجلة "العودة " ومجلة " المستقبل " و"الحياة العربية".[1]

وكان هناك المطابع العديدة من بينها مطبعة العلمية ومطبعة أبو شعبان ومطبعة السقا ولكن مع ذلك كانت غزة مختلفة تماما عن نظيرتها في الضفة الغربية.

والمرحلة الرابعة تبدأ من 1994م–1967م التي هي أقسى المراحل لأن إسرائيل فرضت الحظر على الصحف العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن مع ذلك صدرت جريدة" اليوم" وباءت محاولة الاحتلال الإسرائيلي بالفشل لتضييق خناق الصحافة وصدرت جريدة " القدس" عام 1967م أصدرها محمود أبو الزلف، و أصدر إبراهيم فضل صحيفة "الشعب " عام 1970م وصدرت صحيفة " الفجر "عام 1972م تحت رئاسة يوسف نصر، وجريدة "الطليعة " أشرف عليها بشيرالبرغوثي عام 1978م وأصدرمحمود الخطيب صحيفة " الميثاق " سنة 1980م وصدرت "الدرب " 1985م و" النهار" عام 1986م و" البيادر السياسي" سنة 1981م و" الوحدة " 1982 أشرف عليها فؤاد سعد.[2]

حاولت الحكومة الصهيونية كل المحاولة بفرض العقوبات والرقابة الحادة على الصحافة وإخماد حرية الفكروالتعبير وقمع الأقلام الحرة وتضييق الخناق على الروح الوطنية، وعلى الرغم من هذه الظروف القاسية والشروط الصارمة، استطاعت الصحافة الفلسطينية أن تتمكن من إصدار 22 صحيفة منذ العام 1987م–1967م وإن لم تمثل حياة الشعب الفلسطيني وهمومهم ومشاكلهم تحت الجو الخانق للاحتلال وتعاني الصحافة العربية في إسرائيل من المضايقة والرقابة الحادة والشروط الشديدة وإغلاق المطابع بتهمة بأنها تحرض الشعب على الثورة والتمرد ضد الاحتلال وتنفخ الروح الوطنية في القلوب.

---

[1] عايدة النجار، صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن، ص 478.

[2]. https:// majed1975.worldpress.com / 2012 / annual report,15/06 /17 , 11:55 AM

وفتحت السلطة الوطنية الفلسطينية آفاق عهد جديد للصحافة والإعلام في معركة التحرير و البقاء بعد تأسيسها، فبدأت الحركة الصحفية في ظل السلطة وصدرت أول صحيفة "فلسطين" عام 1994م ولكنها لم تدم وصدرت عدة الصحف منها البالغة عددها 14 ولكن لم يكتب البقاء لها، فصدرت صحيفة " الحياة الجديدة " رأس على تحريرها حافظ البرغوثي، و صحيفة " الوطن " أغلقتها السلطة لسبب ما و صحيفة" الاستقلال"عام 1995م وكذلك صدرت صحيفتان" البلاد والأيام " وأصدرت السلطة الوطنية عدة مجلات وصحف منها " الأقصى" " الساحل" " الزيتونة " " الرأي " و" الصباح ".[1]

ومازالت الصحافة الفلسطينية في حاجة إلى الرجال الذين كان لهم البراعة عليها و الدراسة العميقة على السياسات العالمية والإقليمية أيضا والخبرة الواسعة لكي تتقدم الصحافة إلى أفق أرحب وحرية أشمل ورأي أفضل وفكر أشمل.

[1] https:// majed1975.worldpress.com / 2012 / annual report, same date and time.

الباب الثاني

هارون هاشم رشيد في مراحل حياته

انجبت أرض فلسطين الشعراء الكبار والأدباء البارزين في مجالات علمية مختلفة خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين في فلسطين الذين قاموا بدور قيادي ورائد مجيد في مجال اللغة العربية وآدابها وساهموا مساهمة فعالة في تطويرها وخدموا الفنون الأدبية خدمات جليلة، وغيروا مجراها من حالة الركود والجمود والضعف الشديد وسطحية الأفكار والصنعة اللفظية والمحسنات البديعية المتكلفة إلى الحيوية والنشاط والتحرك وإلى التجديد والابتكار، ونفخوا في جثتها الهامدة روح البعث والإحياء، وأخرجوها من أسوار العزلة والتقليد إلى آفاق التجديد والإبداع، وطلعت أسماءهم على سماء الأدب والثقافة وذاع صيتهم، وانتشر دوي علمي هائل لهم في جميع أنحاء العالم بسبب مآثرهم العلمية والأدبية القيمة التي تعالج الشؤون الاجتماعية والسياسية والقضايا الأدبية، وتعتني بالموضوعات الحساسة والظلم والجور والفقر والجوع ورفع الصوت ضد الاستعمار والاحتلال والدفاع عن الوطن والأرض والحفاظ على حرية الإنسان وكرامتهم وعرضهم، وهؤلاء الأدباء والشعراء بذلوا كل المجهودات المكثفة في سبيل نشر هذه الأفكار والاتجاهات العلمية والأدبية التي تحلوا بها بين شعبهم وأمتهم ولم يالوا جهدا في إصلاح العقائد وأخلاق المسلمين ومحوالأمية والخرافات والأوهام التي قد تسربت في مجتمعهم وجاهدوا بلسانهم وقلمهم ضد مؤامرات الاستعمارالأوروبي ودسائس الاحتلال الأجنبي الذي برز في نفس الفترة، وكان هارون هاشم رشيد في طليعة هؤلاء الأعلام والشخصيات البارزة الذي صمد وتحدى الاحتلال وكشف الستار عن وجه الاحتلال الغاشم وسكب الدموع على وطنه السليب وتغنى بالشهداء في سبيل الحرية والدفاع عن أرضهم، وأشعل مصباح الأمل والرجا في نفوس شعبه ورفع الصوت لحق العودة.

الفصل الأول

حياته ونشأته

ولد الشاعر الموهوب هارون هاشم رشيد في حي الزيتون بغزة في العاشرمن تموزعام 1927م في وقت، كان الاستعمارالأوروبي يعربد، ويعيث في العالم الإسلامي فسادا، ويخلق المشاكل للمسلمين ويعتدي على معتقداتهم وأخلاقهم وأفكارهم، وقتئذ كانت فلسطين تحت الاستعمارالبريطاني الذي يخطط بإنشاء الوطن الصهيوني. في مثل هذه الظروف القاسية والأوضاع السيئة، نشأ هذا الشاعر في بيت يحب الشعر والأدب والثقافة وترعرع في حضن الشعراء والأدباء ورضع بلبان الشعر والأدب منذ نعومة أظفاره، كما يتحدث بنفسه عن طفولته " كنت أشغف بالاستماع أنين الربابة ويشدني صوت الشاعر الشجن وهويروي الحكايا التي لم أكن أعيها وطلب مني الوالد أن أغادر الديوان لأنام ولكني آثرت أن أتكوم أمام باب الديوان حتى غلبني النعاس فنمت" ويتحدث الشاعر بنفسه عن بيئة بيته الشعرية "بعد صلاة العشاء، يتصدر الوالد المجلس ويمد أمامه طاولة صغيرة ويمد يده إلى طاقة خلفه يتناول منها كتابا قديما اصفرت أوراقه وتجعدت من كثرة الاستعمال ... ويبدأ الوالد في قراءة تغريبة بني هلال يرنم ما فيها من الشعر وينبر بما فيها من النثر".[1]

حصل الشاعر هارون هاشم رشيد على العلوم الإبتدائية في مدرسة الفلاح، وبعد ذلك في مدرسة الإمام الشافعي، وتلقى العلوم الثانوية في كلية غزة عام 1947م، وبعد أن حصل على شهادة الثانوية انشغل في سلك التدريس والتعليم للغة العربية وآدابها لفترة أربعة أعوام في مخيمات اللاجئين بمدينة غزة، ومن أساتذة الشاعرله في اللغة العربية هو الشاعرالفلسطيني الشهير الأستاذ سعيد العيسى الذي رباه تربية دقيقة وصقل مؤهلاته الشعرية، وفي غضون ذلك ساهم الشاعرهارون هاشم رشيد مساهمة فعالة في تحرير الصحف العربية الصادرة من قطاع غزة بعد وقوع النكبة التي هزت العالم العربي هزا عنيفا عام 1947م. ذكر الشاعر تلك المشاركة الصحفية الفعالة في سيرته الذاتية (إبحاربلاشطآن) " في كلية غزة .. بدأت علاقتي الأولى مع الصحافة الأولى " و " في مقبل الأيام ظللت أمارسها كهواية لا احترافا مشاركا في الصحف التي صدرت في غزة والتي منها " غزة " " اللواء " " العودة " " الرقيب " و" الشرق " وبعد ذلك تخلى عن التدريس عام 1954م، وخاض في ميدان الصحافة وانتخب رئيسا لمكتب النشر و الإذاعة في إدارة الحاكم العام في قطاع غزة، وركز عنايته على مسؤوليته وأداها حق التأدية ورقي وتقدم

[1]هارون هاشم رشيد، إبحار بلا شطآن فصول في سيرة ذاتية، ص18.

وأصبح رئيسا للإعلام ومستشارا للحاكم العام، وكذلك تم انتخابه كمسؤول في مكتب إذاعة "صوت العرب" في غزة وعندما احتلت إسرائيل قطاع غزة عام 1956م أرغم للمغادرة إلى القاهرة، ولكن إنه دأب عمله هناك في إذاعة صوت العرب، ورجع إلى غزة بعد أن انسحبت القوات الإسرائيلية منها لمواصلة عمله من جديد، وعندما تأسست منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م تعين مسؤولا عن إعلام المنظمة بالإضافة إلى جيش التحرير الفلسطيني، وعندما احتلت إسرائيل قطاع غزة عام 1967م توجه إلى القاهرة مرة أخرى وهو يغادر أرضه وعمل في منظمة التحرير الفلسطينية و صار مسؤولا عن إعلامها، وكان له ارتباط خاص بجامعة الدول العربية وعمل فيها كمندوب لفلسطين وأدى مسؤوليته مبعوثا دائما لفلسطين في اللجنة الدائمة للإعلام العربي، وكان مندوبا دائما في اللجنة الدائمة للشؤون المالية والإدارية في جامعة الدول العربية، وكانت علاقته مع جامعة الدول العربية وثيقة متينة إلى حد لما انتقلت جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس عام 1979م انتقل معها إلى هناك وعمل مندوبا دائما أيضا لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم انتخبت جامعة الدول العربية مديرا لمجلتها للتحرير " مجلة شؤون عربية " وهي أول مجلة كانت تصدر عنها عام 1980م ورجع الشاعر إلى القاهرة بعد أن انتقلت جامعة الدول العربية من تونس إلى القاهرة وإنه لا يزال متمسكا بالحفلات والندوات العلمية والأدبية.[1]

كان الشاعر هارون هاشم رشيد من الأعضاء والمؤسسين لاتحاد الكتاب الفلسطيني عام 1966م وتعين عضوا لأول أمانة عامة للاتحاد، وانتخب أيضا عضوا في اتحاد الكتاب والصحفيين، واتصل بأول أمانة للاتحاد سنة 1972م، وقام بالتمثيل لفلسطين في المؤتمرات، والندوات للعالم العربي ومهرناجات الأدب والشعر منذ سنة 1958م وحصل على العضوية في المجلس الوطني الفلسطيني، واهتم الشاعربالقضية الفلسطينية أكثربكثير في أدبه، ولذلك اشتهر بألقاب متعددة مثلا بشاعرالنكبة وشاعر العودة وشاعرالغرباء بالإضافة إلى شاعرالقرار وشاعرالحلم والمخيم، ويعتبر أيضا من أكثر الشعراء الفلسطينيين وهو يستعمل مفردات العودة.[2]

تولد الحس الوطني في نفس الشاعر بفعل عذابات بلفور وخذلان الأتراك وصلف الاحتلال البريطاني واغتصاب الحركة الصهاينة، وبصفة خاصة عندما كان الشاعر طفلا صغيرا، وقتئذ يلعب مع أصدقاءه في حارته في شهر رمضان، فجأة مرت الدورية الإنجليزية بتلك الحارة فطاردها خمسة شبان لإطلاق النار عليها، ووقع الاشتباك والمواجهة بينهما مما أسفرعن قتل الشابين، وإصابة الجرح بالآخرين وتمكن الخامس منهم من الهرب والفرار، وقضى الشاعر تلك الليلة مع

[1] https://pulpit.alwatanvoice.com, Date 15/06/16 ,Time 02:55 am.
[2] نفس المصدر.

أمه وإخوته في بيئة الذعر والخوف لأن أباه وأخاه الأكبر لم يكونا بموجودين في البيت، وأعلن حظرالتجول في تلك الحارة وتجمعت القوات البريطانية فيها وأحاطت بها من كل طرف، فهذا روع جميع السكان فيها وأثرت هذه الحادثة الفاجعة على حياة الشاعر عميقا ولم ينفصل عنه بل ظل يرافقه في مرحلة من مراحل الحياة ويتحدث عنه في قوله " الجنود الإنجليز وثوار حي الزيتون نقطة تحو ل في حياتي".[1]

شاهد الشاعرهارون هاشم رشيد مأساة اللاجئين الفلسطينيين وعاش معهم منذ نعومة أظفاره، وعاش الأحداث، وواجه الجلاء والنفي والطرد، وعاين القتل والنهب والاعتقال والتهجير، ولذلك يرى أن حياته ليس بمختلف عن الذين عاشوا مأساة الاحتلال البريطاني والصهيوني الذي انتزع حلم الوطن من الشعب الفلسطيني وحرمهم من هناء العيش والحياة وزعزع الأمن والاستقرار في المنطقة، ولذلك عندما سئل عن كثرة الحديث عن مشاكل اللاجئين ومأساتهم فيقول " لا أستطيع أن أنسى تلك اللحظات الصعبة والمأساوية التي يهجر فيها شعب بأكمله من دياره إلى الشتات، لقد عشت مأساة اللاجئين " ويضيف قائلا " أنه يشارك في حمل اللاجئين على الأكتاف لينقلوهم إلى الشاطئ، ومن ثم المدارس والجوامع لإيجاد مأوى لهم إلى أن عمل الشاعر في لجنة ترعى شؤون اللاجئين". [2] ذاق الشاعربنفسه مرارة اللجوء وألم التشريد والنفي والجلاء، فتزداد معاناته وآلامه عندما رأى المراكب تنقل اللاجئين عبر الشواطئ وهم يغادرون ديارهم عنوة وقسرا، فيعبر الشاعر آنذاك عن ألمه الشديد وأسفه البالغ في كلمات رنانة ويقول: " تهاورت الآمال الكبار وتطايرت الأحلام العظام يوم حملت الريح الغريبة الشعب لتلقي به في دروب التشريد والغربة تحت الشمس اللافحة الحرارة، فتحركت الأفواج المطرودة وزخفت وسط السهول والهضاب والأودية والشيوخ الطاعنون في السن والأمهات الرضع"[3] ولذلك لم يستطع الدهر أن ينسى تلك الأحداث الأليمة والمشاهد القاسية.

يملك الشاعر هارون هاشم رشيد قدرة وكفاءة على أن يفهم هذه القضية الفلسطينة وكان له الإحساس بالغربة والحس الوطني أكثر من غيره لأنه محفوف بتلك الأوضاع الحرجة والأحوال السيئة الخانقة ولذا " هو أكثر شعورا من غيره بلذة الإعراب عن النفس ومشاعرها المكبوتة وعواطفها المدفونة وقوة شعورها المتدفق وما في طواياها من لوعة وحزن وقد يكون أعمق من أن تفيض لأجله الدموع ومن نشوة فرح، وقد يكون أعظم من أن يعبر عنه باللغة ".[4] وجد الشاعر

---

[1] نجية فايرالحمود، صورة اللاجئ الفلسطيني في شعرهارون هاشم رشيد نموذجا ديوان " مع الغرباء "، ص 8 .
[2] جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد التاسع والعشرون، شباط -2013.
[3] نجية فايرالحمود، صورة اللاجئ الفلسطيني في شعر هارون هاشم رشيد ديوان مع "الغرباء" نموذجا، ص16
[4] المرجع السابق، ص16.

هارون هاشم رشيد في هذا المأزق في الشعر خير أداة وأفضل وسيلة للتعبير عن أحاسيسه وآلامه وأحزانه وهمومه التي تمثل في الحقيقة هموم شعبه ومشاكل أمته التي كانت تحت وطأة الاحتلال والسيطرة الشديدة بصورة غيرشرعية والاحتلال الصهيوني ينتهك حقوق الشعب الفلسطيني ويضيق خناق الحرية ويكبت روح الوطنية، فهو يقول " السياسي هو صانع التاريخ، والشاعر هو مؤرخه، لذلك يمكن أن يكون صانع الشيئ هو مؤرخه".[1]

يقول الشاعر وهو يسلط الضوءعلى تاريخ الشعر للكفاح والمقاومة والجهد والمثابرة وسفر التحرير الوطني الطويل لفلسطين " أرخت تاريخ قضيتي فذهبت بقلمي إلى(أرض الثورات) وكانت ملحمة شعرية تخلد نضال الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال البريطاني و لا سيما ثورتي القسام عام 1936م وإضرابها الكبير" [2] ومن أجل ذلك، يتجلى في دواوينه ومقالاته حلم الوطن وفقدان الأرض وألم النفي والجلاء وهموم التشريد وأمل العودة والرجوع، و ينعكس فيها لون الغربة وإحساس بالاغتراب ونوع من الغضب والمقت مع الدعوة إلى الكفاح والنضال والصبر والمثابرة ضد الاحتلال الصهيوني، وتتضح فيها صورة التعذيب والتنكيل والقتل والنهب والاعتقال، وحتي اليوم مازال يستلهم قصائده في دواوينه من ألوان الحياة الفلسطينة، فنال شعرهارون هاشم رشيد قبولا حسنا وشهرة واسعة وذاع صيتها في ربوع العالم العربي والإسلامي أيضا، وإنه من الشعراء كما يقول الدكتور كامل السوافيري" الذين أوجدتهم النكبة، والذين وقفوا أغلب قصائدهم على فواجعها وأحداثها، وله في الخيمة السوداء ووصف حياة اللاجئين وما يضطرم بين جوانحهم قصائد كثيرة " [3] فنداء العودة للوطن السليب ومناجاته بحدائقه وبساتينه وجباله وتلاله وكرومه وأشجاره وذكر أيام الطفولة الحلوة بين ربوع أرض فلسطين، وكان هي السمات البارزة للشاعر التي أبدعت فيه شاعريته أروع وأجذب ماقرض وغنى وأجمل وأحسن ما نظم.

تأثر الشاعر هارون هاشم رشيد بالشعراء والأدباء في فلسطين الذين عاصروه وعاشوه أو سبقوه على المنصة الشعرية، منهم إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الخالق مطلق أو تغلغل في أحشاء قلبه أولئك الشعراء الذين لم يعاصروه، منهم إمرء القيس وأبوتمام والمتنبي، وكانت علاقته قوية مع شعراء المهجر اللبنانيين، منهم محمود حسن إسماعيل أحمد رامي من مصر نزار قباني وعمر أبوريشه، وكان يعجبه شعرعمر أبوريشه كثيرا بعد أن شارك في الهم الفلسطيني، ومعين بسيسو الذي كان صديقه في كلية غزة وكانت تربطه به علاقة قوية، وكان الشاعرهارون هاشم رشيد مع الصلة القوية مع المرحوم صلاح خلف (أبوأياد) الذي كان يدرس

---

[1] المرجع السابق ص، 16 .

[2] المرجع السابق،ص 17.

[3] الدكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر ص، 217.

في القاهرة وقتئذ وكان معجبا بالأستاذ الدكتور عبد المنعم خفاجه واتصل بالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري الذي كان يريد أن يلتقي بالشاعرهارون هاشم رشيد، وكان الشاعر يؤثر بقدر ما كان في وسعه ولكنه لم يعش في البرج العاجي لا بالنسبة لقضيته ولا للشعر و الشعراء الموجودين،[1] و انتخب تسعون قصيدة من أشعاره تغنى بها إعلام الغناء العربي، وعلى رأسهم فيروز و فايدة كامل و محمد فوزي ومحمد عبده وآخرون.

[1] هارون هاشم رشيد،إبحاربلا شطآن فصول من سيرته الذاتية ، ص 111.

الفصل الثاني

أعماله الأدبية ومآثره العلمية

يمتاز الشاعرهارون هاشم رشيد من بين الشعراء والأدباء في القرن العشرين في فلسطين بأنه أصدرعشرين ديوانا تقريبا وفيها يعالج القضية الفلسطينية ويتحدث عن الوطن والأرض ويصدع بالعودة والرجوع إلى أرضه أينما حل ونزل سواء كان في حله أو ترحاله، ويمتاز شعره بروح التمرد والثورة ضد الاحتلال الإسرائيلي والدعوة إلى الكفاح والنضال لحرية الوطن والأرض المقدسة، ويعد شاعرا غنائيا ودراميا لأن الإنتاج الأدبي له مفعم بالحس الدرامي وتعزز هذا الحس تعززا قويا وتوطد من خلال كونه من شعراءالقضية الفلسطينية لأنه عبر عن مأساتها وكوارثها في قصائده ولذلك يقول" لن أكتب إلا لفلسطين حتى تتحرر".

يرى الشاعر أن جميع الشعراء العرب تحدثوا عن القضية الفلسطينية ولكن لا يوجد شاعر وهب إنتاجه الأدبي كله لصالح الوطن والأرض سوى البعض، ولايزال الشاعر يتعهد بالحفاظ على أفكاره الوطنية ومنطلقاته الفكرية ويعبرعن موقفه الصارم تجاه كل ما يجري على الساحة الفلسطينية والتشبث بنهج المقاومة والنضال الدؤوب ضد الاحتلال الصهيوني بجميع الأساليب والأدات، وكرس الشاعر نفسه للدفاع عن الوطن والأرض بكل ما أوتي من عزم للتعبيرعن أحاسيس قومه بأسلوب خاص يميزه عن الآخرين، ووهب حياته وشعره لشعبه ووطنه وكافح في سبيل قضية أمته الوطنية، فتتمحور عناوين الدواوين له ومقالاته الأدبية حول قضية الوطن والأرض، فكانت فلسطين هي الإسم والعنوان في دواوينه، وهي البداية والنهاية في حواراته، ونقطة الانطلاق ومسك الختام في حفلاته وندواته.[1]

دواوينه:

1 –مع الغرباء. رابطة الأدب الحديث، 1954.

2–عودة الغرباء. بيروت : المكتب التجاري، 1956.

3–غزة في خط النار. بيروت: المكتب التجاري،1957.

4– أرض الثورات. بيروت : ملحمة شعرية، المكتب التجاري، 1958.

5–حتى يعود شعبنا. بيروت : دارالآداب، 1965.

6– سفينة الغضب . الكويت : مكتبة الأمل، 1968.

7– رسالتان . القاهرة : اتحاد طلاب فلسطين، 1969.

[1] http://alqudslana.com, Date 26/06/17 , Time 07:05 am.

8- رحلة العاصفة . القاهرة : اتحاد طلاب فلسطين، 1969.

9- فدائيون . عمان : مكتبة عمان، 1970.

10- مزامير الأرض والدم . بيروت : المكتبة العصرية، 1970.

11- السؤال . مسرحية شعرية . القاهرة : دارروزاليوسف، 1971.

12- الرجوع . بيروت : دارالكرمل، 1977.

13- مفكرة عاشق . تونس : دارسيراس، 1980.

14-المجموعة الشعرية الكاملة . بيروت : دار العودة،1981.

15-يوميات الصمود والحزن . تونس : د.ن، 1983.

16- النقش في الظلام . عمان : د.ن، 1984.

17-المز غزة . د.م : د.ن،1984.

18-ثورة الحجارة . تونس : دارالعهد الجديد، 1991.

19- طيورالجنة . عمان : دار الشروق، 1998.

20- وردة على جبين القدس . القاهرة: دارالشروق، 1998.[1]

كتب الشاعر هارون هاشم رشيد أربع مسرحيات شعرية فمسرحية" السؤال " هي التي نشرتها مجلة روز اليوسف ثم صدرت في سلسلة الكتاب الدائم سنة 1972م و مسرحية " سقوط باريف " التي كتبت بعد حرب العبور سنة 1973م ومثلت على المسرح القومي بالقاهرة عام 1974م وكتبت مسرحية " القصر" التي عالجت جانبا من القضية الوطنية الفلسطينة ويتمحور موضوعها حول الانتفاضة بالحجارة عام 1987م ومسرحية" عصافير الشوك " صدرت عن دارالمستقبل بالقاهرة، وبالإضافة إلى ذلك كتب عديدا من السباعيات والمسلسلات التي كانت تذيعها " صوت العرب " المصرية وكتب الإذاعات العربية المتعددة أيضا والدراسات العديدة عن القضية الفلسطينية التي تتمحور موضوعاتها حول عودة الأرض المقدسة إلى الشعب الفلسطيني وعودتهم إلى وطنهم.

وله رواية: سنوات العذاب. دارالكتب المصرية، سنة 1970م.

الدراسات العديدة منها:

الكلمة المقاتلة في فلسطين. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

مدينة وشاعر: حيفا والبحيري. مطابع دارالحياة، دمشق ، 1975م.

الجوائز والأوسمة :

[1] موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث ، الجزء الرابع ص 364.

حاز الشاعر هارون هاشم رشيد على كثير من الجوائز والأوسمة لأنه قام بمجهودات مكثفة وخدمات جليلة في تطويراللغة العربية وآدابها فمنها:

وسام القدس عام 1990م.

الجائزة الأولى للمسرح الشعري من الألكسو سنة 1977م.

الجائزة الأولى للقصيدة العربية من إذاعة لندن عام 1988م.[1]

هارون هاشم رشيد في ضوء دواوينه:

كل شخصية عبقرية تنعكس ملامحها في كتاباته وتتجلي صورته في أفكاره واتجاهاته وتظهر عبقريته في موضوعاته وعناوينه وتبرز ميزاته في كلماته وألفاظه ولذلك لا بد من التحليل بعض منها لكي يكون الهدف بينا وواضحا.

ديوان" مع الغرباء" هو الديوان الأول للشاعرهارون هاشم رشيد الذي جمع فيه من القصائد التي نشرها وأذاعها في المجلات والصحف، ثم صدر عن رابطة الأدب الحديث عام 1954م، ونال قبولا واسعا ورواجا حسنا بين الأوساط العلمية الأدبية، وفي الحقيقة هذا الديوان يحمل بين دفتيه وأوراقه شعرا أليما حزينا كئيبا كآلام حياة الغرباء واللاجئين وأحزان المشردين من أبناء وطنه وأرضه في ظلام المخيمات، فكانت قصائدها فيه مستلهمة من مأساة فلسطين ويتحدث الشاعر في هذا الديوان عن مأساة النكبة ومشاكل اللاجئين وشدائدهم الذين يعيشون في قتام المخيمات ويسكنون في حالة الغربة ويحسون بالحس الوطني، ويدعو هذا الديوان الشعب الفلسطيني إلى الصمود في خضم الجراح والتعذيب والتنكيل وإلى الثورة والتمرد وممارسة النضال المسلح ضد الاحتلال وبالأخص أنه يرسخ الإيمان بالعودة في قلوب الفلسطينيين، وحاول الشاعر كل المحاولة أن يضيئ النور من جديد في وقت، كان الظلام الدامس قد ران على أمل الرجوع والعودة إلى الوطن فسمى ديوانه الأول " مع الغرباء " تسلية للغرباء واللاجئين لأنه شاهد أهوال اللاجئين ومأساتهم بعيني رأسه وعايش النكبات التي التصقت بالشعب الفلسطيني ورأى المجازر والجراح التي مارستها العصابات الصهيونية، ونفخ في نفوس شعبه روح الكفاح والنضال والجهد والمجاهدة، ونفث في قلوبهم أمل الرجوع والعودة إلى فلسطين بشعره الحماسي والثوري وأشعل مجامر أفئدتهم للمقاومة والدفاع عن حوزة الوطن وصدع بعودة الحق، وكتب ديوانا سماه " عودة الغرباء " ورفع صوته فيه قائلا:

أنا لن أعيش مشردا أنا لن أظل مقيدا

أنا لي غد وغدا سأزحف ثائرا ومرددا

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/27 /06 /17 , 05 :30

أنا لن أعيش مشردا [1]

فديوان " **مع الغرباء** " يستشرف وسط هذا القتام نسمات الأمل ونفحات الرجا وهو أيضا يشعل مصباح الأمل بالعودة إلى الوطن و يصورمأساة اللاجئين في الخيام وعذاباتهم في ظلام الليل وألم حنينهم إلى الوطن، ويغير هذا الديوان موقفه إلى بركان يثور ويحدو القافلة للكفاح والثأر، وينير طريقها بأناشيد العودة والرجوع فيقول الشاعر هارون هاشم رشيد فيه " ونمت وريقاته من جرح النكبة واللجوء فروى المأساة الفلسطينية من أولها مستطردا ما يجب أن يأتي بعد ذلك وكان هذا أول وأهم شيئ كتبته كما كان أول شيئ نشر في مجلة ذات وزن في صحفتين".[2]

وصف الشاعر اغتراب الفلسطينيين في ديوانه " مع الغرباء " فصورت قصائده فيه ألم اللاجئين وحياة المشردين الذين كانوا بلا وطن وبيت أو مأوى، وعانوا من أنواع من العذاب، وواجهوا ألوانا من الألم والهم والحزن التي تحث الشعب الفلسطيني على أن يصمدوا أمام هذه المأسات والنكبات ولا يستسلموا لهذه المصائب والشدائد، فهذا الديوان يعبرعن ألم الشاعر وتجربته وعن فحوى كلامه الذي يحمل هم شعبه، وفي الحقيقة يحمل شعره وأدبه الألم والحزن والهم للشعب الفلسطيني ليحرضهم على النضال والكفاح والمقاومة والمثابرة على الرغم من المشاكل والشدائد التي نزلت بهم، فإن الشاعر كان مصرا على الصدع بحق العودة والرجوع إلى الأرض والوطن، ويتغنى بهم وهو يستلهم ألحانه وموسيقاه من الحوادث الجسيمة والكوارث الكبيرة في تلك الأرض التي توقظ النائمين في سبات عميق وهم يرون مايجري حولهم مغمضين عيونهم عن القضية الفلسطينية التي بدأت تستفحل خطورتها ومأساتها يوما فيوما، وكل هذا يقدمه الشاعرهارون هاشم رشيد في لغة عذبة سهلة بأسلوب رنانة طنانة وفي كلمات تهز المشاعر وتثير العواطف للحرية والنضال والكفاح وفي تعابير خلابة سليمة ليكون لها الأثر العميق في النفوس والقلوب فيقول الشاعر:

إليهم وإن حطمتنا الخطوب وأرهقنا الحادث المؤلم
وجارعلي الزمان العتي وأنهكنا الناب والميسم
إليهم سأشدو بشعرالحياة سأشدو وأشدو واستلهم
فيصحو على شعري السادرون ويستيقظ النفر النوم [3]

فيلوم الشاعر أولئك الذين ساهموا في معاناة شعبه، ويشبه مساكنهم بالجهنم ما لا يليق بالعيش فيها ويتأسف على أحوالهم ويجعل شعره أداة للتعبير عن الغضب والمقت للمجرمين القتلة

[1] مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد التاسع والعشرون، شباط 2013.
[2] مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد التاسع والعشرون، شباط، 2013 .
[3] نجية فايرالحمود، صورة اللاجئي الفلسطيني في شعرهارون هاشم رشيد ديوان "مع الغرباء " نموذجا .

الذي يأتون بالشر والسوء لغيرهم ويعدونه خيرا وسعادة لهم ويثير الشاعر النخوة و يهز المشاعر حقدا وغيضا وكراهية لأعدائهم فيقول:

أخي أينما سرت شعري يسير ويدفق إحساسه والشعور

لقانا غدا يوم ندعو النفير أخي وهناك هناك المصير

ديوان "**طيورالجنة** " يتحدث عن الأبطال والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الدفاع عن القدس والأرض والذودعن حوزة الوطن والحرية، ويرثي تلك دماء الشهداء رثاء عميقا التي سالت في طريق الحفاظ على كرامة الشعب الفلسطيني ومجدهم ونفوسهم دفاعا عن الاحتلال والسيطرة، وتغنى الشاعرهارون هاشم رشيد ببطولات الشهداء وسكب عبراته على استشهادهم، وفي الوقت نفسه افتخر بمقاومتهم وهم يدافعون عن الأرض والوطن لتحرير مسجد الأقصى من براثن الاحتلال الصهيوني قال الشاعر في هذا الصدد:

"هي قصائد الشهداء التي كتبتها عبرهذه السنوات عمن عرفت، وعمن لم أعرف، من بينهم اخترت رموزا عنهم ومنهم، منارات للأجيال القادمة تجد فيها القدوة، وتتعلم منها المثل وتحقق ما لم نستطع أن نحقق، وتكون هذه القصائد الباقة التي أضعها على قبور هؤلاء".[1]

يصور الشاعر في هذا الديوان حزنه الشديد وألمه وما يختلج في نفسه من أسى و من عذاب أصدق تصوير وسمى الشهداء بطيورالجنة مقتبسا هذه الكلمة من الحديث الشريف التي جاءت في مدح الشهداء الذين قدموا نفوسهم الغالية في سبيل الحق، فليس هدفه الأصيل في هذا الديوان إلى تصوير الآلام والأحزان فقط بل يدعو إلى الثورة والتمرد والكفاح والنضال ضد الاحتلال وأحيانا إلى أخذ الثأر والانتقام.

يقول الشاعر في أول قصيدة في هذا الديوان وهو يقدم رسالة إلى أم شهيد الصاغ محمود أحمد صادق قائد حاميه غزة:

أنا لا أريدك تذكرين فتاك بالدمع السخين

بالحزين بالأنات بالأشجان بالصوت الحزين

بتلهف القلب الطعين وبالتوجع والأنين

إني أريدك تذكرين فتاك بالثأر الدفين

بالوثبة الكبرى غدا في موكب النصر المبين[2]

[1] هارون هاشم رشيد، ديوان " طيورالجنة " ص 7.

[2] هارون هاشم رشيد، طيورالجنة، صفحة، 9 .

يرثي الشاعر هارون هاشم رشيد القائم مقام مصطفى حافظ قائد الفدائيين في قطاع غزة الذي استشهد عام 1956م رثاء مرا تحت عنوان " مصطفى أنت هنا " واستشهد مصطفى مقاوما للدفاع عن الأرض والوطن ولتحرير مسجد الأقصى.

جئت فؤادي من عروقي من دمي جئت أرثيك كثير الألم

جئت أرثيك وشعبي كله ههنا محتشد في مأتم [1]

فقصائد هذا الديوان مليئة بنبرة الصمود والتحدي ورفض الذل والاستكانة للأعداء، ويمتاز بوحدة الموضوع وبتركيزجميع قصائده فيه على بطولات الشهداء للقضية الفلسطينية وباستخدام الشاعر الصورة الفنية والإيقاع الموسيقى أحسن استخدام واتخاذه وسيلة للتعبير ما تنم عن موهبة الشاعر وقدرته على الإبداع..[2]

ديوان" **وردة على جبين القدس** " يعالج قضايا السجناء والمعبدين والأسرى في سجون الاحتلال الظالم الذين يقضون أوقاتهم الغالية لحرية الوطن والأرض، ويواجهون أنواعا من التعذيب والتنكيل، ويعانون حكم الإعدام والسجن المؤبد فهذا الديوان يعامل مع قضية الوطن والأرض ويبعث الشعب الفلسطيني على الحرية والكفاح ويبشرهم بالنصر و الفجر الجديد لهم فيقول الشاعر في هذا الديوان مستهلا: " هذا إهداء إلى الأعزاء الذين أحبوا الوطن واقتدوه إلى من أحبوا الحرية، وشقوا الطريق إليها، إلى كل السجناء والأسرى في سجون الاحتلال الظالم، بشراهم بالفجر وبشراهم بالنصر".[3]

يتحدث الشاعرفي هذا الديوان عن نضال شعبه الذين يجاهدون في سبيل تحرير أرضه والحرية لوطنه وإخراج المحتلين من دياره وبيوته، فهذا الكفاح ليس فقط من أجل تحريرفلسطين بل هذه المقاومة لتعزيز القيم الإنسانية، ويسلط الشاعرالضوء بقصائده على الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للاجئين في المخيمات، و يؤكدعلى إصراره على العودة والرجوع إلى الأرض، ويحرض على المقاومة من أجله ويذكر الأشجار والجبال والصحارى والفواكه التي احتلها إسرائيل بغاية من العاطفة الجياشة فيسمى هذه القصائد ب "وردة على جبين القدس".[4]

تتميز القصائد في ديوان "وردة على جبين القدس" بما تحويه من مواضيعها التي هي ذات أهمية بالغة ومفرداتها التي هي مؤثرة تتغلغل في أحشاء القلوب ومعبرة تمتلأ بالضراوة والقساوة ومن مضمونها تكون فيها رهافة وحساسية ومبناها التي هي متماسكة قوية وآخذة بعضها البعض،

---

[1] نفس المصدر، صحفة، 13.

[2] مقالة لأحمد فضل شلول، دارناشري للنشر الالكتروني، 2017-2013 .

[3]هارون هاشم رشيد، ديوان " وردة على جبين القدس "ص 7.

[4] فائزه بسندي، محسن سيفي، أميررسول نيا، دراسة أسلوبية في جبين القدس، مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة -السنة الثانية عشر – العدد الثاني- عام 2016.

ولغتها تنبض بالحرارة والحيوية والجزالة والحماسة، وتتجلى فيها الروح الخطابية والملامح الدرامية وذلك بسبب طبيعة الشاعر الرومانسية والظروف البيئة المحيطة به حيث تأثر الشاعر بكثير من المفاهيم الجديدة التي ظهرت على مستوى الحياة العامة أو على مستوى الحياة الأدبية والنقدية، فيقول طلال الطاهر قطبي متحدثا عن ملامح هذا الديوان:" وفي كثير من قصائده التي تتبدى فيها الخطوط الدرامية يرصد صراعات الإنسان الفلسطيني في مختلف اتجاهات أو تناقضات الحياة في شتى نواحيها محاولا بذلك أن يقيم بناء فلسفيا يفسر لنا الحياة والأشياء تفسيرا خاصا تفسيرله قيمته الخاصة لأنه ناتج عن ممارسة مباشرة للحياة تمثل لها".[1]

يقول الشاعر في قصيدة مظهرا إيمانه بعظمة القدس ومعالمها التاريخية التي تجلت في كل شيئ ومتشبثا بالأرض والوطن والأخذ بالثأر وملتصقا بشريعته وقوانينها:

الله أكبر" .. فجرت تتردد والقدس، شاخصة المأذن تشهد

...من قال أنا قد نسينا ثأرنا أو أننا عن ثأرنا نتردد

عين بعين لن نغير نهجنا سن بسن شرعة تتجدد

ويضيف قائلا:

العائدون به على ميعادهم يترقبون متى يحين الموعد

نشأ التلاميذ الصغارتواليا أجيال في حضن الشقاوة تولد

يتعلمون كل صباح ترقب إن الجهاد هو الطريق الأوحد[2]

ديوان " **عودة الغرباء** " يعنى بالقضية الفلسطينية والوطن والأرض، ويتحدث عن حياة اللاجئين ومأساتهم ومشاكلهم في المخيمات وحياة الغربة والنفي والجلاء في الديار الغريبة والشعور بحنينه إلى الوطن والقدس، ويذكر الشاعر فيه الأشجار والجبال والسهول والربى التي كان له علاقة وطيدة معها، ولكن الاحتلال قضى على هذه الذكريات الحلوة وأرغم الشاعر على التهجير والمغادرة، ولكن على الرغم من ذلك أن الشاعر لم ييأس ولم يقنط من رحمةالله في حين كانت الظلام الحالك ساد على أرض فلسطين وكان الشعب الفلسطيني في الجو الخانق والحصارالاقتصادي والسياسي والعلمي وأحاطت المشاكل بهم من كل جانب، ولكنهم إنهم صمدوا كالجبال الراسيات ضد الاحتلال وهم عزل وقاوموه بالصبر والمثابرة والإيمان القوي والحب الصادق، ونفخ الشاعر فيهم روح الكفاح والنضال وأمل العودة والرجوع إلى الوطن، ولذلك صدع بحق العودة بصوت عال، ويستهل ديوانه بقصدة عائدون فيقول:

[1] موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، الجزء الرابع، 368 .

[2] هارون هاشم رشيد، ديوان "وردة على جبين القدس " ص 20.

عائدون عائدون عائدون إننا ..لعائدون

فالحدود لن تكون والقلاع والحصون

فاصرخوا يا نازحون إنا لعائدون [1]

ويضيف قائلا تحت قصيدة عنوانها "سنقطع الأسلاك " هذه الأسلاك التي تقف بيننا وبين وطننا الحبيب .. فلسطين سنقطعها .. رغم حراب العدو الظالم ".

" سنقطع الأسلاك سوف نقطع وغدا سنجتاز الحدود..سنرجع

أوطاننا ترنولنا في لهفة وتكاد أن تبكي علينا الأربع

سنقطع الأسلاك مهما حاولوا بسلاحهم وحرابهم أن يمنعوا "[2]

لو نحلل دواوين الشاعرهارون هاشم رشيد وقصائده فيها فتتجلى فيها صورة حياة اللاجئين ومأساتهم وعذاباتهم ولون الغربة والنفي والجلاء وصبغة التشريد والتهجير وألم اللجوء، و تتضح فيها حزن القتل والإعدام والاعتقال والسلب والنهب، وتنعكس فيها الشعوربالحنين إلى الوطن والإحساس بالعودة إلى فلسطين، بل يحرض الشاعر الشعب الفلسطيني على المقاومة والمكافحة للعودة والرجوع، ونادى بتحريرالمسجد الأقصى، من أجل ذلك استخدم الشاعر الكلمات الهائلة الرنانة المفعمة بالغضب والمقت و التي كانت لها أثرعميق في القلوب وتثير في النفوس حرارة الوطن والأرض وتشعل في الأفئدة روح النضال والكفاح والثورة والتمرد، وتبعث على الأمل والرجا والإيمان بالعودة والرجوع إلى الوطن يوما، ونهج الشاعر منهج الأسلوب الدرامي في أكثر دواوينه لكي يلفت أنظار العالم إلى خطورة هذه القضية ويجذب القارئين إلى أهمية موضوعها التي أصبحت هي أكبر قضية و التي تسببت بعدم الاستقرار في الشرق الأوسط.

عبر شاعرناعن الغضب والمقت الشديد في دواوينه عندما يرى أن الدنيا لا تعتني بهذه القضية ولا تهمها ألم الشعب الفلسطيني ولا صرخة اللاجئين، فيصرخ الشاعر صراخا عاليا ويهز مشاعر العالم على هذا السكوت الطويل ويقرض القصائد التي تتحدث عن الألم الشديد والحزن المهلك الذي يحمله شعبه ويواجهونه منذ مدة طويلة، ويبين الشاعر في ديوان"عودة الغرباء" وتتحدث عناوينها كذلك عن صوت لاجئي ونداء ثائر ونداء فلسطين وصوت العرب وبلادنا والعودة وألم وأرض الإسراء وصرخة لاجئي وغريب، فعناوين القصائد في ديوان الشاعر تدل على اهتمامه بالقضية الفلسطينية والاعتناء بالعودة وألم شعبه، ويكرر الشاعر هذه الكلمات والألفاظ والتعابير في دواوينه حتى اشتهر بشاعر العودة وشاعر الحلم الفلسطيني.

[1] ديوان هارون هاشم رشيد (مع الغرباء) ص 103.

[2] هارون هاشم رشيد، ديوان "عودة الغرباء " ص 108.

الفصل الثالث

هارون هاشم رشيد في ميزان النقد ومكانته في الأوساط العلمية والأدبية

اشتهر هارون هاشم رشيد بابن النكبة ويعد من روادها في هذا المشوار الذي ساهم في تطوير أدب النكبة مساهمة فعالة، وله دوربارز في تمثيل التيار الواقعي في الشعرالفلسطيني، واتخذ منهجا قصصيا في بعض من قصائده، فهو مثل ذلك التيار أصدق تمثيل موضوعيا وفنيا، وكان معلما بارزا في الشعرالفلسطيني لأنه سجل تحولات القضية الفلسطينية في أشعاره ومقالاته عبر التاريخ، وتغنى فيها بدماء الشهداء وقصص البطولات التي لا يكاد ينساها الوقت، وهو يحاول أن يربط شعره بوجدان الأجيال القادمة لكي تجد فيه النوارس البيضاء، مما يحفزهم على أمل الرجوع والإيمان بالنصر، ولذلك تغنى بشعره الأجيال العربية من الخليج إلى المحيط لما فيه من ملامح الرومانسية الوطنية والقومية وما تحمله من عذابات القهر والتشرد واليتم التي تستنهض المشاعر والهمم والعشق للحرية والحياة بالشرف والكرامة حتى أصبحت قصيدة (إننا لعائدون) النشيد القومي الفلسطيني.

قصيدة " سنرجع يوما" هي من القصائد التي تغلغلت في أحشاء أبناء العروبة الذين يتغنون بها بلحنها الشجن ورقة ألفاظها وحلاوة مفرداتها التي تمثل الروعة البيانية الوجدانية والشعورية الرقيقية الرفيعة ورهافة التعبيروالمعاني والتخييلة القوية البالغة والطاقة الكامنة العالية لما فيها من جذالة الألفاظ وعمق المعاني ورهافة البيان التي تستلهم معناها الإنساني من اتجاه العالم الواسع الرحيب، وتستوحي شعرها الوطني الملحمي المفعم بالدم والكلمة المقاومة والفكرة الثورية والنضالية والتحدية من مأساة النكبة الفلسطينية التي لم ترض إلا بالعودة والرجوع إلى الوطن.

قال الكاتب جميل بركات في كتابه (فلسطين والشعر) " أستطيع القول بأن الأستاذ هارون هاشم رشيد ابن النكبة هو أحد الرواد المنافحين عن القضية الفلسطينية بكل ما أوتي من عزم وكرس نفسه ليترجم أحاسيس قومه شعرا بأسلوب خاص متميز، خاطب من خلاله الداني والقاصي محذرا من مغبة التهاون والاستجداء وداعيا إلى مواصلة الكفاح حتى النصر كأنه يراه قريبا".

احتل الشاعر هارون هاشم رشيد مكانة سامية بين الأوساط العلمية والأدبية لما له عشرون ديوانا ورواية ومسرحيات شعرية والمسلسلات والسباعيات والإذاعات العربية والدراسات، وكان مسؤولا عن الجمعيات الأدبية والمؤسسات العلمية والندوات ومبعوثا للإدارات، ومندوبا دائما في اللجنة الدائمة للإعلام العربي، ورئيس التحرير لمجلتها لأن له أذن واعية وفهم ثاقب وقلب خفاق

وقدرة هائلة لفهم الأحوال والظروف وما يجري حول العالم، وله دوي هائل في دائرة الأدب العربي ومكانته العالية في خارطة الشعرالعربي لا تختفي عن العيون والأنظار، بالإضافة إلى ذلك هذا الشاعر حصل على الجوائز والوسامات التي قدمته الأكاديميات والحفلات الأدبية والندوات الشعرية، وذلك بفضل المجهودات المكثفة التي قام بها الشاعر في الساحة الشعرية، فقد فاز بجائزة الشارقة للشعر العربي بمناسبة دورته الرابعة ويعد هذا التكريم تقديرا لمسيرة الشاعر الذي عزز المجالات الشعرية، وحاز على جائزة أولى للمسرح الشعري من الألسكو عام 1977م، ونال أيضا الجائزة الأولى للقصيدة العربية من إذاعة لندن، وساهم الشاعر في أروع اللوحات الأدبية التي تنبض بالحماس الوطني وجعلها أداة لأبلغ المعاني الوطنية، فأقيم احتفال عظيم في تونس و حازت قصيدته (إنسان الغد) على الجائزة الأولى من القسم العربي عام 1998 وتم تكريمه عام 1990 بجائزة وسام القدس للثقافة والآداب والعلوم تنويها بإسهاماته الإبداعية في مسيرة الثقافة الوطنية الفلسطينية وتثمينا لمساهماته الوطنية في خدمة فلسطين أرضا وقضية وشعبا أعطته السلطة الوطنية الفلسطينية جائزة فلسطين التقديرية سنة 1999م تقديرا لدوره الأدبي في الساحة الشعرية، وحصل الشاعرعلى جائزة (الإبداع في الشعر) من قبل مؤسسة يماني الثقافية سنة 2004م لديوانه " طيور الجنة " ونال جائزة تكريمية في نفس السنة و تلك مع ثلاث شخصيات عربية وعالمية، منحتها مؤسسة باشراحيل للإبداع الثقافي، وفاز بوسام السلطان قابوس للثقافة والفنون سنة2007م، وأخذ من قبل وزير الإعلام الكويتي جائزة عبد العزيز الباطقين التكريمية تنويها بالإبداع الشعري سنة 2008م بمناسبة الاحتفال الكبير أقيم له، وهو لايزال يتمتع بمثل هذه الجوائز والأوسمة.[1]

يعتبرالشاعر هارون هاشم رشيد من الشعراء الذين تركوا بصمات عميقة وتأثيرات قوية على الأدب العربي من خلال فيض ما أبدعه من شعر ومسرحية ودراسات اعتنت بالقضايا الوطنية وتوضحت مع إنتاجات الشعر وفصاحة اللغة وبلاغة البيان، وعلى الرغم من هذه الانجازات الأدبية والجوائز الشعرية، أن أهم تكريم وتنويه في عينه حصل عليه هو المكانة العميقة التي نالها في وجدان الناس وقلوبهم ممن ارتبطوا بشعره أو أصغوا آذانهم إليه، ويمتاز شعره من شعراء عصره بخاصية الغنائية والبنية الدرامية والمنهجية السردية والطبيعة الرومانسية والصورة الفنية والإيقاع الموسيقى، وكان له ميزة خاصة في استخدام الكلمات والمفردات التي تتميز بجزالة اللفظ وصدق العبارة وحسن الإيقاع، وصار تكراربعض الكلمات في شعره ميزة له في أدبه، و من

[1] https://pulpit.alwatanvoice.com ,13/06/17 ,05:50 AM.

الشعراء الفلسطينيين الذين حاولوا في تنويع الإيقاعات في القصيدة الواحدة كان منهم هارون هاشم رشيد الذي كان متأثرا بالحركة الشعرية الحديثة وتفاعل معها.[1]

آراء النقاد في شعره:

حظي الشاعر هارون هاشم رشيد باعتناء الأدباء والنقاد والشعراء الذين اعتنوا بدواوينه الشعرية والمسرحيات الشعرية والدراسات الأدبية التي نالت حظوة كبيرة بين الأوساط العلمية والأدبية، فتناولوها بالدراسة وحللوها بميزان النقد وأثنوا عليها، وعلى رأسهم الأستاذ الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي، والباحث العالم محمد عبد المنعم خفاجي، والكاتب العربي اللامع وديع فلسطين، والأستاذ رضوان إبراهيم، وكذلك الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري. عندما صدر ديوان " مع الغرباء" عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة سنة 1954م نال قبولا ورواجا حسنا بين الدائرة الأدبية، فتناول محمد عبد المنعم خفاجي بتحليل بعض قصائده ورأها وحللها، وكان معجبا بأناقة الأسلوب، ورهافة التعبير والجمال الفني الدقيق في شعره، كأنه يخيل إليه هذه هي الإلهامات الشعرية ولم يكن معجبا بشعره فقط، بل قال عبد المنعم لأبي إياد : إن هذا شاعر كبير وكتب على الديوان شاعرفلسطين القومية، فقال في نهاية المقدمة " وبعد فإن الشعر المعاصر ليهتز فرحا بظهور " ديوان مع الغرباء" الذي يسجل أروع الإلهامات الشعرية ويجمع أعذب أناشيد الإباء والحرية ويحتوي على صور أنيقة مطبوعة من البلاغة والجمال الفني الأخاذ".[2]

يتمحور شعر الشاعر هارون هاشم رشيد ليس فقط حول لون واحد، وأسلوب واحد، ومنهج محدد، بل تنعكس فيه الألوان المتعددة، والأساليب المختلفة، والمناهج الشتى، ويتضح فيه الحيوية من شاعر والطلاقة والترسل الأسلوبي من شاعرآخر، والموسيقى الأثرية والإيحاءات ودقة التعبير من الشعراء الآخرين، حتى يخيل إلى القراء كأن أرواح الشعراء كلها تحلق على رأس هذا الشاعر. يقول الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتي، وهو يبرز خصائص الشعر للشاعرهارون هاشم رشيد وملامح قصائده " و لا يجوز لي أن أخفي أني في تلاوة هذه القصائد، رفرفت بجوانحي أرواح الشعراء المهجريين ... ولمعت أمام عيني ألوان طائفة أخرى من شعراء الشرق الممتازين وبخاصة عمر أبي ريشه في حيويته، وسليم حيدر في إيحاءاته، ونزارقباني في أصالته، وأمين مشرق في دقة تعبيره، والصيرفي في نعومته وموسيقاه الأثرية، والسياب والبياتي في طلاقتهما وترسلهما الأسلوبي، والتيجاني بشيرفي وثباته وأحسب أن أرواح هذه الكوكبة طوفت برأس الشاعر ومست ريشته مسا خفيفا ".[3] ويضيف عميد النقاد المعاصرين قائلا، وقد درس ديوان

---

[1] طلال الطاهرقطبي، العيون الرامزة قراءة في ديوان (وردة على جبين القدس) للشاعرالفلسطيني هارون هاشم رشيد،ص 3.

[2] أسامة إسماعيل أبوغبن، البناء الموسيقى في ديوان طيورالجنة للشاعرهارون هاشم رشيد ، جامعة الأزهر غزة ، فبرايرعام 2010.

[3] هارون هاشم رشيد، إبحار بلا شطآن ص، 225.

مع الغرباء دراسة عميقة في دراسته "...لما لمست فيه من ألوان فنية مقدورة، و تجربة شعرية ناضجة، وموسيقى عذبة رقراقة، ووحدة أسلوبية وشعورية موفقة، صور بها الشاعر هارون هاشم رشيد آلام وطنه وآماله ولواعج أبناءه المشردين أصدق تصوير".[1]

اعترف كثير من الشعراء والأدباء بأن شعرهارون هاشم رشيد هز مشاعرهم من الأعماق لما فيه من جمال وعمق وقوة سحر وصدق عاطفة وتجربة وانعكاس جوهر الخطاب الشعري وهذا فضلا عن الصورة الفنية والموسيقى الإيقاعية، وهذا يدل على موهبة الشاعر وقدرته على الإبداع والإنتاج الأدبي، ولذلك قال عبد المعطي حجازي " تقديري الشديد للشاعرهارون هاشم رشيد واعترف كما اعترف من قبل أدونيس بأن هارون هزني من الأعماق ... قد حججنا من أن نحس ما في هذا الشعر الذي يأتي إلينا من بعض زملائنا الشعراء من جمال وعمق وقوة سحر".[2]

صاغ شاعرنا شعره الوطني الملحمي بالدم والمقاومة وبعاطفة الكفاح والنضال وصبغه بصبغة ثورية تمردية ضد الاحتلال ودعا الشعب الفلسطيني إلى الكفاح المسلح، وينفخ فيهم أمل العودة والرجوع ويصدع بحق العودة أمام العالم، ويسوق قافلة الثورة في صحراء الضياع والتيه والتشرد، على الرغم من كل العواصف الهوجاء والسحاب المظلمة والغيوم السوداء والليالي الحالكة التي حفت به طول حياته، وأيقظ في نفوس الشعب الفلسطيني أرق الأحاسيس وأنبل المشاعر نحو الأرض وبرتقالها وشواطئها وأضاءت كلماته اللامعة الذهبية للفلسطينيين سرى الليل البهيم، ويبدو أحيانا أن أناشيده وقصائده تدق رقصة الفداء والحرب والثورة والتمرد والكفاح، وتثير في الناس نخوة الكرامة والعزة والشرف، ولم يخف الشاعر في الله لومة لائم ولذلك يتمنى معاصروه أن يواصل الشاعر حجة المناضل إلى نيل أهدافه التي هي أهداف العالم الإسلامي، ويقول الناقد الكبير أمين العالم " كل ما أتمناه هو أن يواصل هارون مرحلته الصاعدة، وحجة الدائم المناصل إلى أهدافه هي أهدافنا جميعا "[3] فردد الشاعر القضية الفلسطينية أينما حل ونزل في الندوات والحفلات والبرامج الأدبية والعلمية ولم ينساها في أي وقت من الأوقات، ولم يتخل عن دعواه بل خالط الحس الوطني لحمه ودمه، وتنبض لوحاته الشعرية بالحماس الوطني وأصبحت دواوينه علامة بارزة لمأساة فلسطين لأنها لم تكن إلا انعكاسا للنكبة الفلسطينية التي مربها الفلسطينييون عبر السنين والعقود، وسجلا لهموم الوطن وآلامه التي يتغنى بها الشاعر فيها منذ أن ولد إلى يومنا هذا، فتمحورت هذه الإبداعات المتعددة حول قضية الشاعر لترسيخ صورة الوطن في أذهان النشء الجديد والجيل الآتي، وقد أشارإلى ذلك الشاعرالكبير أدونيس قائلا " أن الشعر الذي يقدمه

[1] إبحاربلا شطآن، ص 231.
[2] إبحاربلا شطآن ، ص 10 .
[3] نفس المصدر، ص 10 .

هارون هاشم رشيد والذي سمعنا منه نماذج هو أيضا في مستوى التجربة الحسية لا كمفهوم وإنما كممارسة يومية يمتزج فيها الأمل بالخيبة وحقيقة الواقع الشقي ببهاء المستقبل المنتظر"[1] فكل بيت وقصيدة الذي قاله الشاعر ينبض بحب فلسطين والحنيين إلى الأرض المقدسة لدى كل مسلم.

كان الشاعرهارون هاشم رشيد من الشعراء تدفق في قلبه دماء العروبة، ويئن ويتوجع بألحانه العذبة الحزينة الأليمة، ويخفي ألمه وهمه بين كلماته الثورية وألفاظه المتمردة، حتى تغنت أبياته وتشدو قصائده وتصنع بدمها صورة أحلامه وصرخاته وصيحاته، وينبض شعره بصفة القوة و الحياة ونداء الحرية والمجد، وتجلى في شعره أثره وصداه، وتمتاز دواوينه بما تحوي من ملامح وميزات وخصائص ومن الأسلوب البلاغي والطبيعي والجمال الفني الخالص الرقيق والعواطف الجياشة المشبوبة والخيال الرفيع العالي والذوق الفطري السليم والشاعرية الموهوبة والصور والمناظر والتي كانت تنعكس فيها فصاحة الأسلوب الشعري وعذوبة الكلام الأدبي، وشعره مفعم بالأمل والمتعة الأدبية وزاخر بعماد السحر واللغة المدهشة، وعندما يكتب قلمه السيال القصائد يصير بركان الثورة، وحينما يتحدث لسانه الصارم، تفيض مشاعره الداخلية على الحروف والكلمات التزاما وصدقا، وكان له فضل كبير في كثيرمن الدوريات التي تغنت بمجد الفلسطينيين المشردين عن بلادهم الحبيبة، وكتب مراد السوداني " يعود هارون هاشم رشيد عودة شعرية وارفة إلى ترابه وبلاده محمولا على حنين مكين، حنين ذابح وجارح في آن، مواصلا النشيد بحتمية العودة ... الذي يصرعلى منازلة الاحتلال من قبل ومن بعد " واعترف الشعراء والأدباء ببراعة الشاعر وقدرته الإبداعية في فن الشعر، ولم يجدوا بدا على ما قال شاعرنا ولاذوا بالسكوت كما يقول أدونيس" لا أجد ما أناقشه في ما قدمه الشاعر هارون هاشم رشيد، فلا أملك إلا أن أقول أن ما قدمه هو وثيقة حياتية وأعترف أنها أخذتني بحرارتها ومباشرتها".[2]

وكان شعرالأستاذ يفيض من الألم والحزن والثورة والتمرد ومفعما بأثر جذاب ووحي صادق تنبع من أعماق قلبه وتتغلغل في أحشاء النفوس لأنه من الذين ذاقوا مرارة النكبة وعانوا من أهوالها الفجيعة ما عانوا من قتل تشريد وتدمير وتهجير، وعايشوا مأساة اللاجئين، فتدفق الألم والحزن في صورة الشعر الثوري الحماسي الذي يزخر بالحس الوطني والحنين إلى الوطن والمشاعر والعواطف القومية التي تفيض بمطالبة حق العودة والرجوع، فيقول الأديب العربي المصري " وديع فلسطين " وهو يبرز ملامح شعره وصور أدبه الفنية الدقيقة " شاعر سكب آلامه وآماله في شعرنضيد العبارة، مجلو البيان، سريع النغم، دفاق الحماسة يضرب على أوتار رخيمة، فيستجمع في القارئ

[1] هارون هاشم رشيد، إبحار بلا شطآن ، 10 .
[2] هارون هاشم رشيد، إبحار بلا شطآن، ص 10.

كل انتباهه" [1] فحاول الشاعر أن يهز مشاعر العالم تجاه اللاجئين والمشردين الذين لا مأوى لهم ولا سكن لهم وهم يعيشون حياة بائسة ويموتون جوعا في الخيام والكهوف، ويلفت أنظار المجتمع العالمي إلى حل هذه القضية المأساوية التي تهدد الأمن في المنطقة، وتزعزع الاستقرار في الشرق الأوسط، فركز الشاعرعنايته بخيام اللاجئين والكهوف في ديوانه مع الغرباء وتناول بنسج من آلام البائسين وهموم الحانقين، واهتم بأنات المساكين واليتامى وعبرات الثكالى، وصور الأجسام العارية في كلمات متفجرة ذات الثورية العارمة التي توقظ الغافلين من مترفي العرب عن هذه القضية ذات الخطيرة البالغة، وقد أشار الدكتور عبد المنعم خفاجي " يظهر ديوان مع الغرباء للشاعر الفلسطيني الموهوب هارون هاشم رشيد في أجمل رونق وأروع صورة، محلى بالعديد من اللوحات الفنية النابعة ...ولمنزلة الشاعرهارون هاشم رشيد في الشعر الفلسطيني، بل في الشعر العربي المعاصر... ولاشك أن ظهور الديوان حدث جديد في الأدب الفلسطيني بل وفي تاريخ فلسطين الراهن وسيكون بإذن الله بدء البعث في حياة فلسطين الحرة الكريمة ".[2]

أثنى أبوأياد على ملحمة الشاعر هارون هاشم رشيد (مزاميرالأرض والدم) وتحدث عن جمال تعبيرها ورقة أسلوبها وسلامة ألفاظها وقوة معانيها وقال" إني اعتبر هذه الملحمة صورة صادقة تعبرعن احساس كل مقاتل وكل فدائي يحمل شرف النضال ويؤمن برسالة الفكر و الكلمة".[3]

وقال الدكتور كامل السوافيري مثنيا على أسلوبه في الشعر" يمتاز شعره بالسلاسة والسهولة وعذوبة كلماته ورقتها والبعد عن الألفاظ الصعبة والكلمات الغامضة كما يتميز أسلوبه في شعره بالوضوح فهدفه بين، وقصده واضح".[4]

من غيرريب أن خبرة هارون هاشم رشيد أعمق وأوسع الخبرات الفنية الكفاحية النضالية لأنه من أبناء الوطن السليب وذاق مرارة المأساة وعاش في ظلالها، فملحمة هارون هاشم رشيد يقف أمام الملاحم الكبرى وتتوافر لها أركان الملحمة الفنية كلها وعناصرها الكاملة لأن فيها الموضوعية والروح القصصي الخلاب ولذلك يقول أبوأياد مادحا خصائص هذه الملحمة وعناصرها وأسلوبها الآخذة بعضها البعض وتعبيرها الجذابة " أن النقاد سيقفون طويلا عند القيم الجمالية والخصائص الفنية لهذه الملحمة وسيعجبون بشعر الشاعر الشفاف وصوره الحية المتحركة وقدرته على رسم الشخوص والأحداث والغوص إلى أعماق النفس البشرية وتجسيد أعمال البطولة

[1] هارون هاشم رشيد، إبحار بلا شطآن ، ص 231 .
[2] نفس المصدر، ص 232.
[3] ديوان هارون هاشم رشيد (مزاميرالأرض والدم) ص، 817.
[4] كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين ص 271.

ولحظات الهول إلى غير هذا من وسائل التعبير و التصوير".[1] زخرت دواوينه وقصائده بعاطفة المقاومة ولهبة الثورة ومفعمة بدعوة إلى الكفاح والنضال، ومليئة بروح التمرد والمقت الشديد والغضب، ولم يكتب هذا الشاعر إلا للحلم الفلسطيني، ولم يقرض شعرا إلا في حب الوطن وعشق المسجد الأقصى، وتثبث بموقفه وشعره لأجل الحفاظ على فلسطين أرضا ووطنا وشعبا، وفي عينه كانت فلسطين هي الاسم والعنوان وهي النهاية والبداية، ولن تنطفأ هذه الشعلة إلا بتحرير أرض فلسطين والمسجد الأقصى من الاحتلال الصهيوني.

[1] ديوان هارون هاشم رشيد (مزاميرالأرض والدم) ص519.

الباب الثاث

القضايا الفلسطينية والاتجاهات الوطنية في شعر هارون هاشم رشيد

مر الشعر الفلسطيني بالظروف القاسية وواجه الأوضاع الحرجة في القرن العشرين وعانى من الاضطراب والفوضى والتمرد والثورة، وشاهد الاستعمار والاحتلال والتدمير و التخريب والتشريد والتهجير، ولذلك إنه احتوى على الكيان المميز، واشتمل على الاتجاهات المعينة والخصائص المنفردة، و كان يحمل صبغته الخاصة ومذاقه النادر ولونه المتميز، فجاء شعر في حيز الوجود يرتبط بقضية كل مسلم، ويتعلق بكفاح شعب ما لا يزال يناضل في سبيل استرداد أرضه ووطنه، وأهم الجوانب الذي تجلى في الشعرالفلسطيني هو الجانب الوطني لعلاقته الوثيقة بالقضية الفلسطينية لأن فلسطين منذ عام 1917م وهي السنة التي احتلها الإنجليز إلى عام 1967م وهي السنة التي احتلت فيها كامل التراب الفلسطيني، ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا تعيش فلسطين الأحوال المأساوية والمراحل الكفاحية والنضالية على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وهذه الأحوال والظروف كلها تتعلق بالجانب الوطني الفلسطيني.

الفصل الأول

تطورالاتجاهات الوطنية في الشعراء الفلسطينيين

لقد شهدت فلسطين أنواعا من الاضطراب و الفوضى و التمرد و الثورة، و ألوانا من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي منذ سنة 1917م خاصة وهذه السنة هي في الحقيقة فاتحة الاستعمار الجديد الذي رسخ أقدام الصهاينة ومهد الطريق لإنشاء الوطن اليهودي، نتيجة لذلك برزت أنواع جديدة من الصراع والمقاومة والمكافحة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي مما أدى إلى القضاء على الاحتلال البريطاني، ولكن تأسست دولة لم توجد من قبل وهي دولة إسرائيل، وظهرت القضية الفلسطينية منذ أن احتلت بريطانيا فلسطين واستعمرتها التي تحمل الأبعاد المختلفة إقليميا وعربيا وعالميا والمستويات المتعددة التي تبرز على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنضالية.

لا شك فيه أن نكبة سنة 1948 م التي نزلت بالشعب الفلسطيني كانت مأساة كبرى وكارثة إنسانية فادحة، إذ كان من أسبابها، تشتت الوطن واحتلال الأرض واغتصابها وتشريد المواطنين عن أوطانهم وأراضيهم وممتلكاتهم، والتجاءهم إلى المخيمات البالية والكهوف المظلمة السواء، ومعاناتهم من الذل والهوان والظلم والجور، ومواجهاتهم حياة قاسية في ظل الواقع الأليم والعذاب الجديد، وكانت الهزيمة النكراء التي وقعت عام 1967م بيد الاحتلال هي وسمة العارعلى جبين العالم العربي والإسلامي، فيها أكمل الصهاينة اغتصاب ما بقي من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتولت من بطن هذه النكسة عدد كبير من النازحين والمتشردين الذين طردوا من أراضيهم عنوة إلى الدول المجاورة العربية وغيرالعربية، وجابوا وتاهوا في حالة من الاضطراب النفسي والضياع والتشريد، ووضع السد لمن كان خارج الوطن، وهكذا نشأت مأساة جديدة في تلك الآونة، وهذا وقع فوق ما كان يتوقعه الشعب الفلسطيني من النازحين ومازال الاحتلال الغاشم ينزل أبشع صورالذل والهوان بحق الفلسطينيين وما زال يمارس سياسة لإبعادهم عنوة عن الوطن والأرض حتى إلى يومنا هذا.

أكب الشعراء والأدباء على نكبة عام 1948م، وهزيمة عام 1967م وما أعقبها من تفرق أبناء الشعب الفلسطيني وتشتتهم داخل الوطن وخارجه وقيام دولة جديدة مكانه، فصوروا مأساتها وأشكالها المختلفة، ووصفوا مناظر أليمة للرحيل والنزوح والهجرة التي مر بها الفلسطينييون اللاجئون، ورسموا معاناتهم ومشاكلهم وعذاباتهم في حالة النفي والجلاء والغربة، واهتموا بالمذابح

والمجازر التي ارتكبها الصهاينة بحق الفلسطينيين في طريق ترويعهم وإرغامهم على مغادرة أرضهم وديارهم ليسكن مساكنهم المغتصبون الظالمون من شتات البلاد، فتفجرت قرائح الشعراء والأدباء للمحنة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ونطقٍ لسانهم وتولدت لديهم أساليب جديدة ورؤية شعرية نادرة وصور دامية لها.

استحوذت ظاهرة الغرباء واللاجئين على المشهد الفلسطيني في تلك الآونة، وبدأت سلسلة من المجموعات الشعرية بتلك العناوين، فصدر ديوان " المشرد " لأبي سلمى ونال رواجا حسنا بين الأوساط الأدبية والعلمية، وكذلك طلع ديوان " عائدون " ليوسف خطيب على المشهد الأدبي وكان له دوي بين العالم العربي والإسلامي أيضا ويمتاز بمجموعته المتميزة المبكرة، ولعل أول مجموعة فلسطينية تعالج مأساة اللاجئين، وكذلك ديوان " مع الغرباء"و"عودة الغرباء" للشاعرنا هارون هاشم رشيد الذي ظهرعلى سماء الأدب العربي وأشعل مصباح الأمل والرجا للعودة وصدع بحق العودة، وهناك مجموعات أيضا تنطق بالجرح الفلسطيني مثلا " حيفا في سواد العيون للشاعر حسن البحيري و" كلمات فلسطينية " للشاعرحسن النجمي و" فلسطين على الصليب " للشاعرمعين بسيسو[1] فهذا لون من تجليات الاتجاهات الوطنية الذي تجلى في الشعر الفلسطيني ونوع من انعكاساتها الذي انعكس واضحا جليا في آداب الشعراء الفلسطينيين ولمع في كتاباتهم أكثر بكثير.

تمحورالاتجاه الوطني في الشعرالفلسطيني حول القضية الفلسطينية كمحورأساسي لها، واهتم بقضاياها ومشاكلها بأبعادها المختلفة وأشكالها المتعددة، واعتنى بقضايا الشعب الفلسطيني ومأساتهم ومشاكلهم قبل النكبة وبعدها داخل الوطن وخارجه، والتصق بهذه القضية المعقدة الهامة من خلال تعبيرالحب عن وطنه والانتماء إليه والاعتناء بأحداث وطنه وتأريخه لها، وقام بتفسيرجهات قضيته إقليميا وعربيا وعالميا، وذلك بإشعال الحس الجماهيري الوطني، ونفخ روح الحماسة الوطنية في نفوس الشعب، وبطريق دعوة القوى الفلسطينية العربية والإنسانية إلى الدفاع عن حقوق الفلسطينيين للعودة، وببث روح الحلم الفلسطيني والأمل في نفس الشعب الفلسطيني.

شهد الشعراء والأدباء والكتاب في فلسطين هذه الأحداث والمأسات والتطورات، وذاقوا مرارتها التي تحل وتنزل بأرض فلسطين، وتفاعلوا معها وتأثروا بها، وقام الشعر بأثقالها وخط خطوطها وملامحها وأشكالها وتفاصيلها التي أصبحت عاملا من عوامل نهضة الشعر في تلك الأوضاع والتي رسمها الأثر الديني والتاريخي اللذان قاما بتشكيل الملامح الشعرية في الشعرالفلسطيني، والتي تتجلى فيه بغاية من الوضوح ولم يختفي فيه الأثر الأدبي والأسطوري بل

[1]الدكتوركامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين،ص 85.

هذه المؤثرات ساهمت في بناء الهيئة التشكيلية للشعر مساهمة بارزة في الشعرالفلسطيني، وينعكس فيه الانتماء القومي والافتخار والاعتزاز به كما قال الشاعرالفلسطيني محمود درويش " سجل أنا عربي " وصور الأحداث العربية التي كانت تحدث وتهز المشاعر العربية، ولم يسلم من العوامل الشخصية والثقافية بل تلك الملامح والصور تبرز فيه بأوضح أكثر من العوامل الأخرى، بالإضافة إلى ذلك تأثر الشعرالفلسطيني بالمؤثرات الإقليمية أيضا التي تتجلى فيه بشكل سياسي ونضالي واجتماعي و ثقافي والتي كان لها دورحاسم في رسم الملامح الشعرية الفلسطينية، ولا يمكن الإغماض عن المؤثرات الأجنبية في تلك الآونة، وكان لها أثرواضح من العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية عبر مسافاتها الشعرية الطويلة والتي كانت لها دور في رسم الملامح الموضوعية و الفنية في الشعرالفلسطيني.[1]

استلهم الشاعرالفلسطيني من التراث العربي القديم على المستوى الديني والتاريخي والأدبي وصاغه في القصيدة واتصل به اتصالا قويا، واستفاد من العوامل الفكرية والسياسية والأدبية والثقافية في العالم العربي، وعندما تعرضت بلاده للظروف السياسية والتاريخية والنضالية والفكرية والتي مرت بها عبرمراحلها المتعددة، وخضعت للمخططات السرية والمناهج الاستعمارية والممارسات اليهودية للسيطرة على البلاد ومرافقها وممتلكاتها وطمس الهوية العربية فيها، فسارع الشاعر لدمج العناصر الإقليمية والبيئية كلها في شعره للحفاظ على الوجه الفلسطيني الديني والقومي والشعبي، وارتبط الشاعربالعالم الخارجي بعد وقوع النكبة، وذلك بعد أن هاجر عدد كبير من الأدباء والشعراء إلى البلاد الأجنبية وإطلاعهم على الأفكارالأجنبية وعلمهم بالثقافات وتفاعلهم مع الأحزاب السياسية والمذاهب الأدبية و تأثرهم بحركات التحرر الوطني في العالم.

مر الشعر الفلسطيني بعدة مراحل في عهد الانتداب، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الغفلة إلى اليقظة التي فيها تعرضت فلسطين للأوضاع القاسية والظروف الصعبة وكانت بمرصاد الأطماع الخارجية التي تريد أن تبتلعها، سيطرت بريطانيا على هذه الأرض واستعمرتها حفاظا على مصالحها التجارية ونفوذها السياسية في المنطقة ولكنها باءت بالفشل ولكن فلسطين أصبحت فريسة الاحتلال الصهيوني، وهي الأحداث أثارت هزة عنيفة في قضايا الشعر الفلسطيني مما أوصل الموضوعات والقضايا في الشعر بالأحداث السياسية والتاريخية والاقتصادية في فلسطين، وكان الناس في الغفلة من أمرهم وإنهم يريدون التخلص من الحكم العثماني بأي حال من الأحوال، ولذلك اعتمدوا على الإنجليز لقيام الخلافة الإسلامية وتحريرهم من وطأة الحكم العثماني، ولكن لم يوف الإنجليز بالوعود وخالفوها، وفي الوقت نفسه حاكت بريطانيا مع مواليها المؤامرات والدسائس

[1] سعدي أبو شاور، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 86.

ضد العرب وخططت إنشاء دولة قومية يهودية في فلسطين وبدأت تباشيرها تظهررويدا رويدا، وقتئذ صحا الناس من السبات العميق واطلعوا على مؤامرة الاستعمارالبريطاني، وتم إعلان من قبل بلفور بإنشاء الوطن اليهودي، فخالف الناس هذا الإعلان مخالفة شديدة ورفضوه رفضا باتا، وأخذ الشعرالفلسطيني يهتم بتلك الأحداث والتطورات السريعة التي تحدث في أرض بلاده، و يتنبه إلى نيات الوافدين وأطماعهم وثم بدأ يؤدي دوره في رسم ملامح تلك التطورات وتنبه الشعب أيضا أخطارها ودوافعها.[1]

وتبدأ مرحلة الرفض والاستنكار لتلك المخططات والأطماع الاستعمارية التي فتحت فمها لابتلاع فلسطين، ولم ينس الشعرالفلسطيني دوره في تنبيه الناس، وفي إيقاظ الشعور بالحس الوطني في قلوب الناس بل صمد وثبت كبنيان مرصوص، وفضح المؤامرات السرية للإنجليز أمام الناس، ورفض دسائسهم رفضا باتا، وتنبه إلى بيع الأراضي وامتلاك اليهود لها، وندد بالسماسرة الذين يوفرون خدماتهم لهم تنديدا عنيفا، وتنبه إلى العوامل أيضا التي تساند الأعداء في الحصول على أهدافهم، ودعا الأحزاب إلى تسوية الصراع الداخلي والقضاء على الاختلاف الشديد الذي ينهك الحركة الوطنية، وناداهم للعمل من أجل البلاد وخلاصها، وعندما لم تأت هذه المجهودات بالثمار اليانعة، فاعتنى الشعر الفلسطيني بالطاقات البشرية والمادية في فلسطين، ونفخ الروح النضالية والوطنية، وأشعل شعلة الحس الوطني في نفوس الشعب الفلسطيني لتحرير البلاد والقضاء على الظلم والأذى على كواهل الشعب الفلسطيني، وتلك الثورة لم تأت إلا بالضياع سوى بعض الأشياء، وهذه ملامح الضياع أصبحت جزءا لا يتجزأ من الشعرالفلسطيني بل تنعكس فيه واضحا جليا.

ثم تأتي مرحلة النكبة إلى النكسة، ظهرت فيها صورة الخطيئة واللاجئين الفلسطينيين ومأساتهم ومعاناتهم في المنفى والغربة، وتبدو ألوان ذكريات الماضي فيه وتبرز صورة الأمل بالعودة والرجوع إلى الأرض والوطن، وفي الأخير لمعت فيه حياة الفلسطينيين في الأرض المحتلة ومشاكلهم ومحنهم ومعاناتهم تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي وما إلى ذلك، فعالج الشعر الفلسطيني في مرحلة الثورة قضية الوطن بقوة أكثر من قبل المراحل السابقة، واعتنى بحبه ودور الشعب في الدفاع عن حوزة الوطن والحفاظ على حرية الأرض المقدسة، و يذكر الشاعرسليم اليعقوبي افتخار الإنسان بوطنه العزيز و اعتزازه به والقيام بدوره في الحفاظ عليه وفي دفع الضرر و الأذى عن البلاد وسلامتها وتربة حمايتها فيقول في قصيدته:

بحماة الوطن يعتزابن الوطن هم له في المحن لا دجال ليل المحن

[1]سعدي أبوشاور، تطورالاتجاه الوطني في الشعرالفلسطيني المعاصر، ص 105.

وبهم لم يبق فيه من ظلم ...مزقوا من يبغضون الوطنا

ليس بالإنسان من يأبى الوطن واهزموا من يوقظون الفتنا[1]

وعبر الشاعر إبراهيم طوقان عن حبه الشديد لبلاده وخدمة شعبه وقومه، ويلفت أنظارهم إلى خطورة الأوضاع، ولم يتخلف الشاعر عبد الرحيم محمود في هذا الصدد، فهويفتخر بقومه الذي لا يقبل الاستسلام والانهزام والضيم وينادي بدعوة المكافحة والنضال والمقاومة للدفاع عن الوطن والتمرد على الظلم والجور، ولم يال الشاعر محمد العدناني جهدا في أداء دوره في إيقاظ الوعي تجاه الأرض المقدسة و بث الروح الوطنية في نفوس الشعب الفلسطيني، وهو يذكرهم بالتاريخهم المشرق المليئ بالمآثر و الانتصارات، ويدعوهم إلى الثورة على الاستعمار والاستماتة في سبيل التحرير والنصر، ولم يتلعثم الشاعر المسيحي خليل السكاكيني على افتخار بقومه الذين يرفضون قبول الأذى ولا يغمضون عيونهم عن الضيم بل يسارعون لدفع الظلم إذا ظلموا فيقول:

نحن قوم أبيونا ولا نقر الأذى فينا

لا نبالي منايانا في سبيل أمانينا

ويضيف قائلا وهويخاطب بلاده:

يا بلادا ورثناها عن جدود ميامينا

يا بلاد هويناها واتخذنا الهوى دينا

وكان الشاعر عبد الكريم الكرمي الملقب بأبي سلمى من أقدر الشعراء الفلسطينيين على إثارة القوة الثائرة في قلوب الناس وما أروع وأعجب ذلك الوهج الجامح في قوله:

ونحن الذين نثورعلى الظلم

والجهل في كل حين

فلسطين إنا بنينا الحضارة

فوق العصور كما تعلمين

ونحن الذين حملنا الرسالة

للأولين والآخرين

وتسيرعلى جانبينا الشعوب

ونحن أمام الصباح المبين

ومبدأنا عالم واحد

[1] سعدي أبوشاور، تطورالاتجاه الوطني في الشعرالفلسطني المعاصر، ص 117.

وتخليد حرية العالمين

لقد بدأ الشعرالفلسطيني في هذا الطور يثير الهمم ويبث روح الوطنية في نفوس الشعب كتوطئة للمكافحة والمقاومة والنضال ضد الأعداء ومخططاتهم، وهويرسم للناس ماضيهم العريق، ويصور لهم الفتوحات السابقة في ساحات الكرامة والبطولة، و يصور أيضا تاريخهم المجيد الرائع الذي سجله قلم التاريخ بماء الذهب، ويوضح لهم طبيعة النفس العربية التي لا تقبل الاستسلام والانهزام والعبودية وترفض الذل والهوان ولم تصبر على البغي والظلم والضلال، ثم جاءت مرحلة دخل فيها الشعر الفلسطيني في معركة تحرير البلاد وتطهيرها من براثن الاستعمار، واحتلال الصهيونية حفاظا على تلك الثورات لتكون علامات كفاحية على مرالدهور والعصور والتاريخ، فاتخذ الشعر الفلسطيني أول المناهج الكفاحية في قصائده في هذه المرحلة، وهي دور الشعب في دفع الثورات إلى الأمام، فخاطب الشعب وهو يحرض على الكفاح والنضال لتحرير الأرض والوطن.

فيصمد الشاعربرهان الدين العبوشي في وجه الاستعمار والاحتلال، ويحرض الشعب على الكفاح والنضال والاستهانة بالموت في سبيل الحرية والخلاص فيقول في قصيدته:

قم وسرفمثلك لايموت وإن طغى الأشر
أردوك في نار الهوان فبت فيها تستعر

وصبرت صبرمؤمل
فمتى اصطبارك ينفجر

ياشعب قد آن الأوان
فسر و طالب قم وثر
إنا إذا مال الزمان بنا سنرجع ما غبر[1]

ويصرخ الشاعر أبوسلمى بقومه ويخاطبهم قائلا :

يا أيها الشعب المقدس قل لي بربك كيف تهدا
يتدفق العذاب الزلال ويرتوون وأنت تصدى
أنت الذي تهب الخلود فيحملون إليك لحدا
وتحطم النير الرهيب فيجعلون النير عقدا

[1] سعدي أبوشاور، تطورالاتجاه الوطني في الشعرالفلسطيني المعاصر،ص 120.

وخاطب الشعر الفلسطيني أحرار البلاد، وتغنى ببطولات الشهداء للوطن ونوه بفدائهم له، ونوه عبد الرحيم محمود بتضحيات الأبطال الذين قدموها في خدمة الوطن والدفاع عن حوزة كرامته وشرفه وحريته فيقول :

نحن المصادر والموارد وسلاحنا فستل السواعد

هاماتنا للمجد يرسو حين نبدعه قواعد

ودماؤنا الحمراء للحرية العليا روافد

وهذه حقيقة لا مراء فيها، تنشأ الثورة من بواطن المادة البشرية لحل القضية التي لا تنحل إلا بالمكافحة والنضال والمقاومة، وهذا لا يأتي إلا بالصبر و المثابرة، وهذا هو الاعتقاد الراسخ و الإيمان العميق يؤمن به برهان العبوشي في قوله:

يا شعب غيرك لا يحل قضية

لعبت بها الأهواء ستة أشهر

باعوا حماك وأنت تنظر والدما

تجري وعيشك كالظلام الأكدر

ياشعب دونك والسلاح فلا أرى

منجاة عزدونه في الأعصر[1]

وبدأ الشعر الفلسطيني يدعو بالصراحة إلى الجهاد والنضال، وينفخ في صدور الناس روح الثورة ويبث في صفوف الناس الروح النضالية ويحرضهم على خوض غمار الثورة، وفي الوقت نفسه نوه بالشهادة في سبيل الحرية والدفاع عن أرض الوطن، ولذلك دعا إبراهيم طوقان الناس إلى الثورة والكفاح في وجه المحتل الغاصب، وهز مشاعرهم النائمة وحرك عواطفهم الراكدة ويرفع صوته قائلا:

انفروا أيها النيام فهذا يوم لا ينفع العيون كراها

وأشعل برهان الدين العبوشي مجامر الحمية العربية في نفوس الشعب، وهز نخوتهم العربية الأبية التي لا تقبل الذل والهوان والاستكانة من خلال صدعه بالشعب للنضال والكفاح والجهاد ومقاومة الأعداء، وخاض عبد الكريم الكرمي في دعوة شعوب العرب بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة إلى إثارة الثورة العارمة ضد الاحتلال وأنصاره من أجل تحريرالوطن ويقول في قصيدة:

إيه شعوب العرب أنتم مبعث الأمل الجديد

[1] تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني ص، 12.

سيروا على الترب المخضب والثموا أثرالجدو

حرية الإنسان بالد م تشتري لا بالوعود

ويتقدم الشاعرمحمد العدناني بصوته المجلجل إلى عرب فلسطين، ويدعوهم إلى مواصلة المقاومة والثورة والتمرد ضد الإنجليز والصهاينة وأعوانهم وأنصارهم وذلك لأنهم كانوا يعذبونهم بالناروالحديد، ويوقعون بينهم الضحايا، وينزلون فيهم أبشع أنواع الظلم والجور، وحافظ الشعرالفلسيطني على الثورة في بلاده، وخلد ذكريات البطولات التي أثارت تلك الثورة والنضال، وفي الوقت نفسه تغنى ببطولات الشهداء وذكرياتهم التي أصبحت معلما ونبراسا للذين يريدون أن يسلكوا على دربهم من أجل تحرير الوطن والعودة إلى الأرض المقدسة، ولذلك نرى أن رثاء الشهداء والأبطال في دواوين الشعراء الفلسطينيين احتل مكانا بارزا، ويردده الأجيال الفلسطينية جيلا بعد جيل، وفي رثاء قدمه الشاعرعبد الرحيم محمود في ذكرى صديقه الذي استشهد في ساحة الحرب وهو يقارع الأعداء و يكافحهم:

إذا أنشدت يوفيك نشيدي حقك الواجب ياخير شهيد

ثم تغيرت أنواع المعاناة والكبت وأساليب لتضييق الخناق على الشعب الفلسطيني، وبدأت ألوان جديدة من المحن والمشاكل والشدائد التي تستخدمها قوات الاحتلال وتمارسها الحكومة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين لقمع الثورة العارمة والروح الوطنية النضالية والقضاء عليها تماما بكل ما في وسعها من جور و ظلم و قوة، فأصدرت أحكام الإعدام الجماعية والفردية، وهدمت المنازل والمدن والقرى، وحرقت المزارع، وخربت المساكن والأحياء ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي هذه الجرائم البشعة، ومارس الأحكام الجائرة بالسجن المؤبد والنفي والجلاء والتشريد والتهجير والسلب والنهب وهتك المقدسات وأماكن العبادة والحرمات، فتصدى الشعر الفلسطيني لتلك الجرائم البشعة والشدائد الصارمة العنيفة ضد الشعب الفلسطيني وكشف الستار عنها، فيقول الشاعر أبوسلمى في قصيدة:

هل تشهدون محاكم التفتيش في العصرالجديد

قوموا أنظروا الأهلين بين الوعد ضاعوا والوعيد

ما بين ملقى في السجون وبين منفي وشريد

أوبين أرملة تولو ل أوريتم أو فقيد

أوبين مجهول يرى عصف المتون من النشيد

قوموا أنظروا الوطن الذبيح من الوريد إلى الوريد

ويتكلم الشاعر مطلق عبد الخالق عن القتل والإعدام التي اتخذها الاحتلال كأداة لقمع الكفاح للوطن وكبت روح الحرية ضد الشعب الفلسطيني وما تركه ذلك المنهج من مشاكل ومحن

وعذابات، ويتحدث عن سياسة الاحتلال في تخريب المدن والقرى لتخويف الناس وملأ الذعر والرعب في قلوبهم، ويعتني بنقض العهود كمقدمة من ضمن المجهودات المكثفة للقضاءعلى الثورة وإطفاء نيران الوطنية التي تتلظى في القلوب فيقول مطلق عبد الخالق:

هذه يافا وذي أجداثها ناطقات بالذي يجلو الخفاء
قد غدرتم ونقضتم ذمما فجزيناكم ودادا وولاء
وحرقتم دورنا آهلة فأويناكم رجلا ونساء[1]

واهتم الشاعر السيد رشيد الحاج إبراهيم بمعاناة النفي والتشريد والجلاء، واعتنى بألم الغربة واللجوء والاضطراب النفسي في أبيات التي يعبر فيها عن ألم الفراق وحزن البعد عن الوطن والمشاكل في المنفى وفراق الأصدقاء والأحباء فيقول:

أوديع في الزمان أعاني ألم البعاد وفرقة البستاني
قدكنت في الأحبة منهلا يروي الظما ويحل عقد لساني
أمسى وأصبح للأحبة ذاكرا شوقا ونعم الشوق للخلان

فندد الشاعر برهان الدين العبوشي بأنواع من المشاكل والمصائب التي تنزل بالشعب الفلسطيني ينزلها الاستعمار والاحتلال، واستخدمتها بريطانيا لترسيخ أقدام اليهود في فلسطين، ومارست أبشع أنواع من العذاب والتنكيل ضد الفلسطينيين حتى لم يسلم رجال الدين وأصحاب المقدسات وأماكن العبادة من جور الاحتلال وعدوانه فيقول بصوت عال وهو يذكرها:

أرهقتمونا وقربتم منايانا واليوم تبغوننا ننسى ضحايانا
لا تتركوا فوقها أنثى ولا ذكرا إلا قتلتم له أهلا و إخوانا
ولم تراعوا لأهل الذين حرمتهم بل انتبذتم وراءالحبور صبيانا

فهذه القصائد والأبيات على الرغم من كونها شعبية، ارتسمت على شفاه الناس إلا أنها ساهمت في الشعر الفلسطيني في إظهار ملامح المعاناة وإبراز المأساة التي يئن تحت وطأتها الشعب الفلسطيني، ففي هذا الدور الذي يبدأ من العقد الرابع من القرن العشرين، نرى قضايا جديدة دخلت في الأدب الفلسطيني وتأثر بها الموضوعات، وبرزت في هذا الدور قضية الوطن بقوة وما يرافقه من الموضاعات، فمثلا حب الوطن والتضحية في سبيله، ونداء الحفاظ على الأرض، وليست قضية الوطن جديدة على الشعرالفلسطيني إلا أنها اتخذت بعدا شاملا ولونا شديدا بعد أن تعرضت فلسطين للاستعمار البريطاني والاحتلال الإسرائيلي، وظهر اللون الفاقع من

[1]سعدي أبوشاور، تطور الاتجاه الوطني في الشعرالفلسطيني المعاصر، ص131، عام 2013 .

الوطنية وتمثلت فيما إليه الشاعر ينتمي، والعلاقة القوية بين الشاعر ووطنه في حين يجد فيه من يرغب في تحرير الوطن منه، ويتمحور الشعر الفلسطيني حول المادة البشرية في هذه الوطنية التي تثير الروح النضالية للوطن، ولذلك اهتم الشعر الفلسطيني بالشعب وخاطبهم مباشرا وتفاعل معهم وذكر دورهم في خدمة بلادهم وحفاظهم عليها ودفاعهم عنها وبذلهم من كل غال ورخيص في سبيل تحريرها، واعتنى بدعوة الشعب إلى الثورة والجهاد ضد الاستعمار و الاحتلال دفاعا عن وطنهم، وحفاظا على حرية الأرض المقدسة واستقلالها، وأثار الحس الوطني في نفوس الشعب، و ألهب الروح الوطنية في نفوسهم، و شد أزرهم وحرضهم على مواجهة الصعوبات والأحداث، وقضى على الخوف والذعر والجبن والروح الانهزامية، ولايمكن الإغماض عن دور الشعر الفلسطيني في تسجيل الآثار التي ترتبت على المكافحات والثورات التي مارستها الاحتلال لتضييق الخناق و روح الثورات التي كانت له السيف البتار، فسجل الشعر الفلسطيني تلك الممارسات كالسجن المؤبد وتدمير البيوت و حكم الإعدام ومصادرة الممتلكات والأراضي والجلاء والنفي والاعتقال والسلب والنهب وتخريب المساجد والمدارس والمستشفيات، ولم ينس أيضا أن يتحدث عن شهداء الوطن وتضحياتهم الذين رووا بدماءهم أرض الوطن دفاعا عنه.

وبدأ الطورالذي فيه وقعت الهزيمة وتم التشريد والتهجير من الشعب الفلسطيني إلى الدول المجاورة والدول الأجنبية، وكانوا يحملون في طياتهم ذكرى أوطانهم وأراضيهم ويتركون أموالهم وممتلكاتهم في بلادهم، وهم مضرجين بآلامهم وأحزانهم وجراحهم وهم يتجرعون كؤوس الغربة والنفي والجلاء، وفي كلمات غسان كنفاني " حين أخذ الإحساس بالهزيمة، وفقدان الوطن مداه، ارتدت كل تلك العواطف إلى الطرف الآخر... مع ظروفها الجديدة علاقة من نوع جديد هو الآخر بإشعارها بقوتها ووجودها وهي علاقة التحدي والنزال"[1] وهذه المرحلة أصعب وأشد من الفترة عام 1967م-1948م حتى انفجر بركان الثورة والمكافحة والمقاومة، وتلألأت نجوم من الأدباء والشعراء على سماء الأدب الذين ذاقوا مرارة اللجوء والنفي والجلاء، وواجهوا الاعتقال والسجن والإعدام والاغتيال لأنهم يحملون ذكريات الوطن والأرض، وشاهدوا ما كان ينزل بشعبهم من قتل وتهجير و تشريد وسلب ونهب، فترنحت أعطافهم للأرض وذاد شعورهم القوي بالحنين إلى الوطن، فظهرعلى الساحة الشعرية محمود درويش وهو رائد في المقاومة الفلسطينية ومؤمن بقصية وطنه، وكان شعره مفعما بالثورة والتمرد والحس الوطني ويمتزج بحب الوطن، وقال بمناسبة" لا قلب لفلسطين بدون القدس" وكان يصرعلى التمسك بالأرض والدفاع عنها، وتمسك بقضية وطنه في الحل والترحال ولم يتخل عنها في أية لحظة من اللحظات، وكان ناطقا بحق الفلسطينيين في

[1]غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1966-1948- ص 31 .

الرجوع والعودة إلى أرضهم ووطنهم، وكانت دواوينه الشعرية وأعماله الأدبية زاخرة بالحس الوطني والحنين إلى الوطن، ومفعمة بالجروح والآلام والأحزان مع الغضب والمقت، وروح المقاومة والمكافحة حتى أعرب عن حبه الشديد للوطن في قصيدة:

...فلسطينية العينيين والوشم فلسطينيية الإسم

فلسطينية الأحلام والهم فلسطينية المنديل والقدمين والجسم

فلسطينية الكلمات والصمت فلسطينية الصوت

فلسطينية الميلاد والموت

تتحدث هذه الأبيات عن شوق الشاعر إلى الوطن والأرض وتنم عن علاقته بالقضية الفلسطينية ومأساة الشعب الفلسطيني وبحق عودته إلى الوطن، ولم يتلعثم في الإعراب عن ارتباطه بتلك الأرض المقدسة فقال:

آه جرحي المكابر وطني ليس حقيبه

... إنني العاشق والأرض حبيبه

واهتم الشاعر الفلسطيني سميح القاسم بألم الغربة والمنفى لشعبه، وأظهر حزن قومه، يوم يفرح الآخرون، ويطربون من شدة السرور لأنهم سلبوا الأرض منهم، واستوطنوا فيها، وأصبح الآخرون الشرعيون غرباء ولاجئين فيقول :

وبكينا.. يوم غنى الآخرون

ولجأنا للسماء يوم أزرى للسماء الآخرون

ولأننا غرباء ولأننا ضعفاء

نحن نبكي ونصلي يوم يلهو ويغني الآخرون

...ورحلنا يوم عاد الآخرون فإلى أين؟.. و حتام سنقي تائهين

وسنبقى غرباء؟..

واعتنى الشاعر بانتظار الأحباء والأصدقاء الذين كانوا يعيشون حياة اللجوء والغربة في الديار الغريبة وهم يشعرون بالعودة إلى الوطن والحنين إلى الأرض المقدسة، ويسئلون عن حالها وتغييرها، وهل تعرفهم الأرض إذا رجعوا إليها وهل إمكانية الرجوع لهم باقية؟؟؟ وهم في حيرة واستعجاب فيقول الشاعر:

أحبابنا ..خلف الحدود ينتظرون حبة من قمحهم

وقطرة من زيتهم .. ويسئلون

كيف حال بيننا التريك وكيف وجه الأرض..هل يعرفنا إذا نعود؟!

ياويلنا .. حطام شعب لاجئ شريد

ياويلنا .. من عيشة العبيد فهل نعود ؟ هل نعود؟[1]

ومنذ أن احتل اليهود فلسطين عام 1948م وتم تشريد الشعب الفلسطيني على أيدي الصهاينة، ظل الشعرالفلسطيني يعالج هذه القضية المعقدة الشائكة ويرافقها ويتعامل مع أبعادها كلها من الناحية السياسية والوطنية والدينية والإنسانية، ولاتزال هذه القضية حية مع أحداثها المختلفة، فتفجر الشعر ضد الاحتلال وجعل الشعراء هذه القضية محورا أساسيا في شعرهم وأدبهم، فتأثر الشاعر عبدالرحمان بارود بها ويتمحور شعره أيضا حولها فيقول:

تجول بخاطري ذكرى بلاد فلسطين لها مجد أثيل

يا أيها الشبان إن بلادكم ترجوكم أن ترجعوا الأياما

ولم يكتف بهذا بل أضاف قائلا وهو يذكر شوقه إلى الوطن لأن حبه تغلغل في أحشاء قلبه وخالط لحمه ودمه ولم ينفصل ذكراه عنه ولم يمح مرور الزمان نقوشها الثابتة من صفحات قلبه فيقول عبدالرحمان بارود:

ذكراك يا مهد العروبة والكرى في مقلتي آفاق شوق فؤادي

كيف بلادي لا تجول بخاطري وقد أصبحت وطنا لخصم عادي

...إيه يا بلادي فلسطين التي هي أرض بعث العالمين تضام[2]

وثارت حمية الشاعر إبراهيم طوقان للدفاع عن الوطن وهاجت نخوته العربية ملبيا نداء الأرض المسلوبة، وتغنى بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل التحرير مقاومين للحرية ودعا أرواح الشهداء إلى زيارة فلسطين وطوافها بقدسية المعاني فيقول:

إيه روح الشهداء زوري فلسطين وطوفي قدسية بالمعاني

وفضل الشاعرالقضية الوطنية في شعره وجعلها أولية في أدبه، وافتخر بجلال موطنه وجماله وسناءه وبهاءه، ونيطت به الحياة والنجاة والهناء والرجاء، ولكنه دافع عنها بكل الوسائل ما في وسعه لأن وطنه اغتصبه اليهود، ولذلك صدع بها في الحفلات والندوات ولم ينسها بل وضعها في بؤرة اعتناء القصيدة فيقول:

موطني: الجلال والجمال والسنا والبهاء في رباك

الحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك

[1] ديوان سميح القاسم، ص 58.

[2] الشاعرالدكتور عبد الرحمان بارود، الأعمال الشعرية الكاملة.ص 22.

ويقول في قصيدة وهو يصف هوى الحرية أسمى أماني الشعب وهدفهم الأصيل، و يبرز الحس الوطني والقومي مع أن ترتكز عنايته على قضيته الوطنية ويقول كل ما بذلنا في سبيل الأوطان من نفس ومال فيغرس الله مجدنا ويعيد عزنا وافتخارنا في هذه الأرض:

كل جرح أصابكم حل منا في صميم القلوب يأبى اندمالا

يغرس الله مجدنا ما بذلنا في سبيل الأوطان نفسا ومالا [1]

وشعرت الشاعرة الأديبة الفلسطينية مي زيادة بالحس الوطني والحنين إليه لأنها عاشت حياة الغربة وهي دائما تتساءل إلى أي وطن انتمي؟ ولذلك كتبت قصيدة" أين وطني؟ يتجلى فيها الشعور القوي بالوطن والإحساس بالأرض التي احتلها اليهود وصادروا الأراضي الواسعة والأموال والممتلكات بصورة غير شرعية من الشعب الفلسطيني، وأجبروهم على الهجرة ومغادرة وطنهم وأرضهم عنوة، وتنعكس فيها صورة الغربة وألم اللجوء وصبغة النفي والجلاء وطابع النداء الوطني فتقول:

"...ولكن أيكفي أن نحب شيئا ليصيرلنا؟ وهكذا رغم حبيبي الأفيح أنا في وطني تلك الشريدة الطريدة لا وطن لها.

جربت من الوطنيات صنوفا: وطنية الأفكاروالأذواق والميول.

وتلك الوطنية القدسية المثلى: وطنية القلوب.[2]

فوجدت في عالم المعني ما عرفته في عالم الحس.

إلا بقعة بعيدة تفردت فيها الصوروتسامت المعاني.

ثقفني أبناء وطني، وأدبني أبناء الأوطان الأخرى.

وأسعدني أبناء وطني وأسعدني الغرباء أيضا.

ولا ميزة لأبناء وطني في أنهم أوسعوني إيلاما.

فقد نالني من الغرباء أذى كثير.

فبأي الأقيسة أقيس أبناء الوطن.

ولماذا أكون أنا وحدي تلك التي لا تدري أين وطنها"؟

وقام الشاعر توفيق زياد بدور في الدفاع عن حقوق شعبه وإثارة تظاهر آلاف من الناس في فلسطين ضد مصادرة الممتلكات والأراضي، ولم يال جهدا في إثارة القضية الوطنية وحرية الأرض حتى تعرض للهجمات والاعتقال، وذلك فقط بسبب رفع الصوت لمصالح الشعب

[1]. د. محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره ص 74-73.

[2] مي زيادة، ظلمات وأشعة، ص 84.

الفلسطيني وحماية حقوقهم الوطنية والقومية حتى تعزز إحساسه بالأرض المسلوبة سلبها اليهود بقوة الأسلحة، وتطور حنينه إلى الوطن، فأعرب عن الحس الوطني الداخلي في قصائده وتغنى بتضحيات الأسلاف والأجداد في الدفاع عن هذه الأرض المباركة التي هي علامة المجد ومهبط الإلهامات الشعرية للشعراء والأدباء للتعبير عن ارتباط قوي بأرض الأنبياء والرسل وأرض الإسراء والمعراج وصلة متينة بقبة الصخراء وإمامة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم في تلك الأرض فيقول توفيق:

أناديكم أشد على أياديكم
أنا ما هنت من وطني ولا صغرت أكتافي
وقفت بوجه ظلامي يتيما،عاريا، حافي
حملت دمي على كفني وما نكست أعلامي
وصنت العشب فوق قبورأسلافي أناديكم ..أشد على أياديكم

ولم يكتف الشاعربهذا بل نادى فلسطين المضرجة بالدماء وأثخنتها الجروح والآلام والتي تتألم تحت وطأة الانتداب البريطاني وتئن تحت الاحتلال اليهودي والتي تواجهها هذه المأسات الأليمة منذ وقت طويل ويقول الشاعر:

أجيبيني أنادي جرحك المملوء ملحا يا فلسطيني
أناديه وأصرخ ذوبيني فيه ..صبيني
أنا ابنك خلفتني هاهنا المأساة عنقا تحت سكين
أعيش على حفيف الشوق في غابات زيتوني

واعتزم الشاعر بالدفاع عن كل شبر من وطنه والحفاظ على سلامة تربته بكل ما في وسعه ما دام حيا، ولن يرض عنه بديلا ولن يتلعثم أن يبذل في سبيل ذلك من غال ورخيص فيقول:

بأسناني، سأحمي كل شبرمن ترى وطني بأسناني.
ولن أرضى بديلا عنه لو علقت من شريان شرياني.
أنا باق أسيرمحبتي لسياج داري للندى للزنبق الحاني.
أنا باق ولن تقوي علي جميع صلباني أنا باق.
لآخذنكم وآخذنكم وآخذنكم بأحضاني بأسناني.[1]

والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان تأثرت بالقضية الفلسطينة التي تركت بصمات عميقة في نفسيتها وارتبطت بقضية الوطن وعبرت عن مأساة الشعب الفلسطيني وآلامهم وأحزانهم في

[1] ديوان توفيق زياد، ص 6.

قصائدها ودواوينها، ولم تنفصل الشاعرة عن إحساس الوطن، ولذلك قصائدها الشعرية تزخر بالبعد الوطني والحنين إلى الوطن والأرض وتنعكس فيها مأساة شعبها ومعاناتها وصور الظلم والجور للسلطات اليهودية، وتتجلى فيها ألوان من ذكريات الوطن والأرض وأنواع من الألم والأذى القلبي والنفسي، وشعاع الأمل للتحريروالنصر، وكان ديوانها مفعما بالحس الوطني العميق الذي يبعث الأمل والرجا على الفلسطينيين للعودة والرجوع إلى الأرض فتقول:

على أبواب يافا يا أحبائي وفي فوضى حطام الدور
بين الردم والشوك ووقفت وقلت للعينين
قفا نبك على أطلال من رحلوا وفاتوها
... وأين القاطنون هنا وهل جاءتك بعد النأي هل
جاءتك أخبار ؟ هنا كانوا هنا حلموا

والشاعر خليل زقطان من الشعراء الذين ذاقوا مرارة الغربة، وعانوا من معاناة النكبة في خيام اللاجئين، إذ كانت معاناته مكتملة بحدوث نكبة فلسطين عام 1948 م فإنه شاعر لاجئ عبرعما يختلج في صدور اللاجئين في مخيمات الفقر و البؤس ويضطرم في نفوسهم، واستلهم عناوين قصائده من وحي المأساة الفلسطينية مما أعطى شعره صدى وجدانيا عميقا لهذه الكارثة ومنح شعره حرارة في العاطفة والحماسة والأحاسيس، وهذا ما صرح به الشاعرفي هذه الأبيات:

أنا ليس لي وطن ودار طفولتي لم يبق منها الغاصبون معالما
أنا يا ابن شعبي قوة عملاقة ومحار فلسفتي سابقي ناقما
حتى ترد لنا شظايا أراضينا ونعيش في تلك الربوع أوادما [1]

وعبر الشاعر عن جوع اللاجئين منحازا لهذه المأساة وعكس تداعياتها النفسية حيث يقول:

أنا قد صحوت على الجراح تسيل من بعضي لبعضي
أنا قد صحوت وإذ أنا ملقى بأرض غير أرضي

وكان الشاعر كمال ناصر هو من الشعراء الفلسطينيين الذي عالج قضية وطنه واهتم بمأساته في قصائده الوطنية وعبر عن أسفه، فكان ثائرا وداعيا للكفاح والنضال والثورة قبل النكبة ضد الاستعمار البريطاني وبعدها ضد الاحتلال اليهودي، ولكن بعد النكبة كانت قصائده لوعة وحسرة على ضياع الوطن والأرض، وكانت ثورة وتمردا على العرب، ونداء لاسترداد الأرض المسلوبة، ودعوة صارخة لإرجاع الوطن السليب، وتحريضا على الكفاح المسلح والنضال العارم فيقول الشاعر:

[1] عماد الضمور، تجليات المعاناة في شعرخليل زقطان، ص925 .

رجعت أغني الأسى والحزن فخذ يا فؤادي وخذ يا وطن
جراحي التي رفرفت بالأماني تعود لتهمي بدنيا الشجن
فأغفو على همسات الخطوب وأصحو على همسات الفتن
كان الأسى لعنو في عروقي تمشي وأسقيته في اللبن
ويسألني الليل عن عزمنا وكيف تراخي وكيف وهن[1]

فبكى الشاعرمحمود نديم الأفغاني على الوطن المغتصب وسكب دموعه على أيامه الحلوة التي قضاها في ربوعه، وصورمأساة اللاجئين وعذابهم في المخيمات البالية، وتغنى ببطولات أبناء فلسطين في كفاحهم ونضالهم ضد الانتداب الإنجليزي والاحتلال الإسرائيلي فيقول الشاعر:

موطني يا موطني ما أبدعك أي فردوس يحاكي أربعك؟
كل جنات الورى في أعيني لم تكن شيئا إذا أقسمت معك
موطني يا جنة الدنيا ألا لعنة الله من ضيعك
كلما سالت دموعي أوهمت فوق خدي أراها أدمعك
أقسم اليوم بيافا جنتي لست أنساك ولن أخدعك
لست أنساك وإني ساهر أرقب الفجر إلى أن أرجعك [2]

شردت النكبة أيضا دعد الكيالي عن وطنها واضطرتها أن تترك عشها خلفها في الرملة وتنسى مراتع طفولتها وأيام صباها وتودع وطنها وأرضها، فأرسلت زفراتها وقصائدها ساكبة دموعها ومتأسفة على الوطن الذي سلب وحسرة على الأرض التي اغتصبت، وهي من الشاعرات والأديبات اللاتي أوجدتهن الكارثة الفلسطينية وصنعتهن المأساة، فطلع إسمها على سماء الأدب الفلسطيني بعد النكبة عام 1948 م، وشع نورها في سماء الشعر، وكان شعرها في أغاريد الحنين إلى الوطن مشهورا، فهدفه بين والقصد واضح جلي فتقول:

إليك أعود يا وطني بجفن دامع هتين
إليك أعود يا أحلام في واد وفي فتن
إليك أعود يا وطني بقلب خافق جذل
إليك أعود والدنيا تغنيني وتبسم لي
إليك أعود لاهفة أعب بشاشة الأمل
إليك أعود يا وطني أقبل تربك الغالي[3]

[1] الدكتورکامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين،ص 370.
[2] كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصرفي فلسطين، ص213.
[3] كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر، ص 229.

تجلي واضحا جليا في ضوء هذه الدراسة التحليلية للشعراء الفلسطينيين في دواوينهم وكتاباتهم الذين عالجوا القضية الفلسطينية واهتموا بقضية الوطن اهتماما بالغا، قلما يوجد شاعر في أرض فلسطين ولم يهتم بالقضية الفلسطينيية.

الفصل الثاني

القضايا الفلسطينية في شعرهارون هاشم رشيد

خلفية القضية الفلسطينية في ضوء التاريخ:

لا شك فيه أن النكبة التي وقعت عام 1948م في فلسطين هي كارثة إنسانية ومأساة كبرى في تاريخ فلسطين مما أثارت هزة عنيفة في العالم العربي والإسلامي، وأدمت قلب العالم الإسلامي، وأوقعت تشتت الوطن واحتلال الأرض واغتصابها، وتشريد المواطنين عن أوطانهم وأراضيهم وممتلكاتهم، والتجاءهم إلى المخيمات البالية والكهوف المظلمة السوداء، ومعاناتهم من الذل والهوان والحياة القاسية في ظل الواقع الأليم و العذاب الجديد، وكانت الهزيمة النكراء عام 1967م هي وسمة العار على جبين العالم الإسلامي، واحتل فيها كامل التراب الفلسطيني، وتولد من بطن هذه النكسة عدد كبير من النازحين والمشردين الذين التجأوا إلى الخيام والكهوف أو هاجروا إلى الدول الأخرى، فتأثر الأدب الفلسطيني بهذه المأساة الكبرى، وظهرت مفاهيم النفي والجلاء والتشريد واللجوء والغربة وحنين إلى الوطن بصورة خاصة بعد النكبة، وتنوعت أساليب التعبير عن القضية الفلسطينية في الشعر الفلسطيني، فمنها ما تهتم بحياة اللجوء وأبعاده، ومنها ما تعتني بحياة المخيم وتفاصيله وآثاره، ومنها ما تركز العناية على العودة من المخيم إلى الوطن.

تجليات القضية الفلسطينية في شعرهارون هاشم رشيد :

شهد الشاعر هارون هاشم رشيد زمن الاستعمار البريطاني، وعاين معاناة شعبه ومأساتهم، فتململ كتململ السليم، وتركت هذه الحوادث المفجعة في نفسه بصمات عميقة الأثر وظلت ترافقه حتى الآن ولم يتخل عنها، وعاش منذ زمن الاحتلال الإسرائيلي حياة الجلاء والنفي بعد حرب عام 1967م، لأن القوات الإسرائيلية أجبرته على مغادرة فلسطين، وهي السنة التي تم احتلال فيها كامل التراب الفلسطيني، وهذا الشاعررحل عن وطنه عنوة حاملا في طيات قلبه ذكريات الأرض والوطن، وذكريات مكان اللعب والدرس والأسرة والأحباء والأصدقاء، وفي الوقت نفسه شاهد الشاعر مأساة اللاجئين ومشاكلهم في الغربة والخيام، فتأثر الشاعر بتلك المناظر الفجيعة وسكب دموع الأحزان والآلام في أشعاره وقصائده كما قال أبو أياد" غنى للوطن السليب بكل نبضات قلبه وخفقات وجدانه وارتعاشات لروحه ... غنى للجبال ووديانه ... لزيتونه ورمانه ... لبرتقاله وأعنابه ، غنى لدروبه ومتعرجاته ...لكل بقعة في أرضه...لكل ذرة رمل على ثراه لكل قطرة ماء تجري

بين جنباته ..."[1] لتكون نبراسا للنشء الجديد يضيء طريق المكافحة والمقاومة في سبيل الحرية، وسجلا يذكرهم لآباءهم وأمجادهم في هذه الأرض ويجدد حقهم فيها.

عالج الشاعر هارون هاشم رشيد القضية الفلسطينية في دواوينه الشعرية بكل أبعادها السياسية والدينية والوطنية والإنسانية، واهتم بمعاناة شعبه اهتماما بالغا من لجوء ونفي وجلاء وغربة وتشريد وتهجير و حق العودة والرجوع، واعتنى بمأساة اللاجئين في المخيمات السوداء ومشاكل حياتهم في الظلام الحالك، ويكثر الشاعر هذه المفردات في أشعاره :النار و الليل و السواد و السقم و الآلام و الشجن و الأحزان و المحن و البؤس و الفقر و الشكوى والدمع مما تنم عن عمق حزنه في حياة اللجوء والغربة حتى دواوينه مفعمة بأناشيد الغضب والكفاح والثورة ضد الاحتلال والشعور بالثأر و الإحساس الوطني وأمل العودة.

ذكر الشاعر من مآسي الاستعمار البريطاني في فلسطين في قصيدة" قصة" وبين فيها ما حل بأفراد أسرته في تلك الليلة المشؤومة مما ترك أثرا عميقا في نفسه وظل هذا الأثر يرافقه في الحل والترحال، وبالرغم من الأزمان الطويلة مرت عليها، يحس الشاعر بأنها وقعت في وقت قريب ولم يستطع مرورالزمن أن يمحو من ذاكرته شيئا منها، لأنها خالطت لحمه ودمه فيقول و هو يصور تلك القصة وفجيعها ورعبها اهتزت العظام منها وشبه الشاعرذلك العهد بعهد الظلام في كلمات بسيطة سهلة:

قصة قد حدثت .. بالأمس من عشرين عام
حدثت في عهد الاستعمار، في عهد الظلام
حدثت في قريتي الخضراء في أرض السلام
كلما أذكرتها. . اهتزت من الرعب العظام[2]

ولم يعبر الشاعرعن غضبه الشديد لتلك القصة عندما يذكر أهوالها بل يعتزم بأخذ الثأر مهما طال وقته ولن يهدأ لظاه في قلبه وروحه مهما طال أمده، وذكر تلك الليلة احتضنته أمه فيها وخافت من الذعر وباتت في الرعب والخوف الشديد، وكان أبوه وأخوه خارج البيت، فمنذ ذلك الحين كان لصوت أمه صدى لم يزل في أذنه ومسمعه وتغلغل نداء أبيه في قلبه وروحه فيقول هارون هاشم رشيد مشيرا إلى ألمه الشديد وحزنه العميق ورغبته في الأخذ بالثأر:

لن ينام الثأر في صدري وإن طال مداه
لا.. ولن يهدأ في روحي، و قلبي لظاه

[1] ديوان هارون هاشم رشيد في ضمن مزاميرالأرض والدم، ص 518.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 33.

صوت أمي لم يزل في مسمع الدنيا صداه

وأبي ما زال في سمعي وفي روحي نداه[1]

يتحدث الشاعر هارون هاشم رشيد عن اللاجئيين ومأساتهم أكثر بكثير في قصائده ودواوينه لأنه شرب مرارة المأساة وعاش في ظلالها وشاهد ما حل بشعبه في المخيمات في ظلام الليالي الحالكة، واهتم بمشاكلهم التي يواجهونها في الغربة، وتمحور شعره حول همهم لتحفيزهم إلى المكافحة والنضال والقتال والثأر وعدم الخوف والاستسلام ولوعاشوا في الكهوف وفوق التلال، ولوكانت حياتهم مليئة بالحزن والأسى، ومع ذلك إنهم متلهفون للشدو والنشيد فيقول:

إليهم ...قصدي وما أنظم وشعري وما في دمي يضرم

إليهم ...إلى إخوتي اللاجئيين إلى إخوتي يوم يدعو الدم

إليهم وإن سكنوا في الكهوف وفوق روابي الأسى خيموا

إليهم سأشدو بشعر الحياة ومنهم بروحي سأستلهم[2]

وبالرغم من النوائب والشدائد الأليمة التي نزلت بهم والمحن التي أحاطت بهم وتعدي الزمان عليهم، فإن الشاعر يصدح بالغناء إليهم، وهويشبه شعره بالطير الذي يتغرد ويتغنى بألحانه العسيلة العذبة لكي يطرب لها الآخرون، وهو يستلهم الألحان من الحوادث والآلام التي توقظ النائمين عن القضية الفلسطينية والذين قد أغمضوا عيونهم عما يحدث حولهم ولم يتنبهوا إلى الأعداء الذين يخططون المؤامرات والدسائس ضدهم، فيصورها الشاعر والخطوب الجسيمة التي حلت وحفت بهم في لغة سهلة جذابة وتعابير خلابة ليكون لها الأثر العميق في النفوس فيقول الشاعر:

إليهم وإن حطمتنا الخطوب وأرهقنا الحادث المؤلم

وجار علي الزمان العتي وأنهكنا الناب والميسم

إليهم سأشدوا بشعر الحياة سأشدو و أشدوا واستلهم

فيصحو على شعري الساردون ويستيقظ النفر النوم[3]

ولم يكتف الشاعر بهذا بل ندد و يلقي اللوم على الذين ساهموا في خلق هذه المعاناة والمشكلة لهؤلاء الناس الذين يسكنون في جحيم من العذاب، ويواجهون التعذيب النفسي فيه ولا يمكن لهم العيش ولا الراحة ولا الطمأنينة، ولكنهم ماذا يفعلون ؟ وبالعكس المسؤولون عن هذه المأساة يتمتعون برغد العيش والحسان والخمر، ويقضون أوقاتهم مع ندمائهم وأصدقاءهم، ولديهم

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، 37.

[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 49.

[3] نفس المصدر، ص 50.

الأموال الطائلة في جيوبهم لإشفاء غليلهم وشهواتهم الجامحة وهم يؤدون الشكر و الأجر على ارتكابهم الجرائم فهم في الحقيقة المجرمون الذين يأتون بالشر للآخرين وهم يعدونها خيرا لأنفسهم فيقول الشاعر:

ليت شعري أين الذين رموهم في جحيم من العذاب، وفروا؟!
أين من سوروا بيوتا من الطي ن وقالوا هنا يطيب المقر؟!
هم مقيمون في الديار نشاوى و ندماهم حسان وخمر
ومئات من الجنيهات قالوا هي أجر لما أتوه و شكر
وهم المجرمون قد جلبوا الشر وقالوا بأن ذلك خير

اتخذ الشاعر من شعره أداة وليس فقط للتعبير عن حزنه وألمه للاجئين بل جعله وسيلة لإشعال النخوة وإثارة العواطف التي تبعث على اللاجئين على الكراهية والحقد والعداوة لأعدائهم، وتكشف النقاب عن جرائم الغدر لكي يصيب الأعداء بمصيرهم وعاقبتهم فيقول الشاعر في هذا الصدد:

أخي أينما سرت شعري يسير ويدفق إحساسه والشعور
لقانا غدا يوم ندعو النفير أخي وهناك هناك المصير[1]

سكب الشاعر الدموع على وطنه السليب و اكتوى بنار البعد عنه، ونادى بلاده بأسلوب الأسى والحزن والبكاء والألم وهو يتقدم لها بفنه ونظمه الذي أروه بدمائه الطاهر الصافي، ويفديها حبه وغرامه و وفائه، ويبكي لها ويئن ويتألم في الشجون والآلام لها وهو يستخرج وحيه من وقائعها المكلومة وحوادثها المفجعة فيقول الشاعر:

يا بلادي لك شجوني وأنيني وبكائي لك حبي واندفاعي وغرامي ووفائي
لك ما أخلق من فن تغذى بدمائي كنت استلهم من ظلك وحي الشعراء[2]

ولم يخاطب الشاعربلاده فقط بل يربط أمله ورجاه بفلسطين المقدسة ويظهر صلته وحبه لها، ويوقن بأن فلسطين كتبت لها البقاء والخلود ودولة الظلم ستنتهي و تلاقي المصير وإن طالت أوقاتها فيقول الشاعر:

يابلادي، يافلسطين، وياكل رجائي دولة الظلم –وإن طالت – ستهوى للفناء

لقد تحدث الشعراء عن النكبة الفلسطينية في قصائدهم ودواوينهم أكثربكثير، واهتموا بمأساة اللاجئين وأحوالهم ومشاكل معيشتهم في الخيام، وتمحورت أشعارهم حول آلام الغربة والعذاب

[1] ديوان هارون هاشم رشيد ، ص 78.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 81 .

الداخلي لهولاء الغرباء واللاجئين، ورسم الشعراء جراح الوطن المسلوب وما نزل به وبشعبه مما أتى ذلك الجرح بوسمة العار للكرامة العربية والأمة الإسلامية التي لا تقبل الذل والهوان حتى من قبل أخيه، فكيف تستطيع أن تتحمل هذا إذا جاء من القوى الاستعمارية الفاسقة الظالمة و الاحتلال الغاشم التي احتلت الأراضي كلها، ولذلك صور الشاعر هارون هاشم رشيد صورة دقيقة أحوال اللاجئين ومأساتهم وتهجيرهم وتشريدهم وجلاءهم وألم غربتهم وشقاء حياتهم في المخيمات البالية السوداء لإثارة النخوة العربية والغيرة الإسلامية من خلال الحوار الذي جرى بين والد وبنتها في مخيم، وعندما سمعه الشاعر صاغ هذا الحوار في أسلوب شعري جذاب الذي يثيرروح الوطنية في النفوس وشوق الأرض في القلوب مع تركيزه الخاص بالبؤس والشقاء والآلام والأحزان، فيقول هارون هاشم رشيد:

أتت ليلى لوالدها وفي أحدقها ألم
وفي أحشاءها نار من الأشواق تضطرم
وقد غامت بعينيها طيوف هزها السقم

ذهب الشاعر مرة لزيارة الخيام للاجئين الذين كانوا يعيشون فيها، ويواجهون المشاكل والمحن، ويعانون من آلام الغربة والأحزان، حتى فجأءة سألت طفلة صغيرة أبيها لما نحن أغراب؟ أليس لنا أحباء وأصدقاء؟ وهل لنا أخلاء وأصحاب؟ وألحت بالسؤال عن سبب الغربة والبعد عن الوطن وأصرت عليها، فتأثر الشاعر بذلك المنظر تأثرا عميقا حتى صاغ ذلك التأثير العميق والإحساس القوي في قالب الشعر فيقول:

لماذا نحن يا أبتي ؟! لماذا نحن أغراب ؟
أليس لنا بهذا الكون أصحاب وأحباب ؟!
أليس لنا أحباء ؟ لما ذا نحن يا أبتي؟
لماذا نحن أغراب ؟!!!

ركز الشاعر عنايته على غربتهم وابتعادهم عن الوطن مرت عليها الأزمان الطويلة ومرت السنوات إثر السنوات وقضت الشهور إثر الشهور ومضت الأيام إثر الأيام التي لم تأت إلى اللاجئين بالأمل والبشرى والسلوى إلا بالآلام والشجون والمحن والأحزان، ولم تأت إليهم سوى النعرات والهتافات التي تصرخ بنداء الوطن ولكن لم تأت في حياتهم سوى المشاكل والشدائد فيقول الشاعر:

يمرالعام إثر العام يا أبتي بلا جدوى
فلا أمل، ولابشرى ولا نجوى، ولاسلوى

سوى الآلام والشجن سوى الأحزان والمحن

سوى صوت من الأقدار يهتف دائما وطني

وينتقل اللاجئون من مكان إلى مكان ويجوبون من بلد إلى بلد وهم لا يستقرون على حال بل يقضون أوقاتهم في الحل والترحال، وليس لهم سوى التأنيب والزجر والتقريع، فعبر الشاعرعن هذه الآلام و شقاء اللجوء والغربة ويقول:

نظل نتيه جوابين من قطر إلى قطر

وليس لهم سوى التأنيب والتقريع والزجر

وكان ألم اللاجئين في كل قطر هو أينما نزلوا يكونون الغرباء وهم يلقبون بهذا حتى يخيل إليهم أحيانا أن الأرض قد ضاقت بوجودهم، وشعرالناس بأثقالهم وأعباءهم على كواهلهم، وهم يعيشون حياة التيه في الأقطار، ويذكرهم وطنهم الأصلي ويناديهم أين شعبي ذهبوا وغابوا عني؟ ولم أر وجوههم النيرة منذ مدة مديدة فيقول الشاعر و هو يصور ذلك الألم النفسي في قالب الشعر الذي يهيج في قلوبهم ويؤلمهم مؤلما شديدا:

غرباء، في الكون أني مشينا ولأي من البلد أتينا

غرباء، ضاقت بهمتنا الأرض وضجت، واستثقل الناس منا

غرباء، وخلفنا الوطن الحر ينادي..أيان شعبي أينا ؟؟؟ [1]

لم يشعر اللاجئون في غربتهم ومنفاهم بالطمأنينة والراحة ولم يستقر لهم أي قرار، وبالعكس إنهم يذوقون مرارة العيش والمأساة، وعاشوا مهانين وأذلاء، وواجهوا المشاكل الشديدة والمحن القاسية، وعانوا من ألوان العذاب النفسي وألم الاضطراب الروحي، وتحملوا مشاق فقدان الهوية والجنسية أينما حلوا ونزلوا، ومع ذلك تاريخ فلسطين شاهد عيان على أنهم أبطال وبواسل في وطنهم، ولكن الفاجعة الكبرى والكارثة الإنسانية والنكبة الفلسطينية الأليمة جعلتهم هكذا وساقتهم إلى هذه الأحوال البائسة وأرغمتهم على حياة الغربة واللجوء، وإنهم كانوا يعيشون حياة العزة والكرامة قبل ذلك لأنهم ينتمون إلى الأرض المقدسة بارك الله حولها، وانجلت هذه الحقائق للناس أجمعين وانكشف الغطاء عنها، فيقول الشاعر هارون هاشم رشيد مفتخرا بانتماءهم إلى الأرض المقدسة، وفي الوقت نفسه باكيا على غربة حياتهم:

غرباء، سلوا فلسطين عنا وسلوا كل ثورة ، كيف كنا

غرباء، ونحن من منبت القدس من بيتها المهطر جئنا

غرباء، والشمس تعرف من نحن وتدري من أي أفق طلعنا

[1] ديوان هارون هاشم رشيد ، ص 73.

ضاق الشاعر بحياة الغربة واللجوء وكان يؤلمه البعد عن الوطن، فصرخ الشاعر بالعودة والرجوع إلى الأرض المسلوبة، واهتم بها أكثر بكثير من الآخرين حتى يعد من أكثر الشعراء الفلسطينيين استعمالا لمفردات العودة، وأعلن أنه لن يتقبل بديلا عن وطنه ولن يتخل عن شبر واحد من أرضه مهما كان، ويؤمن بعودته إلى وطنه كما كان إيمانه بطلوع الشمس وإن طال مداه، فلن تكن الحدود ولن تكن القلاع ولا الحصون تسد طريقهم للعودة ولن تعوقهم من التقدم إلى الوطن، ولن تكن عائقة وعرقلة في سبيل ذلك، ويطالب الشاعر من النازحين أن يصدعوا بالعودة إلى وطنهم ويقول أنه سيعود للديار والجبال والسهول في وطنه ولكن هذا سيكون ممكنا بالجهاد والنضال والدماء والفداء، وستكون الأرض كلها للشعب الفلسطيني فيقول:

عائدون عائدون عائدون .. إننا لعائدون

فالحدود لن تكون والقلاع والحصون

فاصرخوا يا نازخون إننا لعائدون[1]

فتكرار الكلمات وتأكيد الألفاظ في كثير من الأبيات تنم عن إيمان الشاعر القوي بالعودة وعزمه الصارم بالرجوع إلى وطنه مهما كان ثمنه ولو طال وقته، ولم يكتف الشاعر بهذا بل قال قولوا للأعداء نحن الذين نعتزم للدفاع عن هذه الأرض والحفاظ على كرامتها وسلامة تربتها مهما كثرت العدة والعداد ومهما ازدادت أنواع من الظلم والجور، ولو حولوا البلاد كلها حديدا وأسلاكا ولكننا سنقطع الأسلاك والحديد ونعود للوطننا فرحين مسرورين فيقول هارون هاشم رشيد:

قولوا لهم .."إنا لها " ... "إنا لها " لو يعلمون

"إنا لها ... قد قالها ... المتحرون المؤمنون

هم ينشدون .. وكل أبناء الجهاد يرددون

يا أرضنا يا موطن الأحرار ... إنا عائدون

إنه تبرم بحصار الأسلاك والجدران والجو الخانق في سعة أرضه الرحيبة فتثور الحمية العربية في نفسه فلم يصبر على هذه العقابات فقال بصوت عال بدون الخوف" سنقطع الأسلاك التي تقف بيننا وبين وطننا الحبيب ... فلسطين سنقطعها .. رغم حراب العدو الظالم "[2] وسنجتاز الحدود وسنرجع إلى أوطاننا التي تنتظرنا وترنو لنا وتكاد أن تبكي علينا الأربع، ونحن أيضا في لهفة وعشق إلى الإرض، ولن تمنعنا هذه الأسلاك والجدران عن العودة مهما حاولوا بسلاحهم

[1] ديوان عودة الغرباء، هارون هاشم رشيد، ص 103 .

[2] هارون هاشم رشيد، ديوان عودة الغرباء، ص 108 .

وحرابهم ولن تسد طريقنا إلى أرضنا بل نحن ندوس بكل ما وقع في طريقنا راجعين إلى وطننا الحبيب:

سنقطع الأسلاك سوف نقطع وغدا سنجتاز الحدود سنرجع
أوطاننا ترنو لنا في لهفة وتكاد أن تبكي علينا الأربع
سنقطع الأسلاك مهما حاولوا بسلاحهم وحرابهم أن يمنعوا[1]

العودة والرجوع إلى أرض فلسطين هو الغاية المنشودة للشاعر في حياته وأسمى أمانيه بل هذا هو الهدف الرئيسي للشعب الفلسطيني كلهم، ولم ينس الشاعر ذلك الحلم الفلسطيني في أية لحظة من اللحظات في حياته، بل تسرب إلى أحشاء قلبه وظل يرافقه منذ الانتداب البريطاني والاحتلال الإسرائيلي، واعتزم الشاعر على أنه سيزحف من خيمته في ظلام الليل الحالك في المستقبل القريب مع أصدقاءه إلى تلك الأرض التي هي أرض أجدادهم وهي تناديهم وتهتفهم بالنجدة والمعونة، وذلك الزحف هو يوم النفير لهم حتى هب كل أفراد الشعب إلى الأرض في زرافات ووحدانا فيقول الشاعر:

غذا سوف نزحف من خيمتي ومن حلكة الليل والظلمة
غدا سوف أزحف يوم النفير وأمشي أجلجل بالجولة
وأدعو أصحابي صحاب الحياة وأجمع للملتقى إخوتي
وأجمعهم حول أرضي التي تنادي وتهتف بالنجدة
وأدفعهم للقاء الحبيب إلى موعد الثأر للعودة
بها في غد ستعود البلاد تعود ولابد من عودة [2]

وقال الشاعر ناقلا عن اللاجئ الذي لا يريد أن يعيش مشردا ولا يحب أن يكون مقيدا ومكلبلا بالغربة واللجوء بل يود الرجوع إلى الوطن، وكان له غد وسيكون له غدا، فسيزحف غدا ثائرا متمردا إلى وطنه، ولايخاف العواصف الهوجاء التي تمنعه من الرجوع ولا من الأعاصير التي ترمي دمارا أسودا والتي تحده في سبيل العودة، و لا من القنابل والمدافع تستطيع أن تروعه ولا تخوفه، ولا الخناجر و المدى تذعره من الرجوع إلى وطنه، لأنه هو صاحب الحق الشرعي الكبير لتلك الأرض، وهو يبني مجده من جديد على هذه الأرض ويصنع منه الغد المشرق، وهو جاهز لمواجهة أي شيئ في سبيل العودة وطريق الحرية، فيقول الشاعر و هو يظهر عزمه الصارم للعودة:

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 108.
[2] المرجع السابق، ص 115.

أنا لن أعيش مشردا أنا لن أظل مقيدا
أنا لي غد ..وغدا سأزحف ثائرا متمردا
أنا لن أخاف من العواصف وهي تجتاح المدى
ومن الاعاصير التي التي ترمي دمارا اسودا
أنا صاحب الحق الكبير وصانع منه الغدا[1]

حب الوطن في نفس الشاعر تغلغل إلى حد لم يستقر له أي قرار على فقدان الأرض وعلى الوطن المسلوب بيد الاحتلال الغاشم بل يؤلمه هذا الجرح في كل وقت، ويشير الشاعردائما إلى وطنه يذكره ويردده و يقول أنه لن يرض أن يعيش متشردا بدون الوطن ولن يحب أن يتيه بين الأقطار والبلدان غريبا ولاجئا، بل يريد أن يعيد وطنه الذي كان عزيزا وسيكون سيدا فيقول:

وطني هناك ولن أظل بغيره متشردا
سأعيده و أعيده وطنا عزيزا سيدا

و يسئل الشاعر بغاية من الجدية و هو يظهر ألمه وحسرته على البعد عن وطنه وذكر أيامه الماضية التي قضاها في وطنه، ويقارنها بتلك الأيام التي يعيشها في هذا الوقت، إذ أصبح طريدا من أرضه ومشردا بلا وطن و أرض، ويقول لماذا أنا أظل بلا موطن أحوم واتنقل من هنا إلى هنا كالطائر الجريح المثخن؟ ولماذا أنا أعيش هنا؟ وبيتي وراء الحدود حيثما لا أستطيع أن أذهب إليه، ويتعلق كرمي هناك ويرتبط ذكرى شبابي به، فيه قضيت أيام شبابي وأيام الطفولة، فكيف أنسى تلك الذكريات راسخة الجذور في أعماق قلبي، ثم يتحدث عن الصهاينة ويسئل أليس حراما لهم أن يحرموني من قريتي ويمنعوني من ذكريات طفولتي وشبابي؟ أ هو حق لهم أن يفعلوا بي؟ وفيها طفولة عمري الخصيب قضيت فيها، ونشأت منابت حريتي فيها، ولكن على الرغم من الرياح التي فرقتنا في كل درب، والعواصف التي هبت ضدنا وأرغمتنا إلى اللجوء والتشريد، فسنرجع كلنا في الوقت القريب إلى الوطن العزيز جنبا لجنب فيقول الشاعر سائلا عن السبب بلا وطنه:

لماذا أظل بلا موطن أحوم كالطائر المثخن
لما ذا وبيتي وراء الحدود وكرمي وذكرى شبابي الهني
أليس حراما لعمرالكرامة أن يحرموني من قريتي
وفيها طفولة عمري الخصيب وفيها منابت حريتي
رغم الرياح التي فرقتنا هنا وهناك وفي كل درب

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 173 .

سنرجع إنا غدا راجعون إلى وطن العز جنبا لجنب [1]

يتحدث الشاعرعن النازحين والغرباء الذي يعيشون حياة الغربة في أقطار مختلفة وهم يحنون إلى الوطن ويتلهفون إليه، وأرغمتهم الأوضاع السيئة في فلسطين على مغادرة الوطن فلم يستطيعوا أن يرجعوا إليه مطمئنين لأن المشاكل وليل الشقاء والمحن أحاطت بهم ولأن الاحتلال الغاشم حف بهم وأقام لهم سدا منيعا لكي لا يرجعوا إلى أوطانهم، ولكن الشاعر وعد بلقاء وطنه عندما قوي جناح القوة ويكون عزيزا له، وقتئذ فسيلتقي بأخيه هنا في رحاب الوطن، ولم يكن حجرعثرة في رجوعهم إلى الوطن فيقول الشاعر مظهرا إيمانه بأن السحاب ستتقشع والظلام ستتكشف غطاءها وينبلج الفجرالجديد:

أخي في الكويت أخي في اليمن أخي في الحجاز أخي في عدن
أخي رغم ليل الأسى والدموع وليل الشقاء وليل المحن
سألقاك يوما قوي الجناح عزيزا هنا في رحاب الوطن

لم يكن الشاعر في ظلام اليأس ولم يفقد الأمل بل تشبث به ويشعل مصباح الأمل في نفس أخ له في النكبة الذي ظل من عتمة اليأس، وينفخ فيه روح الصبر والمثابرة والحماسة والكفاح، ويثير مشاعره وعواطفه التي أصابت بها الخيبة والخسران واليأس، وقال سينبثق فجرجديد من الليالي الحالكة مهما ادلهم الليل ومهما غلب الفقر والجوع علينا وتبلينا، ولكن تنكسر أغلاله وتكالبت الدنيا بحذافيرها علينا، ولونحن نعيش في الخيمة السوداء ونعاني من المشاكل والمحن في هذا الوقت ولكن هذه المحن ترجع القهقرى وينكشف الجلاء، ونحن سنرجع مرة أخرى إلى وطننا الحبيب ونتمتع بالهدوء والطمأنينة وحياة الأمن والسلام، ونحن نخرج من الآلام والمحن والشدائد التي سلبت راحة البال ونهبت قوى العزيمة، فالشاعر يقدم الصبر و السلوان إلى أخيه اللاجئ لكي يملأ قلبه الأمل والرجا والحماسة لكي يعيش ناعم البال فيقول الشاعر:

أخي مها ادلهم اللي ل سوف نطالع الفجرا
ومهما هدنا الفقر غدا سنحطم الفقرا
أخي والخيمة السوداء قد أمست لنا قبرا
غدا سنحيلها روضا ونبني فوقها قصرا [2]

ونادى الشاعر فلسطين التي تغلغل حبها في أحشاء قلبه وجرى عشقها في شرايين الدماء في جسمه و تسرب إلى أوصال الهيكل الجسمي، ولايستطيع الشاعر أن ينساها في أية لحظة من

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 164.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص، 96.

اللحظات ليل نهار صباح مساء، ويؤمن بأن يوم العودة يأتي لنا ونمضي إليها ذلك اليوم ثائرين هاتفين أنت لنا أنت لنا، وهذا يدل على صلة المسلمين القوية بفلسطين وأرضها المقدسة التي هي مهبط الأنبياء والرسل وهي أرض الإسراء والمعراج وأولى القبلتين للمسلمين، وتظل ذكريات هذه الأرض ترافق الشاعر وتذكره دائما أينما نزل وسار ولم تنفصل عنه هذه الذكريات بل إنه يحس بشذى الزهور وعطر البرتقال والزيتون من بعيد، وكانت الروابي الخضر في لهفة وانتظار، وكانت هذه الذكريات العميقة لم تزل تطارده وتذكره أينما ذهب وترحل إذا يترك هذه الأرض والتلال والجبال والفواكه وراءه التي أنست به فيقول الشاعر:

يافلسطين التي ما في دمنا وفلسطين التي في فمنا
سوف نمضي ثأرنا يدفعنا هاتفا أنت لنا أنت لنا
أين سرنا تنادينا التلال والروابي الخضر والجبال
وشذى الزهروعطرالبرتقال والأماني الغرقد نادت بنا [1]

كيف يمكن للشاعر أن ينس المدن والقرى التي لعب فيها وترعرع في ترابها أو ذهب إليها، ولكنها الآن تعرضت للاحتلال الإسرائيلي الغاشم ولذلك لم يستطع أن يزورها فسكب الشاعر دموع هذه الآلام والأحزان في قصائده التي كانت مفعمة بالحب الشديد لها ولهفة عميقة بها، فينعكس في قصائده آلام القلب على فقدان هذه المدن بيد الاحتلال الظالم ويذكر ها الشاعر مرات وكرات في أكثر الأحيان حتى يخيل إلى كل من يقرأ هذه القصائد أن الشاعر ينتمي إلى هذه المدن، ولكن في الحقيقة أنه يعبر عن علاقته القوية بهذه الأرض ومدنها وقراها ويذكرها للجيل القادم لكي لا ينساها، وأعلن أنه لن يتخل عن شبر واحد منها بل يرجع إليها ولو طال أمده، ولم يستطع الشاعر أيضا أن يغمض عينيه عن النازحين الذين ذرعوا آلاف الأشجار في غابة القسطل في قطاع غزة متعهدين بالعودة إلى القسطل، ويعتزم الشاعر أيضا على العودة إلى هذه الأرض وزرع الأشجار في الوقت القريب حيثما كان يزرعها في الماضي ثائرا في الهرج والنقب والمجل، وهذا لا يمكن إلا بالجهد والمجاهدة والكفاح والنضال، ولا يتحقق هذا إلا بدماء الشباب وبغيرة على اليتامى والنازحين والعزل الذين يعيشون متشردين وتائهين من هنا إلى هنا بدون مأوى ولا وطن فيقول الشاعر:

سنزرعها في الغد المقبل سنزرعها في ربى القسطل
سنزرعها حول " يافا " و "حيفا " و"عكا " وفوق ذرى" الكرمل"
وفي"اللد" وفي "رملة" الثائرين وفي المرج والنقب والمجدل

[1] نفس المصدر،ص 123.

سنزرعها قسما بالدماء دماء الشباب التي تغتلي

سنزرعها كل الذرى والسهول وفوق روابي المنى نعتلي[1]

وحادثة"ديرياسين" و" قبيبة "هي من الحوادث الفاجعة في تاريخ فلسطين والمجازر الجماعية التي تقشعر منها الجلود وروعت تلك الكارثة الإنسانية البشعة الشعب الفلسطيني وأجبرتهم على الهجرة والمغادرة، وهذه الحادثة أصبحت وسمة العارعلى جبين الإنسانية لأن القوات الإسرائيلية قتلت أطفالا ونساء والشيوخ بدون أي هوادة ورحمة، وداست قداسة الإنسانية بقدميها ولم تراع إلا ولا ذما بل استخدمت أبشع الطريق للقتل والدمار والهلاك وذلك فقط للترويع والتخويف للشعب الفلسطيني والسيطرة على أراضيهم وممتلكاتهم، ولم تسمحهم الشرائع بتلك الجرائم البشعة للإنسانية، ولكنهم مع ذلك قاموا بها فقط لاغتصاب الأرض وهم كانوا متغطرسين ومفتخرين بها، فيقول الشاعر و هو يشير إلى تلك الحادثة المفجعة وخطورتها وغطرسة اليهود وارتكابهم الجرائم الإنسانية انتهاكا كل الحدود:

سل " ديرياسين " و سل في " قبيبة " كم طفلة ؟ كم مرضع ؟ قد روعوا

وسل الشرائع ..كيف قد داسوا على أقداسها متغطرسين وشنعوا ؟

وكانت مدينة حيفا في فلسطين هي من المدن التاريخية ذات الأهمية البالغة في خريطة العالم وهي المدينة الباسلة والحبيبة، ولكن احتلها الإسرائيل الغاشم بصورة غير شرعية ، وبسبب ذلك تشرد أهلها وتفرقوا في الدول الأخرى، منذ ذلك الحين تلك المدينة في لهفة وانتظار شعبها، فيسأل الشاعر أين الأحبة غابوا منك الذين كانوا يحبونك حبا جما ولا يستطيعون أن يغادروك وحيدة فريدة؟ وأين الذين يدعوون حبك ولا يتحملون فراقا منك ؟ واعتزم الشاعرعلى العودة إلى مدينة يافا وحيفا وعكا التي عرفها جيدا، وكان له ارتباط خاص بها ودائما يذكرها في قصائده ويتعهد بدك حصون المفاسد التي تستعبد العباد ولم تعطهم الحرية، وينفض عار المذلة والذل والهوان علينا ويدفن اليأس والشكوى وينفخ الحيوية والنشاط ويهز المشاعروالعواطف ويثير الأحاسيس التي تدفع الناس إلى الكفاح والنضال وإلى بناء العزة والكرامة والمنعة فيقول الشاعر:

سنمشي بيافا وحيفا وعكا ندك حصون المفاسد دكا

وننفض عارالمذلة عنكا وندفن يأسا تفشى وشكا [2]

وران الصمت والسكوت على مدينة حيفا بعد أنها تعرضت للاحتلال فتحير الشاعر وسأل هل تناست هذه المدينة ليالي الأعياد التي هي كانت مليئة بالغوغاء والتحرك والنشاط ومشهورة

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 141.

[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 78.

بالذهاب والإياب واللقاء والتهاني؟ ولكنه يظن أنها غارت في الهدوء والصمت الكثيف، ولذلك فلا صرخة ولا غوغاء، ثم يثني الشاعر على "يافا" التي هي مدينة العلم والنور تشع أشعة العلم والعرفان منها في أنحاء العالم، وهي مهد الآمال والإرشاد تهتدي بها الإنسانية وتنشر الآمال بين الإنسان، وعكا هي جبهة الفخر والمجد ويفتخر الإنسان بإنتماءه إليها ويعتز بها، ولكن أصيب بها الذل والهوان والعار لأن الاحتلال دمر هذه الآثار والمعالم ودنس المجد والكرامة وشوه صورتها الصافية فيقول الشاعر:

كيف " حيفا " هل خيم الصمت فيها وتناست ليالي الأعياد ؟
كيف " يافا " مدينة العلم والنور ومهد الآمال والإرشاد ؟
كيف " عكا " جبهة الفخر والمجد أذلت لحكم الاستبداد ؟

ويشير الشاعر إلى عدوان الاحتلال الإسرائيلي الذي دمرفلسطين وخرب المعالم التاريخية والمدن والقرى وهدم البيوت والمباني والمدارس والجمعيات والكليات حتى لم يكاد يبق لها عين ولا أثر في بعض المكان، وواصل اليهود جهودهم المكثفة لتهويد فلسطين ولكن الشاعر يدعي أن كل شبر في فلسطين لنا ورواها الشهداء بدماءهم الطاهرة، وتحته يأتي صوت شهيد مسلم من كل من زاوية من زواياها، ومضت السرايا حول "حطين" لكي تغسل هذا العار والذل والهوان بالدماء، وسوف نأتي إلى هذه الأرض بجنود النصر والظفر تحت فتح العلم وإن طال المدى، وقال الشاعر مدعيا كل شبرمن أرض فلسطين ويظهر إيمانه بالعودة والرجوع:

كل شبرفي فلسطين لنا تحته صوت شهيد مسلم
والسرايا حول " حطين " مضت تغسل العاربدفاق الدم
سوف نأتيها وإن طال المدى بجنود النصر تحت العلم [1]

وقد شبه الشاعر مدينة "حيفا "و"يافا " بالإنسان التي تئن وتشكو الذل والهوان مثل الإنسان تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي لأن نوائب الدهر آلمتها وسهمام الزمان آذتها، وحيفا تنوح مع الكرمل لأن هذه المدن تشعر بفراق الأحباب والأصدقاء كما يشعر الإنسان به، وكانت في لهفة وانتظار منذ مدة طويلة لأحباءه ولما لم يرجعوا إليها، تبدأ تنوح وتئن على فقدان الأحباء فيقول الشاعرفي هذا الصدد:

و "يافا " تئن وتشكو الهوان وقد آلمتها سهام الزمان
و"حيفا " تنوح مع الكرمل وتبكي على شعبها الأعزل[2]

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 28.
[2] نفس المصدر، ص 22.

ويعبر الشاعر عن علاقته العميقة بوطنه وأرضه ولو احتلها إسرائيل وسلبتها من الشعب الفلسطيني ولكنه يرثي وينوح على فراق الشعب لأن الشعب طردوا من أرضهم، فالشاعر بنفسه يتيه في الصحارى والجبال والسهول، ويسير في الأقطار و الأمصار بلا وطن و بلا أرض، فهو حزين ومكلوم في ديار الغربة، ويعترف بشوقه إلى الوطن يهزه، وفي الحقيقة وطنه هو عيده عندما يعود الوطن له ولشعبه، وبغير الوطن ليس له العيد ولا الفرح ولا السرور أو الراحة النفسية ولذلك يقول الشاعر معبرا عن أسفه المزيج من الأمل:

وطني .. وبي شوق إليك يهزني وطني وعيدي أنت يوم تعود

يتكرر السؤال في شعره لماذا نحن في الخيمة ولماذا ليس لنا وطن نرجع إليه؟ ثم رفض الشاعر إقامة اللاجئين في المخيمات السوداء التي تؤلمهم وتؤذيهم بعد أن كانوا قد تمتعوا بلذة الحياة الرغيدة، وهم كانوا استقروا في بيوتهم وحقولهم وحدائقهم ومزارعهم مع العزة و الكرامة والاحترام ليسكنوا في ظلام الخيام، فكيف يمكن لهم أن يعيشوا في المخيمات البالية التي لا تستطيع أن تقيهم من الحر الشديد في فصل الصيف، ولا من البرد القارس في الشتاء؟ فلماذا نحن نسكن في هذه المصائب ونتحمل مشاق الغربة والمحن والشدائد؟ ولماذا نصبر على هذا الذل والهوان؟ ولماذا لا نعود إلى بيوتنا وحقولنا ومزارعنا ؟ ولكن كيف نستطيع أن نرجع إلى أوطننا بسبب الاحتلال لأن إسرائيل سيطرت على أرضنا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، و لكن سوف ينكشف الغطاء وينبلج الفجر بعد السواد الحالك فيقول الشاعر طارحا الأسئلة المتعددة للعالم والمجتمع الدولي:

لماذا نحن في الخيمة في الحر و البرد؟
ألا نرجع للبيت وللحقل وللمجد
لماذا نحن في الألم

وليست تلك الخيام واسعة جدا لكي يسكن اللاجئون فيها بالراحة والطمأنينة بل هي مكتظة بساكنيها وضاقت بهم، فالشاعر يظهر حزنه الشديد على أوضاعهم السيئة، وأشار إلى سوء معيشتهم وتردي أحوالهم في الخيام، ولفت أنظار العالم إلى خطورة هذه المأساة وسكب الأحزان المؤلمة في قصائده فيقول:

هذي الخيام .. ألا ترى ؟!! ضاقت بمن فيها الخيام

تبدو الحسرة واللوعة في وجوه اللاجئين الذين يعيشون في الخيمة السوداء لأنهم بعيدون عن الأحباء والأصدقاء وعن الوطن، وعندما طلع عيد الفطر عليهم فلا يغمرهم الفرح والسرور ولم تنفرج أساريرهم، ويسئل الشاعرهارون هاشم رشيد كيف يمكن للاجئ أن يحتفل بعيد الفطر في

الخيمة السوداء كظلام القبر ويتمتع بالعيد؟ وكيف يستقبل العيد؟ وحياة اللاجئين مفعمة بالآلام والأحزان والهموم، وكيف ينعم بالعيد وقد أسلمه العاتون إلى الأسقام والفقر وفي إظلامة القبر، فلم يأت العيد بالفرح والهناء والسرور في حياتهم، بل الحسرة واللوعة على فراق الأحباء وفقدان الوطن فيقول الشاعر:

أعيد الفطر هل للاجئ المحروم من قطر؟
وقد أسلمه العاتون ...للأسقام والفقر..
يلوذ بخيمة سوداء، في إظلامة القبر
فلا تحميه من برد، ولا تحميه من حر[1]

لقدحفت المصائب الجليلة والشدائد العظيمة بحياة الغرباء واللاجئين و ظلت ترافقهم أينما حلوا ونزلوا، فلا وطن لهم يدافع عن معيشتهم، ولا أرض لهم تحافظ على حقوقهم الأساسية، ولا مأوى لهم يصونهم من الصيف والشتاء، فهم يجوبون من أقطار إلى أقطار باحثين عن الوطن يحتضنهم، والكهف يأويهم، وقد أشار الشاعر هارون هاشم رشيد إلى حياة الشقاء التي يواجهها هؤلاء المتشردون وهم يحملون في طيات قلوبهم اللهفة والحب للعودة إلى ديارهم، والشاعر يتعجب كيف العيد يكون يوم الفرح والسرور ويوم التهاني لهم فلم يأت بالأفراح إلى حياة المتشردين وكانت حياتهم مليئة بالبؤس والتنكيد وهم يتيهون فلا وطن يلم شتاتهم ولا كهف وأخدود يأويهم، فيقول الشاعر معبرا عن آلام اللاجئين وأحزان الغرباء:

ياعيد .. كيف على الديارتعود والبؤس ملء يديك والتنكيد
أتعود .. والأحرار أبناء الحمى ضلت بهم في النائبات نجود
تاهوا .. فلا وطن يلم شتاتهم حتى ولا كهف ولا أخدود
يتلهفون وفي الربوع معاقل الحق في جنباتها مفقود[2]

فلايأتي العيد بالفرح والسرور إلى حياة الغرباء واللاجئين إذا لم يتقدم معه النصر و الفرج ويرجع اللاجئون إلى أوطانهم فرحين مسرورين كرجوع الطيور إلى وكناتها فيقول الشاعر:

أعيد الفطرلا جئت، إذا لم تأت بالنصر
إذا لم تأت والنزاح قد عادوا إلى الوكر

تتجلى ملامح الأحزان والهموم في شعره ويسيل الشاعر عبراته على وطنه المسلوب وعلى أرضه المفقودة لأن الاحتلال مارس كل ما في وسعه من قتل ومصادر الممتلكات والأراضي،

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 31.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد ، ص 29.

وجرب أشد أنواع من التخويف والتنكيل لقمع المواجهات والمقاومات ولكبت الحقوق الأساسية، فيرثي الشاعر رثاء مرا ولا يحب أن يشدو ويصدح لأن موطنه في شقاء مستمر وشعبه كذلك في حداد مستمر، فتلاشى الفرح في وطأة الاحتلال الغاشم وانعدم السرور في غياهب الظلم والعدوان وران الألم الشديد والحزن الكثيف على الشعب الفلسطيني فيقوم الشاعر تضامنا مع أمته في وقت الحداد فيقول:

كيف أشدو وموطني في شقاء مستمر، وأمتي في حداد

واهتم هارون هاشم رشيد بإثارة الهدوء والطمأنينة في نفوس شعبه وإحياء الأمل بالعودة لكي لا ينطفأ مصباح الأمل والرجا في أنفسهم، ولكي لا ينقطع الكفاح والنضال للعودة إلى الوطن، فاعتنى الشاعر بالمعاناة التي يواجهها الغريب الطريد عن وطنه، وهو يحمل في أحشاء قلبه حبا لوطنه وحنينا إلى أرضه لهفة إلى مراتع طفولته وشوقا إلى ملاعب صباه، فنفخ فيه روح العودة وأشعل مجامر قلبه للكفاح والنضال لاستعادة الأرض، فيخاطب الشاعر تراب مسقط رأسه ويقول سنرجع ونعود إلى الوطن رغم الشقاء وقسوة الزمن ونوائب الدهر التي أحاطت بنا ورغم الليالي الحالكة التي تروعنا وتعبث بنا ورغم الجوع والفقر المدقع الذي يخوفنا ويرهبنا ورغم المشاكل والمحن والشدائد التي نعانيها ونواجهها، ولكن مع ذلك سنشق أستار الظلام الحالك، فينكشف الغطاء وينبثق الفجر الجديد، ونعود للمدن والقرى فلا يمنعنا الجبال والحصون ولا القلاع والتلال ولا يسدنا القنابل والدبابات بل نحن نسير ونتقدم بالفخر الجميل للقضاء على الحصار والاحتلال والوهن، فيقول الشاعر وهو يظهر عزيمته القوية للعودة في كلمات جذابة ذات الأثر:

سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاوة وقسوة الزمن
رغم الليالي العابثات بنا والجوع والتشريد والمحن
سنشق أستارالظلام غدا سنشقها ونعود للوطن
سنسير بالفخر الجميل قوى جبارة تقضي على الوهن[1]

ويصر الشاعر على العودة إلى وطنه ويؤمن بأن النصر لا يأتي إلا مع الثورة والكفاح والنضال، مهما ابتعد الشعب الفلسطيني عن الأرض المقدسة إلا أن أمل العودة لا يزال يرافقه، وحيثما يجيئ النصر العظيم والفتح المبين سيلاقي الشعب الفلسطيني بوطنهم وأرضهم يومئذ، وقد أقسم الشاعر بالعهد اليمين أن النصر يأتي وضاع الجبين مرفوع الرأس، ويلاقي بها كل من كان ينتمي إلى هذه الأرض كلقاء الفاتحين وهو يفتخر بها ويعتز، وخاطب فلسطين التي هي كل الأماني والمنى له يتم إكمالها وقتئذ عندما نسير في موكب النصر ونحن نصيح يوم الفداء يا فلسطين يافلسطين،

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، من أغاني العودة، ص51.

وعندما تعالت الأصوات والهتافات فتكون لنا موطنا، فيقول الشاعر وهو يصور ذلك العزم الحاسم ومنظر النصر:

نحن أقسمنا على العهد اليمين أن نزف النصر وضاح الجبين
ونلاقيك لقاء الفاتحين يا فلسطين ويا كل المنى
في ركاب النصر في يوم الفداء يا فلسطين إذا دوى الندا
لن تكوني موطنا إلا لنا

وتقلب الشاعر على لظى الشوق والحنين إلى وطنه عندما عادت غزة وكان هو موجود في القاهرة آنذاك ولم يستطع أن يزورها ، فيعبر الشاعر عن هذا الأسف الشديد لبعده عن وطنه، ويتلهف أولاده وزوجته وإخوته لعودته وكانوا كلهم مشتاقين إلى لقاءه بعد مدة طويلة ولكن هذا مستحيل فيقول الشاعر مبديا أسفه على عدم لقاءهم، وبعده عن أحباءه وأصدقاءه والبون الشاشع عن وطنه مع أنه كان مرتبطا به ارتباطا عميقا روحيا:

ولدي هناك وزوجتي وأبي هناك وإخوتي
يتقلبون على اللظى يتلهفون ...لعودتي
يتحرقون إلى اللقاء الحلو تحت التينة [1]

نالت كلمة فلسطين اهتماما بالغا وحصلت على قدرها العظيم حتى تتجلى هذه في كثير من شعره مما يدل على صلته القوية بوطنه وأرضه وتنم عن تمسكه بالهوية الفلسطينية وقضيتها والتحدي السافر الصامد في وجه الاحتلال مهما تبدلت صور الغزو والهجوم لأن القضية الفلسطينية أدمت قلبه وفجرت قرائحه، فنظم فيها القصائد التي امتلأت بالثورة والمقاومة ودعوة الجهاد ضد الاحتلال لأجل حرية الأرض والتي تحرض الشعب على مواصلة الكفاح والنضال للحفاظ على سلامة الأرض واستعادتها من براثن الاحتلال الغاشم والتي تثير في نفوس الشعب الروح الوطنية و الكفاحية حتى تتحرر الأرض، فيقول الشاعر مفتخرا بالهوية الفلسطينية التي هي الأماني والمنى له:

فلسطيني أنا إسمي فلسطيني
هو إسمي إنني أدري لأن إسمي فلسطيني
تطاردني تلاحقني لأن إسمي فلسطيني كما شاءوا أضاعوني
وقال: فلسطيني تلاحقني تعيش معي فلسطيني

ويعرف الشاعر بنفسه دائما في كل اللقاء قائلا:

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 279.

أنا ما ذا أكون بلا اسمي فلسطيني بلاوطن أعيش له وأحميه ويحميني

وقال الشاعر بكل العزم لو وضع القمر في يساري، والشمس في يميني، ولو أعطي لي هذا الكون كله، ولو سجل بإسمي النجوم السارحات في هذا العالم الواسع، ولو وهب لي كل ما في هذا الكون و خيرت ما بينها و بين قرية في وطني الحنون لخيرت قريتي، وكذلك لو مزق لحمي، وقلعت أظافري، وخلعت عيوني، وشيدت وقيدت، وألجمت بالرصاص واللهب، حتى قلت شعرا تحرفني عن موقفي وديني، لصحت في وجه الاحتلال بصيحة اليقين، إني فلسطيني، ولست أرضى غيرها لأنني فلسطيني فيقول الشاعر:

...لو ألجموني بالرصاص واللهب ألجموني حتى أحيد شعرة
عن موقفي وديني لصحت في وجوهم بصيحة اليقين
بصيحة تهتز بالجدران وبالسجون إني فلسطيني أتسمعون
لست أرضى غيرها إني فلسطيني[1]

لفت الشاعر أنظار شعبه إلى الرصاص والسرايا والكتائب والجيش لاستعادة الأرض من براثن الاحتلال الغاشم، وقال لم تأت الوعود والوفود والقصيد إلا بالخسران وخيبة الأمل، ولذلك نفخ فيهم روح الثورة والتمرد والكفاح والنضال، وأثار مشاعرهم الفاترة وعواطفهم النائمة إلى التمرد والخروج على الاحتلال، وعندما يزحف الجنود بالرصاص والجيش والسرايا، فتقشعر منه الجلود والقلوب وقتئذ ترد الديار فيقول الشاعر:

بالرصاص الرصاص لا بالقصيد ويزحف الجنود لا بالوعود
بالسرايا وبالكتائب بالجيش ترد الديار لا بالوفود

يفتخر الشاعر بهويته الفلسطينية ويعتز بها ويصدع بما يدمر في طريقتها كل السدود ويزيل كل العوائق والعراقيل في سبيلها، وينقش اسم فلسطين في كل مكان، فيعلو هذا الإسم على جميع العناوين، ويرتفع فوق كل المواضيع، وتلاحقه حروفه، وتعايشه كلماته، وتغذيه مفرداته، وتشعل النار في روحه، وتنفخ في شراييه جبال النار حتى تبدلت ألفاظه وكلماته إلى نارتحرق ونور تضيء وإلى إعصارعات، فيقول الشاعر:

فلسطيني أنا اسمي فلسطيني نقشت اسمي على كل الميادين
بخط بارز يسمو على كل العناوين حروف اسمي تلاحقني، تعايشني، تغذيني
تبث النارفي روحي وتنبض في شراييني جبال النار تعرفني مغاورها وتدريني
بذلت الطاقة الكبرى وقلت لأمتي كوني [1]

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 505 .

كشف الشاعر الستار عن جرائم اليهود البشعة الذين مارسوها بعد أن احتلوا مدينة غزة بحق الشعب الفلسطيني وأرى صورتهم الكريهة العالم كله لكي يعرف كيف إنهم لم يراعوا إلا ولا ذما في انتهاك الحرمات والحقوق الأساسية، وبالعكس أنهم أخذوا يفتشون البيوت والمساجد والمدارس، ويوقفون الرجال والنساء في الصفوف إلى الجدران وهم رافعي الأيدي، ويرشون عليهم وابلا من الرصاصات، فصاغ الشاعر هذه الجرائم البشعة وانتهاكات حقوق الإنسان السافرة وصورة الظلم والجور والعدوان في قصيدة:

– ارفع يديك .. .. وصوبوا .. ظلما .. بنادفهم إلي ..
–ارفع يديك .. وكاد ..يا أقدار.. أن يغمى علي
–ارفع يديك .. وددت لوقطعوا .. يدي ..[2]

وذكر الشاعر تلك الليلة السوداء التي فيها أرغمه العسف الصهيوني أن يغادر مدينة غزة بلده الحبيب بعد أن سكن فيها، وقتئذ يودعها وقلبه حزين ومكلوم على هذا، ويخفق القلب لها ويبكي على عجزه، ويظهرصلته بها ويتحسرعلى فراق مدينته وبعده عنها فقال:

أوداعا ..؟؟ فيم يا غزة بالله الوداع ؟
وأنا منك .. تراب .. وشعور.. والتماع

اهتم الشاعر هارون هاشم رشيد بالأبطال والشهداء اهتماما بالغا في قصائده ودواوينه الذين بذلوا من كل غال ورخيص في سبيل الحرية، واستشهدوا في طريق الحق دافعين عن الأرض والوطن صامدين صابرين أمام قوات الاستعمار والاحتلال، وتغنى ببطولاتهم وحماستهم الإيمانية في المعركة الحاسمة ضد الأعداء لتكون هذه القصائد رموزا ومنارات للأجيال القادمة لكي يجدون فيها القدوة والنبراس للكفاح والنضال لأجل حرية الوطن والأرض، ويرثيهم رثاء صادقا ويسكب دموعه وعبراته عليهم، فيقول الشاعر و هو يسلي أم شهيد ليطمأنها لا تذكرين فتاك بالبكاء والحزن والأنين والشجوى، بل تذكرينه بالثأر والوثبة عندما نكون نحن في موكب النصر والفتح، ويعزيها قائلا ما مات ولدك وما غاب عنك، بل هوخالد وحي لأنه استشهد لأجل وطنه وشعبه، وكانت ذكرياته موجودة في الحدائق والربى والسنابل والندى والزهر، وهو في عبير البرتقال، وسترينه في الثورة الشعواء وهويحمل اللواء ويسير في ظل اللواء وسترين جبينه تكلل بالفخروالثناء:

أنا لاأريدك ..تذكرين فتاك بالدمع السخين
بالحزن ..بالأنات ..بالأشجان ..بالصوت الحزين

---

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 516.
[2] نفس المصدر، ص 236.

بتلهف القلب الطعين ..وبالتجع ..والأنين
إني أريدك ..تذكرين فتاك ...بالثأر الدفين
بالوثبة الكبرى غدا..في موكب النصر المبين[1]

أماه.. يا أم الشهيد العبقري الخالد
أماه .. يا أم الكفاح المستمرالحاقد
ما غاب فارسك الأبي عن النضال الصامد
هو في الربى الخضراء ..في تلك المروج الناصرة
في شط "يافا " في ذرى حيفا وفوق الناصرة

انهمرت الدموع و العبرات للشاعر على الشهداء أكثربكثير، وتقدم برثاء صادق إلى أرواحهم نيابة عن شعبه الذين كانوا في مأتم ولا يزالون فيه، فدب الألم والحزن في عروقه وفؤاده ودمه، ولكن أنه يستطيع أن يرثي عليهم أو يبكي عليهم ويسكب الدموع، ولم ينس الشاعر الأخذ بالثأر ولم ينم عنه بل ينتظر يوم النصر المبين، وفي الحقيقة لم يمت الشهداء بل ينفخون الروح في الجثث الهامدة بشهادتهم ويشعلون مصباح الأماني والآمال في دياجير اليل للحزن والأسى وما زالوا أحياء بيننا فيقول الشاعر:

من فؤادي من عروقي من دمي جئت أرثيك كثير الألم
جئت أرثيك وشعبي كله ههنا محتشد في مأتم
فالأماني التي أشعلتها نورت ليل الأسى في الخيم [2]

ويثني الشاعر على بطولة مدينة في ساحة الحرب ثناءا جميلا لأنها صمدت وصبرت وثبتت وقاومت الأعداء بينما كان الآخرون تساقطوا وغاروا في الوهاد ولكن أنها نهضت من ليل الهزيمة ولم تنحن ولم تنقاد ولم تستسلم لجرحها، بل رفعت راية الجهاد وتقدمت إلى الأمام فلم تخف الانهزام ولم تريد الارتداد، وكانت تلك المدينة الباسلة تبعث الرجال بلاعداد على الفداء وهي تعطي الشوق والحب للمثابرة والصمود، وفي الأخير استشهدت أيضا دفاعا عن وطنها فيقول الشاعر:

وقفت يوم تساقطوا وهووا وغاروا في الوهاد
ونهضت من ليل الهزيمة لا انحناء، ولا انقياد

[1] ديوان طيورالجنة، ص 9.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 14.

ذكر الشاعر الأوطان من خلال مراثي الشهداء والتغني ببطولاتهم التي تضيع بيد القوات الاستعمارية والاحتلال، ويسئل ما قيمة العيش والحياة بغير الوطن؟ ويعدو الباغي على قدسية الأوطان وكرامتها بل يغتصب ويدوس حرمتها وعزها ونحن نعيش بلا وطن وبلا هوية ونجوب بلا جنسية وبلا أرض، فيقول الشاعر متحسرا على عجزه عن الدفاع عن وطنه الذي تعرض للاغتصاب وعدم الحفاظ على قدسيتها بل انتهكت الحرمات والأعراض واغتصبت المقدسات والمحرمات:

ماقيمة العيش والأوطان ضائعة ويعدوا على قدسها الباغي ويغتصب

تتجلى صورة الشهداء في الشعر الفلسطيني في ثياب الحي والشجاعة والبسالة، فأنهم في الحقيقة استشهدوا في سبيل الحق، ولكنهم أحياء في الخيال واللغة هذا مستفاد من الآية القرآنية، وتنعكس الصفات المتعددة في ديوان هارون هاشم رشيد للشهداء مثلا النسر شهيد الحق وعاشق الأرض، فيقول الشاعر في لسان شهيد تقدم بفداء النفس للوطن الحبيب، وهو يفتخر ببسالته التي لا تعلم إلا التقدم إلى الأمام والاندفاع إلى العلياء، وبشجاعته التي لا تعلم إلا الثورة الشعواء والتمرد، وأقسم الشهيد بأنه لا يلقي السلاح ما دام شبر واحد من الوطن في قبضة الأعداء، فيقول الشاعر محرضا على التحلي بالسرعة والحيوية والتقدم والكر والفر كالنسر في الأرض وفي الفضاء أيضا:

نسر أنا متمرد متقدم متوهج المنقار والسيماء

نسر أنا هذا جناحي كاسح الألغام مندفع إلى العلياء

نسر على طوباس وهج قوادمي يلقي لهيب الثورة الشعواء[1]

فالشهيد تحلى بصفة التمرد والتقدم والبسالة والصبر والثبات كالنسر، فلذلك لا يخاف الردى، ولا يقبل الذل والهوان، بل هو الباسل المغوار الذي ضحى بنفسه الطاهرة فداء لتحرير الوطن، واستخدمت هذه الكلمات للدلالة على منزلة الشهداء الرفيعة وكرامتهم ومكانتهم العلياء، وتغنى الشاعر بشهيد اسشتهد بيد الاحتلال دفاعا عن الوطن والأرض، وعاد إلى موطنه غزة التي كانت في لهفة وانتظار له والترحيب به بكل شوق لأنه قدم نفسه فداء للوطن والحرية واحتل المكانة السامية بين الناس ومنزلة رفيعة عند الله ، فيقول الشاعر باكيا على شهادته ورثاء على موته ومفتخرا بشهامته ومعتزا ببطولته ورجولته والتقدم والجهاد له:

قد عاد محمولا على الأكتاف عاد

الفارس الشهم غزة ملء عينيه

[1] ديوان طيورالجنة، ص 21.

حمل السنا والشمس والفجرالمخبأ والمراد

حمل البطولة والرجولة والتقدم والجهاد

وعلى خطى الشهداء قاتل في السهول وفي النجاد[1]

فتركت الكلمات والمفردات لصورة الشهيد في هذه الأبيات البصمات ذات الأبعاد النفسية في نفس القارئ الذي يتحرض بها لكي يرمي نفسه ثورة ونارا في وجه الاحتلال.

وعني بالشهيد عبد الفتاح محمود الذي رضع بلبان عشق الأرض فقبلها ومشى في طريق الشهادة وتلقى نداءها وهب إلى الرفعة والعلا والمجد، فلم يخف الهلع والموت وأروى وطنه بدماءه الطاهرة وترك كل شيئ خلفه واقتحم الصعاب، وأشعل مجامر القلوب للدفاع عن الأرض، وأثار روح الكفاح والنضال للحفاظ على كرامة القدس المقدسة، فهذه الثورة التي أشعلها الشهيد ماضية إلى تحرير الأرض فيقول الشاعر:

حبيب ..عاشق يا أرض جاء يقبل التربا

فغادر كل شيئ خلفه، وتقحم الصعبا

وقال ولدت هذا اليوم سرت أتابع الركبا

ولدت أجل، وإن أنكرت عمرا حافلا خصبا

ولدت فخط ياقدري طريقي عبد الدربا

وخل الأرض من تحتي تميد وأشعل الشهبا [2]

ولم يغمض الشاعرعينيه عن شأن الشهادة والشهيد، بل رفع من شأنهما في قصائده، وشأن الدفاع عن الوطن، فكيف يستطع الشاعر أن ينس شهيد النضال والكفاح الذي قدم نفسه فداء لوطنه للحفاظ على سلامة التربة والأرض المقدسة، فعينا الشهيد نار تلهب وتحرق الأعداء، وتحث الشعب الفلسطيني على المقاومة والمكافحة ضد الاحتلال فيقول الشاعر:

أننسى الشهيد ...شهيد الكفاح شهيد فلسطين في القسطل

أننساه ... وهو يمد يديه إلى الثأر لهفة مستقتل

وعيناه بالنار ترمي الشرار تنفث من صدره المشعل

واعتنى الشاعر أيضا بالشهيد المجهول عند الشاعر اعتناء بالغا ولم يقلل من شأنه، بل صوره أصدق تصوير يوم وداعه، فكفن الشهيد بلواء وطنه وهو معطرومخضب بدمائه، ويذهب الناس به إلى المقبرة، فالشمس كانت تبكي عليه وتسحب ذيلها من خلفه، فهي تستضيئ من دفن

[1] نفس المصدر، ص65.

[2] ديوان طيورالجنة، ص 16-15.

ضيائه وتشع ساطعة به، فتعالت الأصوات الحزينة عليها وتسيل الدموع والعبرات على شهادته، فيقول الشاعرهارون هاشم رشيد:

حملوا الشهيد، مكفنا بلوائه ومعطرا، ومطيبا ،بدمائه
الشمس، تسحب ذيلها من خلفه وتشع، ساطعة، بدفق ضيائه
وحمائم أسراب، تهدل فوقه كانت تهيم بشجوه وعنائه [1]

فلا يمكن للشاعر أن ينس أولئك الأسرى والسجناء الذين مازالوا في ليل القهر والظلم وسجون الاحتلال الظالم، ويعانون فيها أشد أنواع من التعذيب والتنكليل، ويعيشون فيها الحياة التعسة مالم يستطيعوا أن يتحملوها، ولكنهم يقدمون هذه التضحيات فقط للحرية، ذكرهم الشاعر في دواوينه و قصائده و فيها قدم إليهم الصبر و السلوان على هذا الفداء لحرية الوطن والأرض، وبشرهم بالفجر الجديد والنصر، وهذه القصائد التي قالها الشاعر هي باقة الزهور للذين أحبوا الوطن وافتدوه، وأحبوا الحرية وشقوا الطريق إليها، فيخاطب الشاعر الأسرى والسجناء من بعيد الذين كانوا في الشبابيك المغلقة والزنزانات المظلمة، ويقول لهم صباح الخير التي تصل بها أسراب الحساسين إليهم، وهي تدور بها مولهة على الزنازين كلهم، وتحط على الشبابيك المغلقة، وتحمل غصن الزيتون، وعبير البرتقال من الوطن الذي لا مثله أحلى من الوطن الفلسطيني، فهذا صباح الخير لأولئك الغر الميامين من"عكا "و" يافا " ومن" غزة " ومن ربوات حطين ومن مساجدها المعمورة ومن نفحات البساتين والحدائق، وذكرهم الشاعر لو أنكم كنتم في الزنزانات والغرف المظلمة الحالكة ولم يوجد أي شخص يقول لكم صباح الخير، ولكننا نقول جميعا صباح الخير لأن الفجر الجديد سينبثق ويطلع الصبح ونكون أحرارا وسعداء، فيقول الشاعر وهو يسليهم ويبشرهم بالفجرالجديد:

صباح الخير... تحملها إلى الأحباب أسراب الحساسين
تدوربها مولهة على كل الزنازين
تحط على شبابيك مغلقة وتنشد للمساجين
وتحمل شلح زنبقة لهم أو غصن زيتون
من الوطن الذي لا مثله أحلى من الوطن الفلسطيني[2]

ويعتني الشاعر أيضا بأحوال أولئك السجناء والأسرى الذين مازالو في ظلام القهر والسجن ويعانون أقسى ألوان من التعذيب والتنكيل ويعيشون حياة بين موقوف ومسجون ومعتقل أسير،

[1] ديوان طيورالجنة، ص 109.
[2] ديوان وردة على جبين القدس، ص 9.

ويواجهون المشاكل والشدائد في زنازين العذاب المر وفي ليل الزمهرير، ولكنهم مع ذلك هم أغلى الرجال همة وخيرة الشعب، وهم في العدد الكبير، ولكن ليس أحد يسمع صوتهم ويجيرهم ولا يفتش عن أحوالهم، ولايصل الصوت إليهم، ولا صحو الضمير يبلغهم، ولا يؤلم الناس أحوالهم، فالناس أغمضوا عيونهم عنهم وهم مشغولون في أمورالدنيا والحصول على المناصب وبناء القصور والمباني فشغلتهم زخارف الدنيا وزينتها عن السجناء، وعن الذين سلكوا على درب الفداء والتضحية، ومشوا على لهب السعير، وهم يحملون الأمانة والصدق تجاه أهدافهم الأصيلة، فلا يروعهم القهر ولايرهبهم الظلم ولن يتخلوا عن هدفهم الكبير لأنهم أغلى النسور، فيقدم الشاعر أحاسيسه وخواطره إليهم تسلية لهم، وقال مخاطبا لهم نحن سجناء أيضا بغيرهم ونعيش في قيدالحياة، ونشعر بأن أنفاسنا مخنوقة وتغلي النار في الصدور والقلوب، ونحن نظل كطائر الحزين الكسير بغير عودتهم إلى الوطن، ولكن بعد هذا الظلام الدامس سيطلع الفجروينكشف الغطاء فيول الشاعر:

عيني عليهم، في ظلام القهر، في السجن الكبير
عيني عليهم، بين موقوف، وبين مسجون ومعتقل أسير
عيني عليهم في زنازين العذاب المر ليل الزمهرير
أغلى الرجال همو، وخيرة نسوة الشعب الجسور
ما حالهم ؟ لا الغوث يبلغهم، ولا صحو الضمير
فالناس مشغولون عنهم في تصاريف الأمور
الناس مشغولون في زهو المناصب والقصور[1]

ولن يرض الشاعر بالاحتلال ولا بوجود قواته في الأرض المقدسة وقال لن يحل السلم والأمن، وقوات الاحتلال فوق رؤوسنا وتنتهك الحرمات والمقدسات والأعراض وتغتصب أراضينا وتسلب ممتلكاتنا وتبدد حقوقنا، بل يحل السلام والأمن يوم انسحاب المعتدين وانزياح الغاصبين من أرضنا، و إلا فلا سلم و لا سلام ول ا أمن، وتتواصل المقاومة والمكافحة على قدم وساق فيقول الشاعر وهو يشير إلى العدوان الإسرائيلي :

لا سلم والأجناد فوق رؤوسنا أكعابهم، وحقوقنا تتبدد
لا سلم إن السلم يشرق نورها يوم انزياح المعتدين وتقصد

يسأل الشاعر هارون هاشم رشيد فهل العدالة أن نستسلم لقوات الاحتلال والغاصبين ونحن نعيش في قيد الحياة وليل القهر والظلم، فلا نخالف ولا نقاوم العدوان السافر؟ وهل العدالة تتطلب

[1] وردة على جبين القدس، ص13 .

منا أن نصبر على أن يموت صغارنا جوعا ويحيط بنا الظلام والقتام وأن نرى تدمير البيوت وتخريب البساتين والحدائق بيد الاحتلال؟ وهل العدالة هي أن تنتهك قوات الاحتلال حقوق الإنسان الأساسية وكرامة الإنسانية والمقدسات الإلهية؟ وهل العدالة أن إسرائيل تقتل أبناءنا وأطفالنا وشيوخنا ونساءنا ونحن نلوذ بالسكوت؟ فيقول الشاعر:

فهل العدالة أن نطأطئ رأسنا للغاصبين ، ونستبى ونقيد ؟
وهل العدالة أن يموت صغارنا جوعا، ويطوينا الظلام الأسود؟ [1]
أيقتلون صغارنا ونساءنا وظل كالموتى نباح ونحصد؟ [2]

ويتكلم الشاعرعن علاقة القدس بالمسلمين ويظهر حبهم إياها، ويصرعلى أن القدس هي عاصمة فلسطين تدوم وتخلد، ولن يتخل عنها مهما كان، ويتوارثها جيل بعد جيل، والتاريخ على ذلك من الشاهدين، فلن نترك القدس ولا أرض فلسطين ما دمنا أحياء، بل نواصل كفاحنا ونضالنا لاستعاد أرضنا المسلوبة من براثن الاحتلال بكل ما في وسعنا، ثم أظهر الشاعر ظلم الأعداء واعتداءاتهم وقهرهم على الشعب الفلسطيني الذين يهدمون البيوت والمنازل ويخربون البساتين والحدائق، ويدمرون المدارس والمستشفيات ظلما وقهرا لكي يترك الشعب الفلسطيني النضال والكفاح أو يهاجروا إلى الدول الأخرى فيقول الشاعر:

القدس عاصمة لنا، ولشعبنا جيل إلى جيل تدوم وتخلد
أعداؤنا، من هدموا أبياتنا ظلما، ومن جاروا عليها واعتدوا

والشاعر يقول نحن نبقى على العهد الفلسطيني ونتشبث بهذه الأرض المقدسة مهما كان ومهما طال وقته ولوتعرضت فلسطين للاحتلال الإسرائيلي اليوم، ولكن نحن نحرر هذه الأرض ونستعيدها من القوى الظالمة فيقول الشاعر:

إنا على ميعادنا، فترقبوا في كل فجر ثورة تتوعد

يتحدى الشاعر الاحتلال ويقول إن فلسطين ليست لكم بل لنا لأن نقاء سمائها وفضائها والماء الذي يجري فيها والتراب الذي يتوقد كلها لنا، وليس في فلسطين شيئ لكم الذي تدعونه بها أو تعتبرونه ملكية لكم، فيقول الشاعر:

مافي فلسطين التي أنتم بها إلا الذي من أجلها يتجلد
فلنا سماء صفائها، وفضائها والماء، والتراب الذي يتوقد [3]

[1] نفس المصدر، ص38 .
[2] وردة على جبين القدس ص 41.
[3] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 43.

وتحدث الشاعرعن أحوال الشعب الفلسطيني السيئة وعن نفيهم وتشريدهم ولجوءهم وسأل أي شرائع في الدنيا تسمح بسلب الوطن بأسره وطرد أهله إلى العراء والمكان الآخر؟ لكي يتيهون من هنا إلى هنا ويجوبون من قطر إلى قطر بلا وطن و بلا هوية، فلا كهف يأويهم، ولا أرض تحتضنهم، ولا سماء تطل عليهم السحاب، بل يعيشون في المخيمات المظلمة الحالكة السوداء، ويعانون من الشدائد والمحن، فلا يطيب لهم طعام فيها ولا شراب، ولا يأتي العيد إليهم بالفرح والسرور بل يساورهم قلق الوطن و فراق الأحباء والأصدقاء، فيؤلمهم ألم الغربة، ويؤرق نومهم حياة اللجوء، ويضيف الشاعر سائلا في أي شرع يأذن بأن يأكل الأغراب زاد الآخرين وخيرهم وهم يجوعون ويمرضون ويموتون جوعا؟ فإن تألموا وتوجعوا على هذه المصائب وصرخوا أوخالفوا وحاولوا شيئا، فيواجهون المحاكمة وحكم الإعدام والسجن المؤبد والحبس الإداري، فيصور الشاعر تلك الأحوال أصدق تصوير ويقول:

أسأل: في أي شرائع الدنيا، يسلب وطن بأسره
وأهله إلى العراء يطردون؟ في أي شرع
يأكل الأغراب زادهم وخيرهم وهم يجوعون ويمرضون؟
فإن توجعوا أوصرخوا أو حاولوا شيئا يحاكمون!![1]

ويذكر الشاعر الانتداب الإنجليزي ويتهمه بهذا التدمير والتخريب الذي جاء بوعد بلفور لإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين، فالبريطانيا مسؤولة عن التشريد والتهجير والتخريب والقتل والإعدام، وأنواع من التعذيب والتنكيل للشعب الفلسطيني، خاطب الشاعر القاضي الإنجليزي الذي حاكم إثنين من الفلسطينيين و أصدر حكمه على سمر العلمي وجواد البطمة بالسجن عشرين عاما، وقتئذ قال الشاعر غاضبا هل تريد أيها القاضي ستسترجع الأيام وتجدد جدك الذي أغرق بلادنا في الظلام وأنزل أشد أنواع من العذاب والتنكيل بأهل فلسطين وأحل محلهم اليهود؟ هل رأيت طفلة كما الصبية التي حاكمتها، لا أهل ولا دار ولا وطن ولا أحلام لها فيقول الشاعر و هو يكشف الستار عن مؤامرات بريطانيا ودسائسها في إغراق البلاد:

هل سألوا ماذا ترى قد فعلت بنا بريطانيا والانتداب
هل حاولوا أن يفتحوا الكتاب أن يقرأوا كيف أتو بوعدهم
فدمروا حياتنا وعمموا الخراب
هل حاولت أن تسترجع الأيام؟ أكان جدك الذي قد حط في ديارنا
وأغرق البلاد في الظلام ؟ [1]

[1] وردة على جبين القدس، ص 83-82 .

ثم ذكر الشاعر فتاة فلسطينية تعيش في سجن الاحتلال وتعاني من الشدائد والمشاكل وتتحملها ولكنها جعلت فلسطين همها وغايتها القصوى، وهي تحلم بها كوطن لها وتترقب تلك الأيام، فلا يكون فيه ظالم يظلم الناس ولا متعصب يتعصب ولا يكون فيه محتل يعكر صفاءه ولا كاذب يكذب و يزور التاريخ، بل يكون فيه السلام والأمن والكرم، فيهتم الشاعر بتلك الفتاة في قصيدة له فيقول:

جعلت فلسطين الحبيبة همها والغاية القصوى التي تترقب
حلمت بها وطنا، كريما آمنا لا ظالم فيه، ولا متعصب
مافيه محتل يعكر صفوه ويزور التاريخ فيه ويكذب[2]

يثني الشاعر على مدينة غزة التي مازالت في الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وواجهت المشاكل العديدة في جميع مجالات الحياة، وشاهدت الدمار الشامل والقصف الجوي المروع، و لكنها صدت المعتدين من السيطرة عليها وصمدت كالجبال الراسيات أمام قوات الاحتلال، فلم تستسلم لأي ضغط سياسي واقتصادي، ولم تخضع لأي نوع من التهديد، ولم تقبل الذل والهوان، ولم تركع لأي طمع، بل رفضت الاحتلال رفضا باتا، ولم تقبل المساومة والمسالمة على أرض فلسطين، وصدعت بحرية الأرض كلها في فلسطين، حتى تمنى رابين إسرائيلي أن يغرق البحرغزة لصمودها وتمردها، ولكونها حجر عثرة في السبيل لدولة إسرائيل الكاملة، فيقول الشاعر مادحا هذه المدينة الباسلة:

تحاصر ليس يرهبها الحصار ولا القصف المروع والدمار
فغزة قلعة صمدت طويلا وتصمد لا يفزعها العثار
سنين وهي عنوان التحدي لها في وجه غازيها اقتدار
لها وقفاتها زمنا طويلا تصد المعتدين إذا اغاروا [3]

فعادات الاحتلال الشنيعة أن يدمر البيوت والمباني ويخرب البساتين أو يحرق الحدائق بصورة غير شرعية ويرغم الفلسطينيين على المهاجرة من هنا إلى مكان آخر، وينزل العذاب بهم لخلق الخوف الشديد في قلوب الآخرين، ويضرب عليهم الحصار الاقتصادي والسياسي للاستسلام له والخضوع لأوامره والخنوع لدعوته، وينأى الاحتلال بأعلى الأمنيات ويختلس الرغائب، وهدفه هو أن يعربد ويعيث في فلسطين فسادا، فقال الشاعر وهو يشير إلى جرائم الاحتلال البشعة غاضبا:

لكن ظل الاحتلال، وقهره ينأى بأغلى الأمنيات ويبعد

---

[1] المصدر السابق، ص 84 .
[2] المصدر السابق، ص 92.
[3] المصدر السابق، ص 131.

الاحتلال بقهره، وبظلمه عات يدمرفي البلاد يعربد

غال عليها، أن يهدم بيته ويدمرالعش الذي قد شيدوا

ولكن أسمى الأماني وأعلى الأهداف في عيون الشاعر هو الوطن، ولذلك يفدي له كل غال ورخيص في الحفاظ عليه والدفاع عن سلامة تربته وصيانة كرامته، فإذا سلب الوطن، ونهبت الحرية، وطرد الشعب، واغتصبت الأرض، ويعيش الإنسان بلا وطن وبلا هوية وبلا جنسية، فتزداد الرغبة في الحرية والوطن، وذاد الإحساس بالغربة، وتفجرت القرائح واحتدمت المشاعر والعواطف للوطن مع اندلاع التمرد والثورة والمقاومة والمكافحة ضد الاحتلال فترنحت أعطاف الشاعر وانسكبت هذه الآلام والأحزان في كلمات ثورية ترمي شرارة وشعلة، وتنفخ روحا وحماسة لاستعادة الأرض المسلوب، فيقول الشاعر و هو يشعر بالغربة، ويؤلمه حياة اللجوء، و لكن يبشر بطلوع الفجرالجديد على الرغم من الليالي الحالكة في الوقت القريب:

لكنما الأغلى عليها أرضه وترابه، و تراثه والمحتد

لكنما الأغلى بلاد تفتدى وتحرر يرجى وفجر يولد[1]

ولم يحب الاحتلال شعر هذا الشاعر لأنه مفعم بالثورة والتمرد والغضب الشديد ضد الاحتلال، ومليء بالصرخات بالوطن، والنداءات إلى الأرض، فعابه الاحتلال وقال إن نبرة الشعر تعلو، والقصائد تتوقد، ولم تكتف بهذا بل ترمي شرارا وتحرق القلوب وتنفخ في النفوس روح الكفاح والنضال، وتحرض الناس على المقاومة والمكافحة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وتحث الشعب على استعادة الأرض والوطن المسلوب، وتبعثهم أيضا على الحفاظ على سلامة الأرض والدفاع عن الوطن، بل تؤلم الاحتلال مثل هذه القصائد وتنزل عليه مثل الرصاص والسهام وتصل إلى قلوبه وتجرحه من الداخل فيقول الشاعر:

عابوا علينا أن نبرة شعرنا تعلو و أن قصيدتنا تتوقد

وبأننا مثل الرصاص كلامنا يأتي إلى صدر العدو يسدد

[1] وردة على جبين القدس، ص26.

الفصل الثالث

الاتجاهات الوطنية في شعر هارون هاشم رشيد

يرتبط الجانب الوطني في الشعر الفلسطيني بكفاح قوم ما لايزال يكافح ونضال شعب مالايظل يناضل في سبيل استعادة أرضه المسلوبة وتحريروطنه من براثن الاستعمار البريطاني والاحتلال الصهيوني، فلو كان الشعر تطور في بيئة خاصة، فيتميز بتلك الأوضاع الخاصة، وإذا كان الشعر نما في الكيان المتميز، فكان له ملامح خاصة، وإذا كان الشعر تربى في الجو الخانق، فكان له اتجاهات محددة وخصائص متفردة ويمتاز بذوقه الخاص، فمن أهم الجوانب والاتجاهات في الشعر الفلسطيني هو الجانب الوطني لعلاقته القوية مع القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني ونضالهم المرير لأجل حرية الوطن، قلما شاعر فلسطينيي يوجد ولم يهتم بالجانب الوطني ولم يعبر في الاتجاه الوطني عن الهوية الفلسطينية وعن المشاعر إزاء الوطن، فالشعور بالمكان هو إحساس طبيعي لطيف تغلغل في أحشاء القلب، فعندما يحرم الإنسان من المكان أو في منعزل عن الوطن وينقطع عنه انقطاعا تاما، فيزدادهم شعورا قويا بالمكان الذي ينتمي إليه، وتذكرهم عواطف الوطينة وتجول ببالهم، وخالط هذا الشعور الطبيعي بالمكان اللحم والدم للإنسان فلم يستطيعوا أن ينفصلوا عنه في أية لحظة من لحظات الحياة، وإذا فقد الوطن وسلبت الأرض وطرد الشعب، فتتعالى الصيحات والصرخات والنداءات، و تتفجر قرائح الشعراء والأدباء، وتنهمر دموع الأحزان وعبرات الآلام على الوطن السليب.

الوطنية هي الحس الوطني أو هي شكل متطرف يمتاز بشعور التفوق على البلدان الأخرى أو في معنى آخر الدعوة إلى الاستقلال السياسي لبلد معين،[1] ولكن في الحقيقة هذه هي تعلق عاطفي وولاء لأمة معينة بصفة خاصة، وهذا التعلق تولد عندما يتولد الإنسان في هذا الكون، وهذا الحس لايزال يمر بالمراحل الطويلة ويتطور مع مرورالزمن، ولكن الوطنية المتطرفة ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر بشدة وسادت في العالم، وهذا يعتمد على الشعور بالتفوق على البلدان الأخرى أو التعصب القومي و الإحساس بالتفضيل على الآخر وتقليل شأن الآخرين، ولكن هذا البحث هنا يتعلق بالدعوة إلى الاستقلال السياسي لبلد معين مما يرتبط بالرغبة في الحرية وطلب الوطن السليب والأرض المفقودة من القوات الاستعمارية ومن قوات الاحتلال، فالوطن ركن

[1]. Oxford living dictionaries

أساسي من أركان حياة الشعوب بل هو الركن القوي الذي يصوغ قلب الإنسان وعقله، ولذلك هناك الانسجام التام والتناغم الكامل بين الإنسان وبين الأرض، يترشح عنه حب وحنين وشوق وهيام، ومنشأ ذلك ربما يرجع إلى الأرض التي يعيش الإنسان على ترابها ويمشي على مناكبها ويأكل من خيراتها، ولذلك تخلد فيه ذكرياتها وتنجذب إليها الأفئدة وترتبط بها القلوب،[1] لقد تغنى كثير من الأدباء والشعراء بحنينهم إلى الوطن وحبهم للأرض ورغبتهم في حرية الأرض واستعادة الوطن من براثن الاستعمار وقبضة الاحتلال لأن الاستعمار استعمر أرضهم، والاحتلال احتل وطنهم مما أدى إلى غربتهم وتشرديهم عن وطنهم، وتهجيرهم عن الأرض، و أدى إلى نزوح الشعب من ديارهم.

فالشاعر هارون هاشم رشيد من أبرز الشعراء البارزين والأدباء الكبار الذين عالجوا قضية الوطن في قصائدهم ودواوينهم بأساليب متعددة، واهتموا بالقضية الفلسطينية في كتاباتهم، وهو من الشعراء الفلسطينيين أكثر استعمالا بمفردات العودة، فتسربت ذاكرة الوطن إلى نفس الشاعر وخالطت لحمه ودمه، فلم ينس الشاعر الوطن بل يحمله ذكرياته أينما حل ونزل، ويتمنى دائما لوكان طيرا ليحط على أرضه الحبيبة ويقبل ثراها، ويتحرك قلبه دائما لمدينته غزة التي سكنت في وجدانه ولم تفارقه، فيكتوي الشاعر بنار البعد عن الوطن ويتململ لأرضه المسلوبة ولا يستقر له أي قرار، ويزداد حنين الشاعر إلى رؤيتها ويتلهف شوقا إلى زيارتها حتى يخيل إليه أن شدة الشوق والحب تمزق قلبه وتجعله يتمنى في الخيال لكي يحط قلبه على تراب وطنه، وكانت البلاد في لهفة وانتظار الشاعر أيضا، وهي تناديه باكية وحزينة، فيقول الشاعر مشيرا إلى تشبثه بالأرض وصلته بها:

بلادي حاضرة نائيه　　إليها تلهف أشواقيه
وخفق فؤادي ووجدانيه　　يكاد يمزق أحشائيه
وأسمعها ملء أجوائيه　　تنادي مزمجرة باكيه

تحقيق رؤية الوطن في وجدان الشاعر هي يوم العيد له، فلا يكون يوم العيد له إلا إذا كان يوم العودة إلى الوطن والأرض الحبيبة، فالشاعر يظهر شوقه إلى وطنه ورغبته في الرجوع، ويردد الوطن.. الوطن، وبدون الأرض والوطن لا يطيب له أي شيئ فيقول الشاعر:

وطني.. وبي شوق إليك يهزني　　وطني وعيدي أنت يوم تعيد[2]

---

[1] www.oxfordhandbooks.com, 27/06/17 ,05/;30 OM.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 30.

فيصور الشاعر ذلك الألم الشديد الذي يؤلمه ويؤذيه في كل الأوقات لأنه يبقى عاجزا عن الدخول في الأرض التي فيها قضى أيام الطفولة وشبابه، وهو يتحسر على ذلك واقفا خلف حدود بلاده، و يتذكر تلك الذكريات الحلوة الناعمة، ولكنه طرد منها عنوة، فهو تركها كارها، وهو خلف وراءه الحقول والبساتين والحدائق وما زرعتها أنامله ويداه، فيقول الشاعرمشيرا إلى ذلك الألم النفسي الذي ظل يرافقه دائما مع الإشارة إلى وطنه:

هناك..هناك..أغاني صباي ونجوى شبابي.. وذكرى هوائي

وحقلي.. ومازرعته يداي[1]

ومازال الشاعر يفكر في العودة إلى أرضه ويؤلمه حنينه إلى وطنه كثيرا ويحرق قلبه ويؤرق نومه، فلا يطيب له طعام ولا شراب ولا نوم، فيطرح الشاعر الأسئلة على الدهر و الزمان، وهو يشبهه بإنسان له أذنان ولسان وهو يسمعه، وكان هو أيضا في انتظار الإجابة منه بدون التأجيل فيقول الشاعر:

أنا والحنين وهذا الظلام وهذا التحرق لا نهجع

متى يا ترى يرجع النازحون ؟ متى بهم تزهرالأربع ؟

متى يازمان، أجب يا زمان ؟ كأني بأذنك لا تسمع[2]

لم تنطفأ نارالحب والشوق للوطن في قلب الشاعر بل التهبت التهابا شديدا التي تكاد أن تحرقه، فتكرار الكلمات والألفاظ في شعره التي تؤكد معنى الحنين والشوق يدل على هذا التلهف مما أضرمه نار البعد عن الوطن وألم الفراق، فيقول الشاعر و هو يكتوي بنار الأرض المسلوبة:

الحنين الحنين يضرم فيه لهبا سعرته نارالبعاد

فاهتم الشعراء الفلسطينيون الذين عالجوا قضية الوطن في دواوينهم بكثير من الأماكن التي هي معالم هذه الأرض المقدسة مثلا الهضاب والتلال والسفوح والجبال للدلالة على أن إسرائيل تحاول كل المحاولة لتهويدها ومحو معالمها الإسلامية، وهذا الاعتداء لم ينحصر على منطقة خاصة بل حوى فلسطين كلها، فيصرخ الشاعر صرخات عالية ونادى بالنازحين والغرباء الذين يعيشون بعيدين عن الوطن في أرجاء العالم كله للحفاظ على هذه المعالم في هذه الأرض، ولمواصلة جهود العودة إلى أوطانهم وبذلهم من كل غال ورخيص في سبيل الرجوع لكي يبنوا أمجادهم المفقودة من جديد، بينما كانت الجبال والتلال والسفوح تصرخ بهم للنجدة والغوث وتبكي عليهم ولم تستقر لها أي قرار، فيهتف كل قطعة ويصرخ كل شبر في فلسطين أين قومي؟ أين

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 21.
[2] المرجع السابق، ص 44.

شعبي؟ أين أصحاب العلو والمجد والفخر؟ أين أصحاب الغيرة والنخوة والشهامة الذين لا يعرفون الاستسلام والاستكانة والذين لا يقبلون الذل والهوان؟ أين هم؟ أين هم؟ فيقول الشاعر:

يا أخي النازح والكون كبيروفسيح الشطوط الخضراء تدعونا إليها وتنوح
والذرى تبكي علينا وتناجينا السفوح يا أخي ليس سوى أرضك فيها تستريح
كل شبرفي فلسطين ينادي ويصيح أين شعبي أين شعب صادق العزم صريح[1]

اعتنى الشاعر هارون هاشم رشيد بتلك النفوس الحزينة المتألمة المضطربة التي تبكي وتصرخ على فقدان أحباءها وتنوح بهم، وتئن على غياب أصدقاءها، فيسليها الشاعر و يتقدم إليها بورود الصبر والسلوان عسى أن يتخفف ألمها وحزنها ويأسها حتى يرجع أحباءها الغائبون إلى أوطانهم فرحين وأحرارا، فيقول الشاعر في قصيدة " الحديقة الحزينة".

نوحي على سمع الحياة وأرسلي الأنات تترى
حتى يعود الغائب المحبوب للأوطان حرا [2]

ظهرت الأماكن والقرى والمدن في رؤيا جديدة التي صاغها الشعراء في فلسطين وصبغوها بصبغة نموذجية إنسانية وأتوا بها متجاوزين الحدود الجغرافية المحددة للأماكن إلى إعطاء شكلها روحيا ووجدانيا يمتلئ بالحركة والنشاط والحياة، فأعطوها لسانا للتعبير، وروا تاريخها وأحاديثها بطريق الأشعار لكي تسجل الحقائق التاريخية للأجيال القادمة من مدن وقرى وشوارع وجبال وتلال سهول وهضاب، ولذلك تنعكس هذه الملامح في الشعر الفلسطيني حينا لآخر، فمدينة " يافا " التي تصرخ وتئن من شدة الحزن والألم على ما حل بها وبشعبها بيد الاحتلال من تدمير وتشريد واعتقال وإعدام وكبت وقمع كان من وقع السهام والسيوف، فداس الأعداء كرامة هذه المدينة وقدسيتها، ولم يراعوا إلا ولا ذما في إحلال الذل والهوان على شعبها بل انتهكوا المقدسات الدينية وحرماتها ليس للمسلمين فقط بل للمسيحيين أيضا، فران عليها الصمت الكثيف فلا يسمع فيها جرس الناقوس، ولا صوت الآذان، فيقول الشاعر في قصيدة "هناك بلادي " وهو يشير إلى اعتداءات إسرائيل على هذه المدينة وألمها وأنينها:

ويافا تئن وتشكو الهوان وقد آلمتها سهام الزمان
ومات على شفتيها الآذان وناقوسها..ذاهل ..مستهان[3]

فمدينة "حيفا " تنوح مع الكرمل وتبكي على ما نزل بها وتسكب دموعها على شعبها الأعزل تضامنا لأن ما نزل بها لا تستطيع أن تتحمل جرحها وألمها فيقول الشاعر:

[1] المصدر السابق، ص 85.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 89.
[3] المرجع السابق، ص 21 .

و"حيفا " تنوح مع الكرمل وتبكي على شعبها الأعزل[1]

تحسر الشاعر على مدينة "حيفا " التي كانت في الصمت الكثيف للحزن والألم بعد أنها تعرضت للاحتلال، وسكب هارون هاشم رشيد الدموع والعبرات عليها وبكى على مدينة " يافا " التي هي مدينة العلم والنور ونيطت بها الآمال والإرشاد، وأعرب عن حزنه الشديد والألم العميق على مدينة "عكا " التي هي مدينة جبهة الفخر والمجد والتي صمدت أمام الغزاة كالجبال الراسيات عبر تاريخها الطويل، فلم تكن تعرف الاستسلام والخضوع والاستكانة ولكنها تعرضت لحكم الاستبداد الآن بسوء الحظ، فيقول الشاعر في قصيدة " يا بلادي" وهو يثني على بسالة هذه المدن وميزاتها الخاصة وخصائصها النادرة:

كيف " حيفا " هل خيم الصمت عليها وتناسب ليالي الأعياد؟
كيف " يافا " مدينة العلم والنور ومهد الآمال والإرشاد؟
كيف " عكا " جبهة الفخر والمجد أذلت لحكم الاستبداد؟[2]

يذكر الشاعر أيام الطفولة والصبا التي قضاها في مدينة "حيفا" و نشأ و ترعرع في حضنها ولعب فيها مع الأصدقاء والأحباء، فترسخت هذه الذكريات الحلوة في ذهنه فلا تستطيع نوائب الدهر أن تمحوها بل تؤلمه تؤذيه كثيرا عندما تخطر بباله، فيتململ الشاعر لها ويسألها أين منك أحبة ؟ وأين غابوا عنك الأحباب ؟ ويتمنى الشاعر العودة إلى الوطن بأسرع الوقت مبديا حبه وشوقه إلى زيارتها ويسئل هل يمكن الرجعة وهل يعود الشباب وهوشاب؟ فيقول الشاعر:

حيفا الحبيبة: أين منك أحبة كانوا ، وأين تفرق الأحباب؟
حيفا الحبيبة: هل لأمسك رجعة وهل الشباب يعود وهو شباب؟

شعرت مدينة "حيفا" بألم فراق أحباءها، وتبدأ تصرخ من شدة تفرق الأحباب عنها، ولم تستطع أن تتحمل هذه المحن مع أنها كانت مدينة الأحرار و تبكي و تنوح بفراق أهلها، وظهر من بعض الكلمات في بعض أبياته أن الشاعر قد يئس من العودة وفقد أمل الرجوع إلى الوطن، ولكن من الممكن أنه ضاق به الطريق للعودة في وقت ما، فلم يحزن الشاعر فقط بل تحسرت التلال والجبال لمدينة "حيفا" على ما نزل بها وبشعبها، ونادت السفوح والحصون بأهلها للنجدة والغوث، ويتسائلها الشاعر في حيرة واستعجاب هل يمكن أن نعود عودة ثانية إلى وطننا بعد هذا الفراق الشاسع والبعد الطويل؟ فيقول الشاعر:

أمدينة الأحرار نوحي واندبي فالأهل عنك وعن رحابك غابوا

[1] المرجع السابق، ص 22.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 47.

تتساءلين وفي ذراك تحسر وعلى ربابك تأثر و عذاب
بالله يا حيفا .. وقد فارقتنا بالله هل بعد الغياب إياب؟!

أبلى الشاعر هارون هاشم رشيد في التعبير عن الاهتمام بقضية وطنه بلاءا حسنا، وصدع بها أمام كل شخص وتشبث بحق العودة، وقد صرح به في قصيدة عندما سمع الشاعر بنتا تسأل أبيها في خيمة عن سبب الغربة والنفي وأصرت عليه، فرد الأب على ابنتها و هو كان يؤكد على الرجوع واستعادة الأرض والوطن وقال بكل العزم لن يمكن التنازل عنه مهما كان ثمنه، ولن يزيد الحصار الاقتصادي والسياسي إلا إلحاحا وصمودا وتحديا، فيقول الشاعر وهو يصور ذلك المنظر أصدق تصوير ويعبر عنه أدق تعبير.

فيصرخ سوف نرجعه سنرجع ذلك الوطنا
فلن نرضى له بديلا ولن نرضى له ثمنا
ولن يقتلنا جوع ولن يرهقنا فقر

تجلى في شعره الرغبة في الثأر والانتقام من الذين كانوا مسؤولين عن تهجير الناس وتشريدهم والذين خططوا لإنشاء الوطن اليهودي ومساعديهم في هذا الصدد، فينادي الشاعر أهله وأصحابه بصوت عال من الكهف والخيمة البالية، ويصدع بمواصلة الكفاح والنضال بكل طريق ما في وسعهم ضد الاحتلال للقضاء عليه واستعادة الوطن السليب من يد اليهود الغاصبة فيقول الشاعر معبرا عن غضبه الشديد وعزمه على الأخذ بالثأر:

من الكهف والخيمة الباليه سأجمع للثأر أحلاميه
سأجمع أهلي وأصحابيه وأصرخ في عمق أعماقيه
وأرسلها صيحة داويه وأدعو إلى الجولة الثانيه

وإيمان الشاعر بالرجوع إلى وطنه كإيمانه بطلوع الشمس، فلم ييئس ولم يقنط من أمل العودة، بل هو متفائل بالنصر في الوقت القريب ولوطال مداه، فيقول وهو يظهر اعتماده به على لسان فتاة لاجئة تعيش في خيمة مظلمة سوداء:

قد كان لي وطني قد كان لي ومضى مع الزمن
وغدا يعود يعود لي وطني

لم تستسلم فلسطين للاحتلال ولم تخضع لضغط الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ولم تركع للهجمات والضربات ولم تقبل الذل والهوان ولم يدخل اليأس إليها بل بقيت على العهد وتشبثت به ورفضت الاستسلام والاستكانة رفضاباتا، وصمدت كبنيان مرصوص على الرغم من الجراح والآلام التي أحاطت بها وفرقت سياط الرياح الشعب الفلسطيني ومزقت نوائب

الدهر شمل الكلمة والوحدة، ولكنها اعتزمت بمواصلة المقاومة والمكافحة إلى أن ينبلج الفجر الجديد وهي تحمل معها لواء النصر وعلم العودة إلى الوطن فيقول الشاعر مشيرا إلى تلك الآلام والجراح التي أثخنت فلسطين وعازما على بقاء عهد الكفاح حتى يطلع الصبح على أرض فلسطين:

بلادي وإن آلمتنا الجراح وإن فرقتنا سياط الرياح
فنحن على العهد عهدالكفاح سنبقى إلى أن يطل الصباح[1]

قد تعرضت فلسطين لوطأة الاحتلال الإسرائيلي وطرد الشعب من أرضهم عنوة وهم يحملون في نفوسهم الجراح و الآلام و الأحزان وهم يخلفون وراءهم الأراضي والبيوت وأشجار الزيتون والبرتقال والتمر وما إلى ذلك ليعيشون في الكهوف والمخيمات ولكن هذا لم يقلل من عزيمة هذا الشعب وإلحاحة على المقاومة والمكافحة ضد الاحتلال، فساهمت هذه الكارثة التاريخية في إذكاء مشاعر الشعراء والأدباء، ليس في فلسطين فقط بل في العالم العربي و الإسلامي مما يدل على اعتناءهم بمثل هذه الأحداث التاريخية واتخاذها موضوعا لهم في قصائدهم ودواوينهم فتنعكس هذه الملامح في أدبهم، وقد خلد الشاعر هارون هاشم رشيد التاريخ في شعره مثل هذه الحوادث التاريخية حينما جعل من معركة حطين موضوعا له في شعره التي ظفر فيها القائد الباسل صلاح الدين في القتال على الصليبيين واستخدمها كأداة لتحريض الشعب والحث على المكافحة والمناضلة والانتقام من الذين داسوا قدسية فلسطين وكرامتها، وانتهكوا حرماتها، ودنسوا طهارتها ومزقوها، فيدعي الشاعر كل شبر في فلسطين للشعب الفلسطيني لأن الشهداءأرووها بدماءهم الطاهرة ودافعوا عن حوزة عرضها وكرامتها، ويعتزم الشاعر على العودة إلى الوطن السليب وإن طال مداه ويظهر الرغبة في الأخذ بالثأر والانتقام فيقول الشاعر:

كل شبرفي فلسطين لنا تحته صوت شهيد مسلم
سوف نأتيه وفي أكبادنا ثورة مشبوبة بالنقم
والسرايا حول حطين مضت تغسل العار بدفاق الدم
سوف نأتيها وإن طال المدى بجنود النصر تحت العلم
فأعملي ياأمتي صابرة ولغير السيوف لا تحتكمي[2]

ذكر الشاعر هارون هاشم رشيد معلمة تعيش في مخيم اللجوء ولكن تلك المعلمة لم تفقد الأمل ولم تيأس بل تخاطب تلاميذها وهي تنفخ فيهم روح الأمل والرجا وتبعثهم على التخلي عن

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص22.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 28.

اليأس وتحث على تحليهم بالصبر والمصابرة وتحرضهم على أن يكونوا فرحين ومسرورين وأن يظلوا وضائين مشرقين كوضوح النهار، فلن يتطرق اليأس إلى قلوبهم والخوف والملل بل يجب عليهم أن يكونوا صامدين ثابتين حتى ينبثق الفجر الجديد لأن الغد والمستقبل المشرق لكم، فيقول الشاعر مثنيا عليها لتكون نبراسا يضيئ طريق العودة إلى الوطن ويشعل مصباح الأمل:

أحباء روحي..لا تيأسوا، ولو شمل العالم المنكر

وكونوا كفجرالحياة الوضيء.. يداعبه الأمل النير

صغاري غد لكم، فاعملوا على خيرأوطانكم تنصروا

يردد الشاعر العودة في دواوينه أكثر بكثير حتى سادت هذه الفكرة الأساسية فيها، ولذلك ظل يشعل أمل الرجوع والعودة إلى وطنه في قلوب شعبه لكي لا ينظفأ هذا في خضم الشقاء والجوع والتشريد والمحن، وقسوة الزمن والليالي المخوفة التي أحاطت به وبشعبه في حين لم يبد شعاع من الأمل والرجا لفك الحصار الخانق والقضاء على الاحتلال، ولكن الشاعر يؤمن بأن الغطاء سينكشف وينبثق فجرجديد بعد هذه الليالي السوداء الحالكة وتأتي آونة العودة، ونحن نرجع حاملين لواء الحرية إلى وطننا فرحين ومسرورين فيقول الشاعر:

سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاوة و قسوة الزمن

رغم الليالي العابثات بنا والجوع و التشريد والمحن

سنشق أستار الظلام غدا سنشقها ..ونعود للمدن[1]

تجلت عزيمة العودة في الشاعر وأظهر إيمانه بها عندما خاطب فتاة لاجئة تسكن في الخيمة المظلمة السوداء بأن تتشبث بذيل الصبر على شظف الحياة وتنتظر حتى ينكشف الظلام وينبلج الفجر الجديد ويلوح النصر، فيقول الشاعر وهو يسليها على الوطن السليب للعودة مرة ثانية إليه:

سنعود يا ليلاي فانتظري في الخيمة السوداء في الحفر

حتى يلوح النصر منبثقا وأنا وأنت نسير للظفر

أكد الشاعر على العودة إلى وطنه تأكيدا شديدا ولم ينس الأرض في وقت من كل الأوقات كلها بل ظلت ترافقه وتحرضه للزحف إليها لرفع راية النصر والانتصار، طوي بساطها عبر الأوقات الطويلة ويكون الدهر على هذا النصر من الشاهدين، فيقول الشاعر بكل غاية من الصراحة معلنا بصوت مجلجل:

سنعود نرفع راية طويت ونعيدها تزهو على الدهر

[1] المرجع السابق، ص 51.

استخدم الشاعرهارون هاشم رشيد مفردات العودة والرجوع في دواوينه لإشعال مجامر القلوب ونفخ الروح الوطنية في أحشاء الشعب الفلسطيني وبالأخص في نفوس اللاجئين، وتسعير النخوة العربية وإثارة الحماسة والغيرة لأخذ الثأر من الذين كانوا مسؤولين عن هذه الكارثة ما حلت بالشعب الفلسطيني وبأرضهم ليثير حدة مقتهم الشديد وإلحاحهم على العودة وعلى أن يثأروا رغم أنف الزمن وأن يصعدوا فوق هام المحن و يحرضهم على التحلي بالصبر والمثابرة ويتحملوا المشاق والمحن في سبيل الحرية، فيقول الشاعر:

وصبرا فلا بدا للبائسين بأن يثأروا رغم أنف الزمن

ولا بد أن يرجع اللاجئون وأن يصعدوا فوق هام المحن

ولا بد .. ولابد.. من عودة الكريم إلى أرضه والوطن

ويتحدث الشاعر عن نازخ طرد عن وطنه عنوة فأصبح غريبا، ولكن إنه ينتظر بفارغ الصبر انتهاء الغربة ولكنها تطول أكثر مما كان يتوقع، فيحاول البحث عن المخرج مما هو فيه من حالة الغربة واللجوء فباء أمله بالفشل لأن الاحتلال ضرب الحصار الخانق على أرضه، وسد سدا منيعا لمنع الدخول فيها، فيصور هارون هاشم رشيد في قصيدة " مشرد بلا وطن " تلك المشاكل أصدق تصوير التي يواجهها ذلك الغريب، فلم يجد فيها بدا إلا التراب المخضب بدماء الشهداء الأبرار، وقارن الشاعر مقارنة تميز بين الإنسان والحيوان وخط خطا فاصلا بين الغريب والطيور والحيوانات التي ترجع إلى وكناتها وبيوتها حينما شاءت وأرادت، أما الغريب فهو عاجز عن العودة إلى وطنه الحبيب كلما شاء وأراد لأنه مكبل بالحدود والأسلاك والقيود، فيقول الشاعر مشيرا إلى حالة المشردين وعجزهم:

الطير في رواحها تعود إلى الوكور و الذئاب والاسود

حتى الأفاعي والثعالي والقرود وكل ما دب في الوجود

يعود ..أنى شاء أن يعود وهو تحول بينه السدود[1]

نبه الشاعر شعبه إلى مخططات اليهود وكشف الستار عن نوايا الاحتلال حينا لآخر، ولفت أنظار العالم إلى جورهم واعتداءهم على المساجد والكنائس والمعاهد، وأبرز سرقاتهم لخيرات شعبه وسلبهم ونهبهم الممتلكات والأموال وتدنيسهم طهارة المقدسات وانتهاكهم قدسية الحرمات، ولكن مع ذلك أنهم سينهزمون هزيمة نكراء غدا ونحن نملك هذه الأرض ونرجع أحرارا فخورين بالحرية إلى أرضنا لبناء مجدنا من جديد فيقول:

مهما تعالى الجائرون وحصن المتجبرون

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 350.

مهما مضوا في أرضنا يتبخترون ويعتدون
يجنون سنبل قمحنا خلف الحدود ويحصدون
وكرومنا هم يسرقون عنب الكروم ويعصرون
وعلى المساجد والكنائس والمعاهد يعتدون
ويلطخون طهارة الأقداس ظلما يجرمون
لكنهم لا يعلمون أن الغداة سيهزمون
قولوا لهم إنا لها .. إنا لها لو يعلمون[1]

ساد ذكر الخيمة والنفي واللجوء في شعر الشاعر هارون هاشم رشيد مما يدل على خطورة النكبة الفلسطينية التي تشتمل على الأبعاد المأساوية من قتل ونهب وسلب واعتقال و إعدام وسجن وعذاب وتنكيل واختطاف وتهديد وحصار وما إلى ذلك، فصور الشاعر هذه القضايا في دواوينه أصدق تصوير لهز مشاعر المجتمع العربي والإسلامي، ولفت أنظار العالم إلى حل هذه القضية، فتتجلى معاناة الشعب الفلسطيني في شعره، وصور الأنين والحنين إلى الوطن، وألم الأكواخ وضيق الكهوف، وهموم حياة اللاجئين والمشردين ومشاكلهم في الغربة، وصيحات العودة وهتافات الرجوع على الرغم من قسوة الزمن ونوائب الدهر والليالي العابثات التي أحاطت بالشعب الفلسطيني لم تمنعهم من الصبرو المثابرة، ولم تسدهم من الصمود والتثبيت في مقاومتهم ومكافحتهم، ولم تزلزل أقدامهم في سبيل الحرية، فينفخ الشاعر دائما روح الأمل والتحدي والصمود في قلوب الغرباء، ويحرضهم على الكفاح للحرية والتحمل للمشاق في طريق الوطن، فأن الغد آت بالفرج واليسر والنصر فيقول الشاعر:

هذي الخيام ألا ترى؟ ضاقت بمن فيها الخيام
لا..لا .. يروعك السقام فلن يحطمها السقام
كلا ولا هذا الشقاء إذا تفشى والحمام
لا لن يضير عقيدة من أجلها صلوا وصاموا
بشرى فلسطين الحبيبة يوم ينتفض الحطام
سنثيرها شعواء تلتهم اليهود وما أقاموا

نالت الفتاة اللاجئة مكانا في ديوان هارون هاشم رشيد بصفة خاصة التي كانت تبذل من كل غال ورخيص في سبيل المقاومة للحرية، و تزرع الإيمان الراسخ بالرجوع في نفوس تلاميذها، وتشعل مصباح الأمل في دياجير الليل الحالك، وتهتم بصنع رجال الغد، وتنفخ فيهم روح المكافحة

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 105.

والنضال، فوصف الشاعر أحوال التلاميذ الذين يواجهون عذاب البرد لأن الخيام البالية لم تستطع أن تحافظ عليهم وينزف الدم من الأقدام لعدم النعال والمداس، ومع ذلك تغلغلت الوطنية في أحشاءهم، والتفاخر بآباءهم أصبح شيمة لهم، ويتعايشون آلام النفي والجلاء والتشريد والتهجير، ولكن لم ينطفأ مصباح الأمل في نفوسهم، وكانت عيونهم دائما على الهدف الأكبر وهو العودة إلى الوطن كما تلك المعلمة تفدي نفسها لتنير ما حولها لأجل العودة إلى الوطن فيقول الشاعر:

تعذب في البرد أجسامهم وأقدامهم من دم تقطر
تلاميذ .. كان لهم موطن عزيز .. بآباءهم يفخر
أفاقوا إلى حيث لا يعرفون يضمهم السبب الفقر
تلاميذ في عاصفة الكارثات على هجر أوطانهم أجبروا
إلى أن تلاقوا هنا في الخيام يضمهم الهدف الأكبر
أحباء روحي أنا شمعة تضيئ ولكنها تصهر

أرغمت النكبة الفلسطينية الشعراء والأدباء على أن يرفعوا أصواتهم ضد الاحتلال وأن يصوروا مأساة الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل وخارجه، فعلى الرغم من المحاولات الصهيونية والاستعمارية لطمس الهوية الفلسطينية العربية وعلى الرغم من السنين الطوال تحت وطأة الاحتلال التي عايشها الإنسان الفلسطيني، ظل أمل العودة إلى الأرض المسلوبة راسخا، ويزداد حنين الوطن وهواجس الشوق يوما فيوما، فالشاعر هارون هاشم رشيد يؤكد على العودة إلى وطنه ويعلن إيمانه به مجلجلا وقال إنه لن يرض أن يتخل عن شبر واحد من أرض فلسطين مهما كان ثمنه، فالنصر سيأتي في المستقبل القريب فيقول:

سنرجع ذلك الوطنا فلن نرض له بديلا

فألح على استعادة الأرض من براثن الاحتلال اليهودي، فهذا الإصرار ينبع من الأمل والرجا والصبر والمثابرة والتضحية في سبيل الوطن، فلن يساوم على أرضه ولن يقبل لها ثمنا ولن يرض لها بديلا، فالثورة و التمرد يعزز أمل الرجوع، ويوطد الشاعر هذا الأمل والتفاؤل بالعودة في هذه القصيدة و هو يظهر عزيمته الصارمة على العودة من الخيمة ومن الليل الحالك والظلمة إلى أرضهم التي هي أرض آباءهم وأجدادهم وهي مهبط العزة والكرامة، وفيها القدس التي هي قطب يدور حولها البركة والرحمة والتي هي محط العشق والمحبة والشوق واللقاء لكي يعود مع الذكريات ويغرس شجرة الحرية:

غدا سوف أزحف من خيمتي ومن حلكة الليل والظلمة
إلى أرضهم، أرض أجدادهم إليها إلى مهبط العزة

إلى القدس تواقة للقاء إليها إلى اللد للرملة
هناك أعود مع الذكريات أعود لأغرس حريتي[1]

طالت سنوات التشريد والنفي والجلاء والتهجير، وتفاقم عذابه واستفحلت مأساته، ولا يبدو يكاد أن تنتهي، فيسأل الشاعر متى يعود الغرباء إلى أوطانهم لأن الشعب الفلسطيني قد قضوا الأوقات الطويلة في الانتظار ولكن لم يأت ذلك اليوم الموعود، وأكد هارون هاشم رشيد على دور المكافحة والمناضلة مما تؤدي بالفلسطينيين إلى أوطانهم، وعندما يرجعون وقتئذ يقبلون التراب المخضب بالدماء والجراح ويغرسون شجرة الحرية والنصر والانتصار في الأرض الحبيبة، ويفرحون بالعودة والنصر، ويبنون مجدهم الشامخ من جديد، فيقول الشاعروهو يحرض على الكفاح للجولة والنضال للعودة:

الجولة الكبرى غدا ..لابد منها والكفاح
ونكون نحن بناءها العالي إذا ما الفجر لاح
ونقبل الترب المخضب بالدماء والجراح
سنسير للنصرالقريب ولن يؤخرنا النباح[2]

تنعكس صورة القوة والجهاد والمكافحة المسلحة والثورة الجارفة في شعر الشاعر حينا لآخر التي تجرف عراقيل الأعداء وطغيانهم في استعادة الوطن السليب من براثنهم وإعادته إلى أهله، فيرفع الشاعر من شأن الجهاد والنضال المسلح والثورة العارمة، ويؤكد على أهميتها في سبيل حرية الوطن، ويؤمن بأن الثورة لا تأتي إلا بالنصر والانتصار، فلا بد من الكفاح والنضال في سبيل الحرية، فلم يفقد الشاعر أمل العودة على الرغم من طول الغربة والنفي والجلاء، بل يعتمد متفائلا على إتيان النصر على الأعداء ولو طال مداه، ويثني على القادة والفرسان والأبطال الذين روعوا الأعداء وأرقوا نومهم وناضلوا مناضلة شديدة في وجوههم و أبلوا في الثورة الفلسطينية بلاءا حسنا، وتغنى ببطولة الفارس الذي ألقى في قلوب الأعداء الخوف والهلع وأرق نومهم برا كان أو بحرا، وهاج للحق وصدع به دائما وأحب فلسطين حبا جما ودار في رحابها وفنائها شبرا فشبرا ولكن احتلها إسرائيل ولذلك إنه ينضال لاستعادتها فيقول الشاعر:

أيها الفارس كم أرعبتهم أنت كم أرقتهم براوبحرا
ثرت للحق وناديت به وتمنطقت حزام الموت بكرا
أنت أحببت فلسطين وكم درت في أنحائها شبرافشبرا[3]

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 116.
[2] المرجع السابق، ص 134.
[3] ديوان طيورالجنة، ص 102.

نفخ الشاعر روح العودة في نفوس الغرباء الذين كانوا يعيشون حياة اللجوء والغربة، وأشعل مصباح الرجا في قلوب الذين قد يئسوا من الرجوع، وبعث الإيمان به قائلا مهما طال اعتداء العدو ومهما طال دجى الليل وليل الأسى والشقاء وقسوة الزمن ولكن سينكشف الغطاء وينجلي الليل وينبلج الفجر الجديد يوما ما، وخاطبهم الشاعر بلفظ "أخي" وذلك لإظهار العلاقة القوية بينه وبينهم وصلتهم بأرضهم فيقول الشاعر مشيرا إلى تشريد شعبه وتفرق قومه في الأقطار المختلفة وهويسليهم للقاء في رحاب الوطن:

أخي في الكويت، أخي في اليمن، أخي في الحجاز،أخي في عدن
أخي رغم ليل الأسى والدموع، وليل الشقاء، وليل المحن
سألقاك يوما قوي الجناح، عزيزا، هنا في رحاب الوطن[1]

هاج الغضب وثارت الحمية ضد الاحتلال الذي تجاور كل الحدود في سفك الدماء وقتل الأطفال والنساء والشيوخ والشبان ولم يراع إلا ولا ذما ولم يحترم أي شريعة، فافتخر الشاعر بالشهيد الذي فدى نفسه في سبيل الحرية، وحملت به المدينة والقرية التي تعطرت بروائه ووبخوره، وهب كل شخص إليه وداعا له ويضمنه ويحتضنه بالشوق والحب والحنان، ولو كان مجهولا و غير معروف لدى المدينة والشاعر، ولكنه تغنى بتضحيته للوطن وجعله رمزا للأبطال والمكافحين أجمعين ومعلما للحرية والكفاح فيقول الشاعر:

من أين؟ أي مدينة أو قرية حملت به وتعطرت بروائه
وطن يخف إليه يوم وداعه ويضمنه بالشوق في أحنائه

فترتفع عظمة الشهيد المجهول في عيون الناس الذي ضحى نفسه دفاعا عن وطنه وأرضه، ولم يكن من الضروري أن يعلم من كان هو وإلى أية مدينة ينتمي، فهب الناس إلى وداعه وهم كانوا يحملون في طياتهم روح الفداء والتضحية للوطن، ويعلمون أنه حي لا يموت، و يؤكد الشاعر على العودة و هو متشبث بأمل النصر ويعلن بصوت عال أنه لن يتخل عن شبر واحد من أرض فلسطين ولن يرجع القهقرى من وطنه، ويتوقع من الشعب الفلسطيني أن يبصروا الوطن حرا عزيزا ومحمودا، ويهفو كل إنسان فلسطيني إلى لقاء ثراه، ويروا أن هذا الحلم سيتحقق في الوقت القريب، فأنهم لم يتجهزوا أن يناموا عن الحق بأي حال من الأحوال، ولو حول الاحتلال الوجود كله حديدا وقنابل وصواريخ وطيارات حربية، وأنزل أشد العذاب والتنكيل بالفلسطينيين ولكن الحماسة والروح الثورية لن تفتر، ولن تضمحل روح الحرية وحق العودة، بل سنرجع إلى أوطاننا،

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 53.

ونرمي عدونا نارا ونجلي اليهود عن ديارنا ولوطالت الأوقات، فيقول الشاعر في لسان غريب طرد عن أرضه وقضى دون أن يرى النصرعيدا:

يافلسطين لن ننام عن الحق ولو حولوا الوجود حديدا
سوف نرمي العدو نارا من الحق سنجلي عن الديارااليهودا
فاصبري واصبري غدا سترينا قوة لن تكل عزما شديدا[1]

يهتف الشاعر بلاده ويخاطبه وقال إنه لن يدخر وسعا في تحريره، ولايزال يواصل جهوده إلى أن يتحرر من براثن الاحتلال ويعتزم عزما صارما بأنه يعود إلى بلاده، ولم يستطع أن ينساه بل ظلت ترافقه ذكرياته لأن الموز و الصنوبر والبرتقال ترسخ في ذكرياته مع الشم والعطور، وتجذب مآثر أجداده ومعالمها التاريخية التي وجدت في كل قدم في أرض فلسطين فؤاده وأفئدة الشعب الفلسطيني إلى القدس، ورسم الشاعر خريطة بلاده في كبده فلم تستطع نوائب الدهر أن تمحو ذكرياته عن أحشاء قلبه، ويتوارثها ولد عن أب و جد، ومن أجل ذلك يحرض الشاعر شعبه على الجهاد والمناضلة للعودة إلى أرضهم و حرية فلسطين ويبعث فيهم أمل العودة والرجوع، ويؤكد على أن النصر و العون سيأتي فيقول الشاعر مناديا بلاده ومعلنا جهادا واستشهادا لها:

بلادنا ... .بلادنا من أجلها جهادنا
من أجلها استشهادنا بلادنا ... ... بلادنا
لها غدا سنرجع وأرضها سنزرع
تهيأوا تجمعوا ففي غدا ميعادنا [2]

الذكريات لأرضه تخطر بباله حينا لآخر التي جعلته متململا ومضطربا على الوطن السليب، فيؤكد على العودة وحرية الوطن لأن الجبال والتلال والسهول في تلك الأرض تناديه وتنوح به وتصرخ أين شعبي؟ أين أصحابي تفرقوا ؟ فيقول الشاعر مؤكدا على العودة إلى وطنه بكل عزم وحزم لكي يغرس حريته هناك ويضيء الصباح طريق عودته بعد انبلاج الفجر الجديد:

هناك أعود مع الذكريات أعود لأغرس حريتي
أعود إلى كرمتي والصباح يضيء الطريق إلى عودتي

فيشعل الشاعر مصباح الأمل في نفوس الشعب الفلسطيني الذي ظل من عتمة اليأسلأنه يؤمن بالعودة كإيمانه بطلوع الشمس من المشرق، ويعلن مدويا مجلجلا بغير أي ريب وشك أن فلسطين التي احتلها إسرائيل سترجع مرة أخرى مهما ادلهم الليل وتكثف الفقر و الجوع، ومهما

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 163.
[2] المرجع السابق، ص 136.

أصبحت الخيمة السوداء قبرا، ولكن سيتبدل القبر روضا، وتعلو صيحة الأحرار، وتطلع نجوم الحرية وينبثق الفجر الجديد فيقول الشاعر:

فلسطين التي ذهبت ستترجع مرة أخرى[1]

انعكست ملامح الشجون والأنين والبكاء في شعر الشاعر هارون هاشم رشيد على الوطن السليب انعكاسا واضحا، وتجلى الحب والاندفاع والغرام والوفاء لتلك الأرض المقدسة، ويظهر الشاعر صلته القوية بها ويقول إنه يستلهم وحي الشعر من ظله، ويستنشق من بساتينه أنفاس الهناء، ويقتبس من أشعته شعاع العلم والمعرفة، ويحصل من قفره على أصوات الحداء، وينال من مرجه ألحان المساء، ويفتخر أيضا ببلاده الذي هو مبعث النور ومهد الأنبياء، ولكن أوروبا عاثت فيه فسادا وقذفت بالإفك بين الزعماء وخلقت دولة إسرائيل التي داست قداسة هذه الأرض ولكن هذه دولة الظلم ستنتهي وتهوي للفناء وترترف راية فلسطين، فيقول الشاعر و هو يعبر عن شجونه وأنينه، وحزنه على فقدان وطنه ويقدم حبه الجم و اندفاعه وغرامه و وفاءه وكل ما كان في وسعه لبلاده:

يا بلادي لك شجوني و أنيني و بكائه
لك حبي و اندفاعي و غرامي و وفائي
يا بلادي مبعث النور و مهد الأنبياء
قدسك الأسمى لقد ديس بغدر الخبثاء
يا بلادي يا فلسطين و ياكل رجائي
دولة الظلم وإن طالت ستهوي للفناء[2]

أدمى حب الوطن قلب الشاعر فلا يستقر له أي قرار على الوطن السليب لأنه حبه للوطن أرق نومه ويؤلمه احتلال هذه الأرض فلا يطيب له أي شيئ، بل يساوره دائما قلق الوطن والأرض، فيدعو على من ينساه ويزجره زجرا شديدا من يغمض عيناه عن هذه المآساة، ويظهر الشاعر صلته بوطنه ويخاطبه قائلا، يعرفك كل إنسان في هذه الأرض، إسمك منقوش في كل شيئ حتى لا يستطيع الدهر أن يمحو هذه المعالم من هذه الأرض المباركة، ثم يغضب ويقول وإذا كان ينساك أي شخص فأنه ملعون أبد الدهر، وشلت يداه، ولعنة الله عليه طول الحياة، وقفئت عيناه، وعرجت رجلاه، ثم يسئل متعجبا كيف يمكن له أن لا يعرف هذه القطعة من الأرض المباركة التي هي مهبط الوحي والرسالة، ومحط الرجاء وملتقى الآمال والتي هي أرض الإسراء

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 96.
[2] المرجع السابق، ص 82.

والمعراج؟ فيقول الشاعر مشيرا إلى انتماءه إليها وتاريخها وملكيتها للشعب الفلسطيني التي احتلها إسرائيل وقال يعرف هذه الحقائق التاريخية الحل والحرم:

من لا يعرف اسمك يا وطني من ينساه ...

ملعون أبد الدهر، وشلت يمناه ملعون أبد الدهر فقئت عيناه

ملعون أبد الدهر، يلعنه الله ..[1]

يسكب الشاعر دموعه على مدينته غزة التي تزرح وتئن تحت وطأة الحصار الاقتصادي والسياسي والديني، ولكنها لم تستسلم لضغط الاحتلال، ولم تخضع للعدوان الإسرائيلي، بل هي صمدت وثبتت أمام المحن والشدائد كالمجن للدفاع عن أرضها، ويعبر الشاعرعن أحزانه الشديدة على المشاكل التي تواجهها هذه المدينة التاريخية، وينوح بها ويبكي عليها، فيخاطبها الشاعر وهو يظهر حبه الشديد لهذه[2] الأرض، ويدعو على من يسعى أن يجرح اسم هذه المدينة أو ينساه، فقفئت عيناه، وشلت قدماه، وقطعت يداه وكفاه، فكيف ينسى اسمك، واسمك سجله قلم التاريخ، وقيده السجلات والدفاتر، وكيف ننسى اسمك، واسمك محمول في الأكباد، وفي الأنفاس، وفي الأفواه، فلا ننساك أبدا يا غزة ، ولن نتركك ياغزة فيقول الشاعر:

يا غزة.. فقئت عيناه، قطعت كفاه، شلت قدماه

من حاول يوما أن يجرح اسمك أو ينساك

اسمك تاريخ للتاريخ، وأقلام.. ودواه

اسمك محمولا في الأكباد، وفي الأنفاس، وفي الأفواه[3]

ألم التشريد والغربة مفعم بشعر الشاعر، وانعكست تجلياته فيه حينا لآخر، بل امتلأ شعره كله بالألم والحزن والهم، ولكن فيه تلظى نار الثورة والتمرد، والتهبت نار الحماسة والغيرة والكفاح والنضال والأخذ بالثأر، وتحدث الشاعر عن وطنه الأصلي وهويته الفلسطينية التي سرقتها إسرائيل، وسلبت جسمها وتركت روحها تتيه وتحوم من هنا إلى هنا، فهي تجوب الأقطار بلا جسم، وتضطرب وتبحث عن الجسم، وتئن الروح للجسم والجسم للروح، ويصرخ الجسم بالروح وبالعكس فيقول الشاعر مشيرا إلى أزمة هويته واضطراب روحه بغير الجسم:

أنا اسمي، بلا اسم أنا روح، بلا جسم

يتذكر الشاعر بلاده الذي تعرض للاحتلال، ويفتخر بشعبه الذين صمدوا كالجبال الراسيات أمام قوات الاحتلال، وواجهوا كل ما يحل بهم من قبل الاحتلال بكل صبروأناة، فلا

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 585.

[2]

[3] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 498.

يعرفون الاستسلام والخضوع ولا الركوع، ولا يعلمون القهقرى بل يكرون ويفرون ويقبلون ويدبرون على الرغم من قسوة الزمن ونوائب الدهر والشدائد والمحن التي أحاطت بهم لأنهم كانوا متحلين بصفة النسر والبسالة والجراءة، وذلك فقط للحرية واستعادة الوطن، فيقول الشاعر مثنيا على نخوة بلاده وحمية أرضه ومفتخرا بأبية شعبه:

بلادنا..بلادنا..مواطن النسور على ذراها عششت، وحلقت تدور

يتمحور شعر الشاعر حول العودة إلى الوطن، وهذا قطب يدور حوله رحى الفكرة الرئيسية في دواوينه، ولم يكن شعره خاليا من هذه الفكرة، بل دائما يؤكد عليها ويرددها أكثر بكثير في كل مكان، فلم يتعب ولم ييأس، بل يؤمن بالعودة ولوطال مداه، فكل غائب يرجع، وكل غريب يعود، وقتئذ يقسم كلهم بأنهم لا يخرجون، ولا ينزحون عن وطنهم أبدا، بل يتشبثون بأرضهم ويعضون عليها بالنواجذ، ويصمدون أمام العاصفة الهوجاء، ويرابطون حول فلسطين، ويظلوا حولها وهم ينتظرون بلادهم وأرضهم ولا سواها وغيرها، وإنهم سيرجعون إلى وطنهم في الوقت القريب رغم الأذى والمنون فيقول الشاعر:

والغائبون كلهم.. سيرجعون إلى هناك..
حيث يجمعون وحيث يقسمون بأنهم ..لا يخرجون
يوما.. ولا.. ينزحون..عن..أرضهم ..وسيصمدون
رغم الأذى.. رغم المنون..سيصمدون..
لأنهم.. مصممون.. بأن يظلوا.. حولها.. يرابطون..حول فلسطين..
التي ينتظرون.. بلادهم.. وأرضهم.. وغيرها لا يطلبون
وهم لها.. لها الغداة عائدون..[1]

تعالت الصرخات والنداءات والصيحات للمشردين الذين يعبرون عن آلامهم وأحزانهم في الخيام التي يواجهونها، ويتحسرون على غربتهم، ويظهرون حبهم الجم لأوطانهم، ولهفهم العميق لبلادهم وارتباطهم به روحيا وجسديا، وقالوا إنهم لن يتخلوا عنه مهما كان ثمنه، ولن ينسوه أينما حلوا ونزلوا، ونيطت به ابتهاجهم وحنانهم ولهفهم وسعادتهم، لأن هذه الأرض حلم شعب شريد وحلم كل شعب مسلم، فإنهم يمشون على الصخر، ويجرون الجراح والقيود حاملين النكبة النازلة بقومهم وأهلهم، ويضربون في القفار وهم يشعلون قلوبهم في المتاهات والليالي السوداء حاملين ذكريات الوطن، حريصين على العودة، فيقول الشاعر وهو يخاطب بلاده بغاية من الحب واللهفة مبرزا أسفه الشديد ومتحسرا على عجزه وباكيا على احتلالها:

[1] ديوان هارون هاشم رشيد،ص 278.

يا بلادي.. وراء الحدود يا بلادي .. ويا بلاد جدودي
أنت حلمي الذي أعيش عليه أنت حلمي وحلم شعب شريد[1]

الكفاح والنضال لحق العودة هو الفكرة الأساسية سادت في شعر الشاعر، ويقول بصوت عال إن النضال سيفك الحصار ويشق الستار ويقشع الغبار، ولذلك يؤكد على النضال والكفاح والأخذ بالثأر، ويؤمن بأن العودة ستتحقق ولو طال مداه، فلن يتقبل المساومة والمسالمة على أرضه، ولن يرجع القهقرى، ولن يلوذ بالصمت والسكوت على حق العودة، بل يمشى باسم هذا الحق ويصرخ به، ويصيح في وجه الاحتلال مهما كان ثمنه، ولا يألو جهدا في سقاء أرضه بدمه، وأقسم بأن ثأره لن يهدأ يوما، ولن يسكن غضبه، بل لا يزال يحترق حتى العودة والرجوع إلى الوطن فيقول:

نحن لن نسكت يوما أبدا عن حقنا
سوف نمضي باسم هذاالحق نجتاح الدنى
أبدا سوف نروي بدمانا..أرضنا
نحن أقسمنا..ولن يهدأ يوما ثأرنا[2]

مدينة غزة هي مسقط رأس الشاعر، وهي أيضا مدينة باسلة وصامدة أمام الاحتلال، ولذلك يخاطب الشاعر مدينته غزة الحبيبة بغاية من اللهفة والاشتياق وهو يشعر ببعده الشاسع عن وطنه ويحس بحرمانه، فتحترق نار الثأر في أعماق قلبه مما تقوده للزحف، وتثير حماسته فيه لأخذ الثأر من الاحتلال الإسرائيلي الذي ضرب عليها الحصار الاقتصادي والسياسي، وأجبر شعبها على التشريد والتهجير، وأنزل بها أنواعا من العذاب والتنكيل، ومارس سياسة التسجين والتقتيل والإعدام والتحبيس ضد الشعب الفلسطيني فيقول الشاعروهو يؤكد على العودة وأخذ الثأر:

إيه يا غزة.. إني عائد.. والله عائد
أحمل الثأر بأعماقي ونعم الثأر قائد

يتحدث الشاعر عن التقدم إلى الأمام ولو كان من كهوف البؤس وليل الخيام، وقال ستنشق أستار الظلام بيد الشعب الذين لا يبالون بالعناء والتعب والخوف، ويمشون في عناد واحتدام، فالنصر والانتصار يأتي في الوقت القريب، ويرتسم نداء النصروالانتصار على شفاه الشعب، ودوى صداه في هذا هذا الواسع الرحيب، فلن يفل الاحتلال عزمنا وحماستنا بكل ما في وسعه، لأن فينا الإيمان يهتف إلى الاستماتة والثأر، ويدعو إلى الفناء والبقاء، فلا نخاف ولا نذعر

[1] المرجع السابق، ص 358.
[2] المرجع السابق، ص 332.

في القتال، بل هذا النشيد دائما فوق الشفاه، وكتب النصر لنا ولوطال مداه، ويعد الشاعر بأنه لن يلقي السلاح إلى أن ينبثق الفجر الجديد، وتنتشر أنوارالصباح، وينكشف غطاءالاحتلال عن الأرض المقدسة، وذلك يمكن بطريق الجهاد والكفاح والنضال، وقال لن نتخل عن شبر واحد من أرضنا ولن نرض سواها موطنا فيقول الشاعر:

يا بلادي سوف لانلقي السلاح قبل أن ننشرأنوارالصباح
قبل أن ننقذ هاتيك البطاح بجهاد ونضال وكفاح
سوف لا نرضى سواها موطنا[1]

تعالى نداء البشارة بالفتح والنصر للفلسطين في خضم البيئة الخانقة والحصار الاقتصادي الخانق والسياسي الصارم، ونشأ أمل لانبثاق الفجر الجديد على سماء فلسطين الصافية، وبرزت طلائع السعادة والفرح والسرور للشعب الفلسطيني لأن الاحتلال سوف يهوي وينخرعلى فمه، فيطرد الأجنبي (اليهود) من الأرض المقدسة، ويلقى بالردى والهلاك، فيبشر الشاعر أرضه بالنصر واللقاء ولكن مع الصبر، وبعد ذلك يطلع الصبح بعد أن تنشق الرياح، وأن تنجلي الليالي السود، وأن تنتهي قسوة الزمن وعذابات الوقت، وذلك بالسلاح القوي والأبطال والشباب الأبي، فيقول الشاعر وهو يشعل مصباح الأمل في أحشاء الشعب، وينفخ روح الوطن، والعودة لكي لا ينطفأ:

فلسطينا أبشري أبشري فلا بد، لا بد أن تنصري
ولابد ان نلتقي فاصبري فلسطينا يا منارالهدى
سنمضي ونمضي نشق الرياح ونقتحم الهول ما أرعدا
ستطرد من أرضنا الاجنبي وتلقي به في غمار الردي[2]

يعتني الشاعر بالهوية الفلسطينية والجنسية العربية، ويصيح صيحة الوطن، ويسأل في لسان اللاجئ كيف يمكن لنا أن نكون بلا أرض وبلا وطن؟ وكيف يمكن لنا أن نمشي بلا روح وبلا إسم؟ وكيف يمكن لنا أن نجوب الأقطار، و نسير في الدنيا بلا هوية وبلاجنسية، ونحن نشعر بالغربة أينما سرنا ونزلنا؟ وكيف يقبل الإباء أن نعيش على الصدقات والمنن التي تعطينا قاتلنا، ولم ننتفض للثأر والمهاجمة على الرغم من البؤس والمحن التي أحاطت بنا من كل جانب، ويجير عسف الظالم، والاحتلال الإسرائيلي على المقدسات والمحرمات، ويدوس أماكن العبادة، وينتهك حقوق الإنسان، ولا يراعي إلا ولا ذما فيقول الشاعر متحسرا على فقدان الهوية والجنسة:

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 63.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 199.

أخي من نحن إن سرنا على الدنيا بلا وطن
وإن عشنا على صدقات قاتلنا على المنن
وإن جارعلى الأقداس عسف الظالم النتن
وإن لم ننتفض للثأر رغم البؤس والمحن[1]

ينعكس في شعرهارون هاشم رشيد الملامح الوطنية حينا لآخر في أشكال شتى، أحيانا يذكر الشاعروطنه السليب ويردده دائما، ويؤكد على العودة والرجوع، ويرغب في العشق للحرية والحياة بالكرامة والشرف، وطورا يهتم بمأساة اللاجئين، وعودة الغرباء، وعذابات اليتم والقهر و التشرد، وأحيانا يتغنى ببطولات الشهداء والأبطال في سبيل الحرية، وطورا يسكب الدموع على الأسرى والسجناء والمعبدين الذين لايزالون في ليل الظلم والقهر، و سجون الاحتلال الظالم، وإنهم يتحملون هذه المشاق والمحن والشدائد فقط لحرية الوطن والدفاع عن الأرض، ويعبر الشاعر عن الغضب والمقت ضد الاحتلال، والأخذ بالثأر والانتقام، وأحيانا يبكي على وطنه وما حل به وينوح به ويرثي عليه، فكل الدواوين له تحمل في طياتها صورة الوطن، وصرخات الأرض، ونداء العودة والرجوع.

كان إيمان الشاعر بالعودة إلى الوطن كما كان إيمانه بطلوع الشمس، ويظهر هذا الاعتقاد القوي حينا لآخر في قصائده بل ترسخ في أحشاءه وخالط لحمه ودمه، فلم ينطفأ مصباح الأمل والرجا في وقت ما، بل نفخ هذه الشعلة الوهاجة في نفوس الشعب الفلسطيني، وأشعل مجامر قلوب الناس، وازدادت شعلته حتى تغنى به كل قاص ودان من الفلسطينيين، فيقول الشاعر في لسان طائر جريح (فلسطين) اندفع إلى نافذة الشاعر، و تقطرت الدماء من جناحه، قدم من الشمال حيث تخطر أطياف الأماني، وحيث تحكي الربى روايات المد والجزر في فلسطين، وحيث تنادي الجبال والسهول بشعبها، ويشدو هذا الطائر الجريح في خضم العاصفات والريح والموت والليل الرهيب والأذى والعسكر فيقول الشاعر و هو يشير إلى طلوع الفجر من جناحه الدامي الجريح:

الفجرمن جناحه الدامي غدا سيظهر
وفوق كل أرضنا نورالصباح ينشر[2]

تغلغل حب فلسطين في أحشاء الشاعر واستقر في كل وصل من أوصال الجسم حتى تململ الشاعر لبعده عن أرضه الحبيبة، وتصور في ذهنه وهويؤمن به لوكان يعود إلى وطنه،

[1] المرجع السابق، ص 153.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 338.

فسيعانق مدينة " عكا " في الحب واللهف والاشتياق، ويلتصق بها بالحب والغرام لأنه يلتقي بها بعد مدة طويلة، كما تلتصق الأم بإبنها بعد وقت طويل من الغياب، ويقبل كل الجدران، والأسوار والبيوت في أرضه إظهارا للحب الجم، والاشتياق والانتظار الشديد، ويعتزم الشاعر بالعودة وقال بعزم عندما نرجع فسترينا في جيش مغوار باسل من بلادي يدوس كل عائق في طريق العودة، ويجتاز كل العراقيل التي تعرقل في سبيل التقدم نحو أرضنا الحبيبة، فلا تمنعنا الأسلاك والسجون والحصار، ولا تسدنا الإعدام والقتل، والتدمير و التخريب، بل سنرجع إلى وطننا في ظل الوحدة والثأر فيقول الشاعر:

سأعانق .." عكا " في لهف وأقبل .. كل الأسوار
ستراني في جيش لجب من كل ..بلادي مغوار
ويكون العود إلى وطني في ظل الوحدة والثأر[1]

وصل عشق البلاد للشاعر إلى حد كلما أطبق الشاعر عينيه على حلم، تراءت له بلاده، ومثلت أمامه التي هي أحلامه، وآماله، وأمانيه، وطموحاته، ولم يستطع الشاعر أن ينساها لحظة من اللحظات بل تؤرق نومه وتسلب راحة البال له، فيقول الشاعر مشيرا إلى اضطراب النفس وانزعاج القلب تجاه الوطن كيف تجول صورة الأرض في ذهنه، وتخطر بباله في اليقظة والنوم وفي الحلم:

كلما أطبقت..عيني..على حلم تراءت لي بلادي
بكر أحلامي .. واطماحي وآمالي الصوادي[2]

العودة إلى الأرض في شعر هارون هاشم رشيد هو البداية والنهاية، هو أول الأماني وآخر المنى، هو أول الأهداف وآخر الغايات، ولذلك لم يفقد الأمل والرجا في الرجوع بل يعزز هذا الإيمان في نفوس الشعب الفلسطيني، وينفخ الروح الوطنية، وحب الأرض في أحشاء الناس، ويصرخ بصيحات تلك الأرض المقدسة وصرخات القدس، ويرغب في لقاء الحبيب والعودة إلى أرضه التي هي أرض أجداده وآباءه، ولن يرض الشاعر بأن يتخل عن شبرواحد منها، بل الأمة العربية و الإسلامية تنادي وتصرخ بكل شبر منها، وألح الشاعر على العودة، واعتزم بالزحف من خيمته، فيكون يوم الزحف يوم النفير، فكل هب ودب إلى الوطن أفواجا ووحدانا، وأصر على الزحف من الليالي الحالكة المظلمة مع الأصحاب والإخوان إلى الأرض التي تنادي، وتصرخ بالنجدة والعون فيقول الشاعر:

[1] نفس المصدر، ص 288.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 281.

غدا سوف أزحف من خيمتي ومن حلكة الليل والمظلمة
إلى أرضهم، أرض أجدادهم إليها إلى مهبط العزة
إليها إلى كل شبر بها ينادي ويصرخ بالأمة [1]

يهدي الشاعر قصائده إلى كل فلسطيني من يذكر فلسطين، ويرسخ ذكرياتها في أذهان من يجوب الأقطار ويسير في البلاد المختلفة، فتسير هذه القصائد وراءه في كل قطر بعصف وجمر وإعصار نار، وتقول لهم لا تنس فلسطين لأنك نبت من غرسها، ولا تغمض عينيك عنها لأنك لك علاقة مع عزها وبؤسها، ولا تعدل النظر عن قدسها لأنك من مجدها، وتنادي هذه الأرض المقدسة كل فلسطيني أن لا يرقد ولا ينام، بل يأتي إلى وثبة في ضياء الغد، ويذكر كل شبرمنها، ولا ينسى هذا الموطن، بل يسعي، ويحاول إليه غدا مؤمنا به، ولم تكن كهوف العذاب، ولا عواء الذئاب، وهز الظفر والناب عرقلة في سبيل العودة، ولاتأتي رياح الشتاء والطوفان والأعاصير وقصف الرعود في طريق الوطن إلا بالفجر الجديد، وقتئذ سنمشي إلى الأرض غانما مشرقا ونمضي أعزاء، وهناك لنا موطن نحمي حماه ونروي ثراها، فيقول الشاعر مؤكدا على العودة مشعلا مصباح الأمل في أذهان شعبه:

تذكر أخي كل شبر هنا إذا ما انطلقت تجوس الدنيا
فلا تنس أن تذكر الموطنا وتسعى إليه غدا مؤمنا
هناك لنا موطن مزقا سنرجعه غانما مشرقا
سنمشي إلى الأرض نحمي حماها ونمضي أعزاء نروي ثراها [2]

يسلي الشاعر أولئك الذين يعيشون حياة الغربة واللجوء، ويشعل مصباح الأمل للعودة إلى الوطن في نفوسهم الذين تغمرهم الأسى، والوهن، ويؤلمهم الفقر و البؤس، ولم يبد شعاع من الأمل على سماء أرضهم، فأيسوا من الرجوع، وقنطوا من الوطن، وإنهم يتيهون في مستنقعات البؤس والألم والحزن والأسى حتى أطبقوا عيونهم على الغربة، ورضوا بحياة الذل والهوان، وتنسجم طبائعهم مع هذه المحن والشدائد، وتتفق فطرتهم مع الليالي الحالكة السوداء والخيام البالية المظلمة، وقتئذ يبعث الشاعر الرجا والأمل في نفوس الغرباء، ويهز مشاعرهم للحماسة، ويحرك عواطفهم للحيوية والنشاط، ويملأ أفئدتهم أمل الرجوع بأن الصبح الجديد ينبثق، ويطلع الفجر الجديد على الرغم من أنف الزمن وقسوة الوقت وصرامة المحن، فلتنقشع سحاب الظلم والجور

[1] المرجع السابق، ص115.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد ، ص 78.

والعدوان، وينكشف ظلام الاحتلال والاستعمار عن فلسطين، ويعود الشعب الفلسطيني فرحين مسرورين إلى الوطن فيقول الشاعر مؤكدا على العودة والرجوع:

أخي في الكويت، أخي في اليمن، أخي في الحجاز، أخي في عدن
أخي، نفض اليأس عن عارضيك، ونفض غبارالأسى والوهن
وصبرا فلا بد للبائسين بأن يثأروا رغم أنف الزمن
ولا بد أن يرجع اللاجئون، وأن يصعدوا فوق هام المحن
ولابد ...لا بد ... من عودة الكريم إلى أرضه والوطن[1]

يؤكد الشاعر ليس فقط على عودة الشعب الفلسطيني إلى الوطن، بل يصر على رجوع الطيور إلى وكورها ووكناتها، وعودة الذئاب الضواري، والأسود والأفاعي، والثعالب والقرود إلى مساكنيها، ويعود كل ما يدب في الكون والوجود أني شاء أن يعود لأن الاحتلال أرغمها على التشريد والتهجير، وأجبرتها قسوة الزمن وصلف الجور والاعتداء على مغادرة الأرض المقدسة، فالحيوانات تتيه وتجوب الجبال والصحاري والغابات، وتشعر بالغربة وألم البعد عن الوطن والوكنات فيها، فيقول الشاعر مشيرا إلى حب الحيوانات لوطنها وتشريدها عن أرضها، ورافعا حق عودتها إلى الأرض المقدسة:

الطير في رواحها تعود إلى الوكوروالذئاب والاسود
حتى الأفاعي والثعالي والقرود وكل ما يدب في الوجود
يعود أنى شاء أن يعود وهو تحول بينه السدود
لأنه مشرد بلا وطن..[2]

تعالى نداء الوحدة هتف بها الشاعر، ودعا الإخوة المشردين الذين يتيهون في القتام والظلام، ويهيمون في الدروب سائحين في الندوب إلى الوحدة وإلى استبشار بالعودة، وهذه العودة لا تتحقق إلا بالوحدة، فيجب عليهم أن يكونوا صامدين وثابتين ضد الاحتلال، ويكونوا كبنيان مرصوص ضد السيطرة الصهيونية، ويهللوا ويكبروا للوحدة، ثم يستبشروا بالعودة، فستنهار الحدود، وتنكسر القيود والأغلال، ويهوي الحصار السياسي والاقتصادي، وتقشع السحاب والظلام، وينكشف الغطاء، وينبلج الفجرالجديد بعد هذه الليالي السوداء الحالكة على أرض فلسطين التي تنوء بالعذاب، وتئن وتتألم على تفرق الأحباب والأصدقاء، فيقول الشاعروهو ينفخ الروح لأمل

[1] المرجع السابق، ص 55.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 350.

العودة في النفوس، ويشعل مجامير قلوب الناس للوحدة، وهذه هي الوحدة ستمحو العدوان والظلم والاعتداء للاحتلال على الشعب الفلسطيني:

يا إخوتي المشردين في الظلام التائهين الضاربين في القتام
الهائمين في الدروب السابحين في الندوب
ألا ابشروا .. ألا ابشروا بالعودة وهللوا وكبروا للوحدة [1]

الهوية الفلسطينية والجنسية العربية في فلسطين في خطر وحالة حرجة لأن إسرائيل تحاول أن تقضي عليها وتمحوها أوعلى الأقل أن تضعفها لكي تنطفأ شعلة الغيرة العربية والنخوة الفلسطينة، و تتلاشى الجنسية التي تربط الشعب الفلسطيني بالأرض المقدسة، وتعطيهم تلك الهوية ميزة خاصة لهم في تلك الأرض، فيندد الشاعر بالاحتلال تنديدا شديدا، ويهاجم مهاجمة عنيفة على هذا الفعل الشنيع، ويعبر عن أسفه الشديد على جرائم الاحتلال الذي أنزل أقسى عذاب بشعبه، وسلب ممتلكاتهم وأراضيهم عنوة، وكبت الأصوات والمظاهرات بقوة الأسلحة والقتل، وقمع المقاومات والمناضلات بسفك الدماء والإعدام والسجن، ونهب كل ماكان لدى الشعب الفلسطيني، وأرغمهم على اللجوء إلى الكهوف والخيام، والعيش عيشة الغربة والجلاء، ولذلك يقول الشاعر" أينما سرنا يواجهنا الواقع بأننا نعيش.. بلا جنسية.." ويتمحور الحوار حول ضرب الشعب الفلسطيني في المجاهل الشقية والقفار ومتاهات الغبار، لأن هذه الأرض تعرضت للاحتلال الإسرائيلي، وكان قبل ذلك يحمل الشعب الفلسطيني الجنسية والهوية، وكان اسمهم مسجلا في سجل البد، وولد الناس في مدينة هناك وقتئذ ساد فيها الأمن والسلام، ولكن في هذا الوقت يحيط بها الأسلاك والحدود، والحصار والتخريب والتدمير، وكانت لهذه الأرض حدود في خارطة الوجود، وكانت لها وجود ولكن فجأة اجتاح التشريد والتهجير الشعب في هذه الأرض، فصار كل من كان يسكن في هذه الأرض يضرب في العالم بلا جنسية وبلا هوية، فيقول الشاعر وهو يشير إلى هذه المأساة الكبرى نيابة عن شعبه:

وكان إسمي في سجل بلدتي يحمل لي بقربه جنسيتي
وكان في خارطة الوجود كانت لنا أرض لنا حدود
وفجأة من غير ما انذار اجتاحنا.. التشريد والدمار
فصرت مثل كل إخوتي أضرب في الدنيا بلا جنسية[2]

[1] المرجع السابق، ص 346.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 344.

يبدي الشاعرحبه الشديد لبلاده، ويثني على النسيم التي تهب في بلاده وتملأ العروق والفؤاد والرئات فرحا وسرورا وانبساطا، وهذا الهواء العليل من تلك الأرض ينتعش في نفس الشاعر النشوة والطمأنينة التي ترنحت لها أعطاف الشاعر، وانفرجت أساريره لها، وتمايل لها كتمايل السنابل في الحقول، وتفتحت الأزهار في الحدائق حتى يكاد يطير فرحا، لأن النسيم هز مشاعره وبعث فيه ذكرى لتلك الأرض، وحرض العواطف الناعمة فيه، حتى يخيل إليه أنه يطير كالطير سابحا في الدروب التي ترفعه الوهاد والنجاد، ثم يتحدث الشاعر عن الجبال الشامخات التي صمدت بالثبات وبالجلاد على الرغم من العواصف الهوجاء، و الزلزال الشديد عليها، وهذه هي التي تقص علينا قصص البطولات للشعب العظيم الحر الذين كانوا لا يستسلمون لقوات الاحتلال، ولا يقبلون الذل والهوان، ولا يخضعون لحصاراقتصادي أو سياسي، بل يرفضون هذه الضغوط رفضاباتا، وتلك أيام الطرد فكيف تنسى هذه الجبال أيام التشريد والتهجيروتغمض العيون عنها ما زالت على عهد الكفاح والنضال والجهاد والتي تدعو شعبها إلى نفض عار الأسى والحزن والألم عن القلوب، والتي تبعث فيهم روح النضال والكفاح، والصبر والمثابرة، وتشعل مصباح الأمل بالعودة في النفوس فيقول الشاعر:

الله ما أحلى وما	أزكى نسيمك يا بلادي
ينساب في رئتي	يسري في عروقي في فؤادي
فيردني كالطير اسبح	في الدروب، وفي الوهادي
هذه جبالك شامخات	بالثبات، وبالجلاد
تروي عن الشعب العظيم	الحر، أيام الطراد
هيهات تنسى فهي	ما زالت على عهد الجهاد[1]

ثارالغضب والمقت الشديد للشاعر ضد الاحتلال، فهو يهاجمه مهاجمة ذات اللهجة الشديدة، ويسلي شعبه ويلقنهم بالصبر والثبات قائلا لهم، لا تخافوا ولاتفزعوا، فلسنا لصوصا بل الذين أغاروا على أرضنا، وسلبوا أراضينا وممتلكاتنا ونهبوا أموالنا، هم اللصوص، ولسنا الجناة بل الذين احتلوا أرضنا وسيطروا عليها ظلما وعنوة، وقتلوا وأعدموا، وسجنوا واعتقلوا الشعب الفلسطيني هم الجناة، ولسنا العصاة أيضا، بل الذين زرعوا العداوة والبغضاء، والشحناء فيما بيننا، وسعروا التباغض والتحاسد فيما بين الناس هم العصاة، ويدعي الشاعر ملكية الأرض وحق العودة إليها، ويقول هذه الأرض أرضنا مهما تكاثرت العداة والعدة، ومهما تكاثرت الجنود المسلحة والقنابل، والبنادق والدبابات والصواريخ، لأن آباءنا وأجدادنا فيها ولدوا وعاشوا وماتوا، وهذه القبور والمقابر

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 714.

على ذلك من الشاهدين، ثم يسئل فلماذا لم نقاتل ونكافح كي تعود لنا؟ فلماذا لم نناضل ونقاوم كي ترجع لنا؟ ويقول:

لا تفزعوا لسنا لصوصا فاللصوص هم الغزاة
من عسكروا في أرضنا ظلما هموا فيها الجناة
لكنهم زرعوا العداوة بيننا فهم العصاة
الأرض هذي أرضنا مهما تكاثرت العداة
أجدادنا فيها هنا ولدوا هنا عاشوا وماتوا[1]

اهتم الشاعربصوت حياة يهتف بالصغار لترسيخ ذكريات الوطن وحب الأرض المسلوبة في أذهانهم ويقول هذه فلسطين الحبيبة داري وداركم، لكي لا تغب عنهم، ولكي لا تندرس معالمها في صفحات قلوبهم بل تدوم وتخلد فيهم إلى أن يعود الوطن لهم، ويهوي الاحتلال، وصدى هذا الصوت في أذن الشاعر مازال، ولم يزل دويه فيها، حتى الشاعر صاغ ذلك الصوت في قالب الشعر لإبقاء النار الملتهبة في أحشاء الشعب الفلسطيني حتى تتحرر الأرض من براثن الاحتلال فيقول الشاعر:

مازال في أذني صوت حياة يهتف بالصغار
هذي فلسطين الحبيبة داركم، هذي، وداري ..[2]

انفجر بركان الغضب والمقت ضد الاحتلال في نفس الشاعر، وتفجرت الفكرة العارمة من ينابيع لسانه، وثارت حماسة الرغبة في الأرض، وهاجت المشاعر للوطن، واتخذ الشاعر الريح كأداة لها، واختزنه سنين وأعواما لكي ينفخ فيها الروح النضاليه والكفاحية، وتشعل هذه الريح مصباح الأمل والرجا في أحشاء النفوس، وتحمل صوت عاصفه وغصبه وتأتي به إلى أودية قلبه، وتملأه غضبا شديدا وحماسة ثائرة وتمردا عارما، وتقتلع جذور الحزن والأسى والألم والهم من قلب الشاعر لتصنعه متمردا جديدا وغاضبا وثوريا قويا، وتصبغه بصبغة وطنية وقومية، وتذهب به إلى مكانه الذي هو أولويته، وإلى الأرض التي اشتاقت إلى وجهه، ورغبت في شفته، فيقول الشاعر راغبا في العودة إلى الأرض التي طرد منها عنوة، وتلك الأرض أيضا مازالت في لهفة واشتياق لرؤية وجهه وشفته:

خزنت الريح أعواما ليهدرصوت عاصفي
ليغضب مثل دفق السيل يملأ كل أوديتي

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 714.
[2] المرجع السابق، ص 711.

ويقتلع الأسى والحزن من قلبي وأوردتي
ليصنعني جديدا غاضبا متمرد السمة
ليأخذني إلى حيث مكاني حيث ألويتي
إلى الأرض التي اشتاقت إلى وجهي إلى شفتي[1]

بدا الحزن والأسى والألم على الشاعر عندما لقي بنازحة، ورأى في عينيها لمعة الرغبة في الوطن، والشعور بالثأر، وعلامة التصميم والإيمان القوي بالعودة، وشاهد في عينيها أحلام الوطن وألحان العودة وأنغام الرجوع، وكان الشاعر قبل ذلك قد واجه مأساة الغربة، وعانى منها، ولكن تذكرها عندما رأى في عينيها الأحزان على الغربة واللجوء، فأحس الشاعر بأحزانه فيها، وشعر بألم الغربة والجلاء والنفي، وتململ كتململ السليم لأن الاحتلال الإسرائيلي مارس أنواعا من العذاب والتنكيل على الشعب الفلسطيني، وأنزل أقسى حصار وأشد خناق بفلسطين وبشعبها، وأرغم الشعب على التهجيروالتشريد، وسلب الممتلكات الفلسطينية والأراضي، ونهب الأموال ماكانت لديهم، ففجأة يمضي الشعب بلا وطن، ويجوبون الأقطار بلا أرض ويتيهون في الظلام والقتام والكهوف والخيام، فيقول الشاعروهو يقدم التسلية والصبر والسلوان إلى تلك النازحة، ويعبث فيها أمل العودة وإن طال مداه:

وإن رأيت في عينيك أوطاني ثأري وتصميمي وايماني
ورأيت في عينيك أحلامي شعري وأنغامي وألحاني
ورأيت عمري كله قلقا في مقلتيك لقيت أحزاني
من أي أرض أنت أي يد جارت عليك وأي عدوان
مثلي ومثلي أبي ومثل أخي تمضي بلا أهل وأوطان[2]

ترشحت العبرات وهاجت الزفرات لنازح، وفاضت عيونه من الدموع، ورغبت نفسه في العودة مهما كان ثمنه ومهما طال مداه، وأقسم أنه لن يدخر وسعا في الرجوع على الرغم من العداة والعدة، وقسوة الزمن، والحصار الاقتصادي والسياسي، والليالي العابثات بفلسطين، ولوكانت الأرض في حاجة إلى الدماء فإنه لا يألو جهدا في سقيها بالدماء، ولا يبخل في تضحية الحياة والقوة لأن هذه الأرض أرض أجداده وآباءه، وإنهم سقوها دما وحياة وقوة، ولأجل تحريرها من براثن الاحتلال الإسرائيلي، يبذل من كل غال ورخيص في سبيلها، فلن تكل يمينه، ولن تمل قناته، ولن

[1] المرجع السابق، ص 706.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد ، ص 415.

تفتر حماسته، ولن ينم عن حقه، بل يواصل نضاله وكفاحه حتى تعيد البلاد للشعب الفلسطيني، فيقول الشاعر في لسان نازح و هو يظهر عزمه الصارم للعودة إلى الوطن وإيمانه القوي بالرجوع:

رباه ..إني سأمضي للأرض ..رغم العداة
اسقي ثراها المفدي دما كثيرالهبات
فإنها أرض جدي قبلي وأهلي الكماة
فلن تكل .. يميني ولن تمل .. قناتي
حتى أعيد بلادي لإخوتي .. وبناتي[1]

ينفخ الشاعر في نفوس الشعب الفلسطيني الروح النضالية والكفاحية والثورية، ويشعل مجامير القلوب، ويهز العواطف النائمة، والمشاعر الصامتة، ويملأها تمردا وكفاحا وشعلة، ويحرضهم على كسرالأغلال والقيود، والقضاء على الحصار الاقتصادي والسياسي الذي ضربه الاحتلال الإسرائيلي، ووضعه الصهاينة على الفلسطينيين، ويبعث فيهم أمل العودة إلى الوطن، ودعاهم إلى تحطيم الزيف ما جعلوه وصنعوه، وإلى مجالدة الريح والليالي السوداء، و نادى بهم إلى تحمل المحن والشدائد، وتحليهم بالصولة والجولة، وصفة الكروالفر، حتى نعود إلى أوطاننا عودة القائد الظافر في الوقت القريب، فيقول الشاعر و هو يسلي أخيه اللاجئ، ويقدم إليه الصبروالسلوان على وطنه السليب، ويشعل مصباح الأمل للعودة في نفسه، ويؤكدعلى ذلك أنه لا يتحقق إلا بالتحطيم والمجالدة في سبيل الحرية وطريق العودة:

أخي أطلق..صوتك المخنوق عبرالعالم الفاجر
وحطم زيف ما صنعوا وكن مثلي غدا ثائرا
وجالد ما استطعت الريح واقحم صولة الغادر
غدا ستعود للأوطان عودة القائد الثائر[2]

ولم يكتف بهذا بل تقدم قائلا إنه لن يغمض الجفن عن حق العودة مهما كان، وعن الأخذ بالثأر مهما كان ثمنه، وقال بصوت عال لن ترجع الأرض إلينا بغير الدم والنار، ولن نعود إلى أوطاننا بغير المناضلة والمكافحة، ومن دون التضحية والفداء، بل لابد من الجد والكد في سبيل ذلك، والمقاومة والمثابرة للحرية فيقول الشاعر:

أخي لن يغمض الجفن على حق ولا ثأر
ولا لن ترجع الأرض بغير الدم والنار

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص230.
[2] المرجع السابق، ص 154.

ذكريات الوطن ظلت ترافقه وتذكره أيام الطفولة الحلوة وأيام الشباب وتؤلمه حتى إنه لم يستطع أن ينفصل عنها، وعندما يرى الشاعر وطنه في ليل الحزن والأسى فيكون حزينا أيضا لبعده عن وطنه و أصدقاءه و أحباءه، يؤذيه هذا الفراق كثيرا ويعذبه هذا البعد الشاسع ويراه كالحلم الندي الذي يهزه و يؤلمه كثيرا، ويمرخطاه في قلبه بسرعة ولكن كان بمسمعه منه نداء يحزنه ويعذبه، ودوت أصداؤه في خاطره التي تحيره وتجلعه حزينا وقلقا، وتملأه غضبا وتمردا، ولكن تبعث فيه الأمل والإيمان بالعودة، فيقول الشاعر متحسرا على وطنه السليب، ويظهرعجزه عن استعادته، ويعبرعن حبه الشديد للوطن وصلته القوية به:

وطني أراه هناك في ليل الأسى قلقا، يعذبه الفراق الاعبر
وأراه كالحلم الندي يهزني وخطاه في قلبي تمر وتعبر
وبمسمعي منه نداء محزن اصداؤه في خاطري تتحير[1]

تعالت صيحات للبلاد ودوت هتافات للوطن وتصاعدت نداءات للأرض، فكل شيئ في فلسطين يصدع بالوطن والبلاد ويردده ليس فقط الإنسان الفلسطيني بل شكت الجبال وبكت السهول والصحارى وأنت الوديان والأنهار وتألمت الساعات والأيام، وحزنت الشهور و السنون والفصول، وكل شبر عندها يقولها فماذا تكون قيمة الأرض إذا استبد غولها ؟ وكيف تكون قيمة الأرض باقية إذا استباح عزها لئيمها ورذيلها ؟ وفقدت الأرض قيمتها وتزعزعت أصولها إذا لم تصح روحها ولم ينتفض عليلها، فلتنفجر السهول ولتنعق الغربان و يغرق الوجود كله و تحجب أعمدة النيران السماء، ما قيمة الأوطان والجبال والسهول ؟ بل وما قيمة الأكوان؟ ونحن نعيش في العالم كله بلا مكان وبلا وطن، ولماذا لا نقولها كالنار و البركان؟ لا سلم و لا سلام و لا اطمئنان و لا أمان حتى يعود الشعب الفلسطيني للأوطان، فيقول الشاعر وهو يظهر غضبه ضد الاحتلال ويعبر عن أسفه الشديد على شعبه داعيا للعودة إلى الوطن:

بلادنا .. من أجلها .. من أجلها
نقولها، نقولها ولانخاف أننا نقولها
فقد شكت جبالها وقد بكت سهولها
تاقت لنا وديانها، أنهارها تلولها
ساعاتها أيامها شهورها فصولها
وكل شبر عندها يود لو يقولها
لا سلم ولا سلام ولا أمان ولا اطمئنان

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 150.

حتى يعود شعبنا يعود للأوطان[1]

حب الوطن تسرب إلى أحشاءه ويجول ذكره في قلبه، ويخطر فكره بباله ويخالط لحمه ودمه فيذكره دائما فكيف ينساه وهو في حضنه لعب ونشأ وترعرع وقضى الأيام الحلوة في ظله فجرى حبه فيه مجرى الدم، و وعد الشاعر بلاده بالعودة والرجوع إليه وإن عدته العوادي و جار عليه جائر أو عنيد وإن كان تحت الاحتلال الخانق والحصار الصارم، ولكن سنرجع ويومئذ نحن نمسح هذا العار بدماءنا ونحن نأتي بالنصر والتمجيد فرحين ومسرورين نهتف مرحبا مرحبا بمعركة الثأر ولن تمنعنا الدنيا عن الحق في الوجود، ولن يزحزحنا العالم عن حق العودة، بل نواصل محاولة العودة حتى يلاقي الشعب الفلسطيني بأرضهم وديارهم، فيقول الشاعر وهو يبدي صلته بوطنه وحبه العميق ويظهر عزم التشبث بالأرض والعودة:

كيف أنساك أنت ملئ عروقي ملئ قلبي الممزق المفؤود
يا بلادي.. وإن عدتك العودي وطغى كل جائر أو عنيد
سوف نأتيك يا مهاد النبيين ومسرى محمد بالبنود
يا بلادي .. يا فلسطين إنا سنلاقيك يا مهاد الجدود[2]

اعتزم الشاعر بإجلاء الذين دنسوا قداسة القدس وطهارة أرضها وداسوا كرامتها وعزها للأرض المقدسة والذين لم يراعو إلا ولا ذما، وأظهر العزم الصارم على أن أرض فلسطين الحبيبة لن تكون فيها مكانا لليهود ولن نبقيه لهم بل سيمحوهم النار والدماء والحديد ويرغمهم على المغادرة والفرار، فلا مكان لهم ولا مأوى ولا ملجأ ونحن لن نهدأ ولن نكل ولن نفتر حتى امتلئت الدنيا بالنشيد هاتفا بالأبطال الأقوياء والشجعان الأحرار، ونحن نعلن بصوت عال نحن أقسمنا بحق الثأر وبأبناء الشهيد أن نعيد الوطن المسلوب من براثن الاحتلال للشعب المجيد القوي، فيقول الشاعر مظهرا عزمه للقضاء على الاحتلال اليهودي في فلسطين وإعادتها لشعبه:

سوف ..نجليه عن الأرض التي دنسها أرض الجدود
سوف لا نبقي على أرض فلسطين مكانا لليهود
ذلك الرجس سنمحوه بنار.. ودماء.. حديد
نحن أقسمنا بحق الثأر أقسمنا بأبناء الشهيد
أن نعيد الوطن المسلوب للشعب... المجيد[3]

---

[1] المرجع السابق ، ص 373 -371.
[2] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 362-360.
2 المرجع السابق، ص 253 .

ويخاطب الشاعر اليهود باللص والسارق وبعار الحقب ويحتقر أعمالهم الدنيئة، ويلومهم على الاعتداءات والانتهاكات والظلم والجور والعذاب والتنكيل التي يمارسونها ضد الشعب الفلسطيني، ويهددهم بمغادرة الوطن والأرض التي دنسوها إذا لم ينسحبوا من الأرض، فينفجر بركان الغضب والمقت والثورة والتمرد ويلتهب الضرام والنار مع الحديد حتى أنهم أجبروا على الانسحاب والمغادرة مذلين ومهانين، فيقول الشاعر مشيرا إلى دناءة الاحتلال ووغده وجبانه:

أيها اللص ..ويا سارق يا عارالحقب غادرالأرض التي
دنستها.. هيا انسحب هذه الأرض
إذا لم تنسحب أيها اللص ضرام .. تلتهب[1]

يؤمن الشاعر بالعودة إلى فلسطين كإيمانه بطلوع الشمس من المشرق، ويؤكد عليها ويرددها في كل مكان، ولم يغب هذ النداء عن قلبه، ولذلك يعزز الروح الوطنية في نفوس الشعب الفلسطيني، ويشعل مصباح الأمل في الجيل الجديد، ويملأ قلوبهم الأمل والتفائل للعودة حتى أكد الشاعر بكل العزم، سنرجع إلى أمسها الأمجد بأنشودة الأمل، لأن فلسطين التي خلف الحدود تنادي كل شعب فلسطيني، وتدعو الأمة العربية والإسلامية للموعد كما قال الشاعر هارون هاشم رشيد:

فإما فلسطين قدس البلاد نعود إلى أمسها الأمجد
وأنت تعود وتهز الرحاب بأنشودة الأمل المسعد
أخي ..فلسطين خلف الحدود تناديك تدعوك للموعد[2]

رفع الشاعرصوته للعودة وصدع بها وخاطب بلاده بالحب والحنان، واهتم بقضية شعبه الذين تفرقوا وتشتتوا بسبب مظالم الأضداد وهاجروا أوطانهم بسبب العدوان والظلم والاعتداء الإسرائيلي، واعتنى بالخيام والكهوف التي ملأي بالناس والشباب والشابات والأطفال الذين يستنجدون بالنجدة والعون للعودة إلى أوطانهم، وعندما تدعو البلاد أبناءها يتعالى ألف لبيك منهم وترتفع الهتافات والنداءات، وحتى تمشي الخيام بالأوتاد والجبال بغاية من اللهفة والاشتياق للعودة، وتهب إلى الوطن ويهيج حب فلسطين في نفس الشاعر حتى يظهره علنا أنه سوف يلاقي ببلاده ولكن مع الصبر لأننا فينا لم تزل غيرة ونخوة وحمية من الآباء والأجداد الذين لا يستسلمون ولا يخضعون ولا يقبلون الذل والهوان والاستكانة والعار، وسوف نأتي بالسلاح أو بغير السلاح ولكن

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 250.
[2] المرجع السابق ، ص162.

نعود، ولا نبالي بالقوة و كثرة العدد والعدة لأن نيران الثأر تتلظى في أكبادنا التي تسوقنا وتدفعنا إلى الوطن والأرض، فيقول الشاعرهارون هاشم رشيد مشيرا إلى آلام بلاده ومشاكل شعبه:

يا بلادي وتلك قصة شعب شتتته مظالم الأضداد
أنظري فالخيام ملأي حواليك شبابا يتوق للأنجاد
يوم تدعين: ألف لبيك منا سوف تمشي الخيام بالأوتاد
سنلاقيك فاصبري إن فينا لم تزل نخوة من الأجداد
بسلاح نأتي وغير سلاح لا نبالي بقوة ..وعتاد[1]

تغنى الشاعر ببطولات الأبطال في التاريخ الفلسطيني الذين أبلوا بلاء حسنا في الحروب الصليبية، وحروا المسجد الأقصى وأرض فلسطين من براثن الصليبيين، وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي الذي كافح وناضل ضد المؤامرات والدسائس الصليبية، و قام بدور رائد مجيد في تحريرهذه الأرض المقدسة، وإعادة مجدها الشامخ، وحضارتها العملاقة بعد أنها كانت تعرضت للمسيحيين، فتنادي روح صلاح الدين التي تجري في أعماق الشعب الفلسطيني للتحرير، و تدعوهم العروبة التي تغلغلت في أحشاء الفلسطينيين للثأر، وتستنجد الرايات التي طويت على حطين، وكذلك يصيح الأطفال صيحات العون والنصر والإغاثة للوطن، وصوت الآذان من المسجد الأقصى يناديا بالنصر والغوث وينادي آلاف من الأسرى والسجناء الأمة العربية والإسلامية، أنهم يهتفون بالملايين من الناس في العالم إلى حرب تدك ظلم إسرائيل و جورها و عدوانها و اعتداءاتها وتزهق روح صهيون، وترتفع أعلام فلسطين في سماء العالم، فتتعالى الهتافات والصيحات والصرخات ..فلسطيني ... فلسطيني، فهذه الصرخات العارمة العاتية كانت تحمل في طياتها روح شعب عظيم خالد، .. روح شعب صمم على العودة مهما صادف من عقبات وعراقيل في سبيلها، فيقول الشاعر هارون هاشم رشيد مفتخرا بخوة صلاح الدين الأيوبي مذكرا كفاحه لتحرير فلسطين و نافخا روح النضال و محرضا على المحاولة المكثفة لاستعادة فلسطين:

صلاح الدين في أعماق أعماقي يناديني
وكل عروبتي للثأر.... للتحرير تدعوني
وآلاف من الأسرى وآلاف المساجين
تنادي الأمة الكبرى..وتهتف بالملايين
إلى حرب تدك الظلم..تزهق روح صهيوني

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 47.

وترفع في سماء الكون أعلام فلسطين

وتهدر كلمتي تمضي..فلسطيني فلسطيني[1]

هاج إعصار الشوق والحب والحنان في نفس الشاعر لداره الصغيرة في حارة الزينونة بغزة، وترنحت أعطاف الشاعر لها، ويبدي صلته القوية بها التي هي بهجة العيون له عندما تراها العيون، فتبتهج فرحا وسرورا، وتكاد تطير فرحا، وعند ما تشاهد ما فوق غصون الليمون واللوز والبرتقال فتهتز طربا، ويخاطبها الشاعر بمهبط الإلهام لأنها هي مبعث الأنبياء والرسل، والتي هي محط الرسالات والنبوءات، و يعبر عن قلقه الشديد وأسفه البالغ لأنها كانت محتلة وتعرضت للهجمات والاعتداءات، والحصار الخانق الطويل، وذلك بعدم الاستسلام ورفض الاستكانة، وعدم قبول الذل والهوان بيد الاحتلال، فلا يطيب للشاعر طعام ولا شراب لبعده عن الوطن والأرض، التي فيها ولد ونشأ وترعرع، فلا يطبق جفونه إلا داره تتراءى أمام عيونه وتثمل أمامه فيقول الشاعر:

يا دارنا في حارة الزيتون يا دارنا..يا بهجة العيــون

يا ملتقى الكنار بالحسون فوق غصون اللــوز والليمون

يا مهبط الإلهـام والفنـون كيـف تراك؟ كيـف خبــرني

يا قطعة مني..ومن سنيني يا دارنا مـا انطبقت جفوني

يا دارنا هيجت بي شجوني إلا وكنت.. أنت في عيوني[2]

الفكرة الأساسية التي سادت وعمت في ديوان الشاعرهارون هاشم رشيد هي حق العودة والرجوع إلى الوطن، يرددها الشاعر في الحل والترحال ويصدع بها ويؤكد عليها، ويؤمن الشاعر أيضا بانتهاء القتام والظلام عن الأرض المقدسة التي احتلها اليهود الغاشم، و بأن الغطاء سينكشف وتتقشع السحاب المظلمة عن سماء فلسطين، ولن يبقي يهود في أرض فلسطين لأنهم دنسوا قداسة الأرض وداسوا كرامة الأرض والإنسان حتى ستنهار السدود والحدود و تهوي دولة اليهود، ويعود الشعب الفلسطيني إلى أرضهم أحرارا معزين وفرحين في الوقت القريب وهم يهتفون بأنشودة الأمل والنصر والانتصار، و ذلك يكون بالنار والثأر والحديد فيقول الشاعر:

وغدا.. سينزاح القتام عن أرضنا..أرض السلام

غدا..غداة الإلتحام عبرالحدود.. غدا نعود

وهناك لن يبقى يهود .. في أرضنا.. أرض الجدود

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 517.

[2] المرجع السابق، ص 261 .

فغدا ستنهار السدود ونعود.. أحرارا..نعود ..[1]

تفجر الغضب الشديد والتهبت النار وثارت الحمية و الغيرة في نفس الشاعر حتى قال إن الزحف إلى الأرض موعده الغد لأنه لا يستطيع أن ينتظر أكثر من ذلك ولأن المشردين الذين يعيشون في الخيام البالية ويقضون حياة الغربة واللجوء عيل صبرهم للانتظار، وهتفوا بنداء العودة، ونظرا إلى غاياتهم المنشودة أنهم سيكونون ثأرا لاهبا يلتهب ويتوقد ويحترق ضد الاحتلال، وسيكونون بركانا ينفجر و يمور و يزبد و يهز السدود والقيود، وسيتغيرون إلى حرب زبون لا تفتر لها حماسة ولا تكل لها يد ولا يتعب لها جسم بل يجمعون الشمل الكبير ويحشدون ويظلون حول بلادهم متربصين بها حتى إذا ما لمحت إشارة وحان ذلك الموعد، فأنهم يهدرون بالجهاد سيطهرون الأرض المقدسة ويصعدون فوق الذروة، ووقتئذ إنهم سينشدون باسم العلا والمجد والفخر والشرف ويغردون ويردده الشعب الكبير فرحين مسرورين هاشين باشين على العودة فيقول الشاعر:

سنكون ثأرا لاهبا يتوقد سنكون بركانا يمور و يزبد
سنكون حربا لا تكل لها يد وسنجمع الشمل الكبيرونحشد
ونظل حول بلادنا نترصد حتى إذا ما لاح ذاك الفرقد
كالسيل نهدر بالجهاد ونرعد سنطهر الأرض الحرام ونصعد
من فوق ذروتنا هناك سنشيد باسم العلا والمجد سوف تغرد [2]

تنوح المآذن وتئن المنارات في فلسطين، تبكى الأماكن المقدسة، تصيح الجبال والسهول، تهتف التلال والصحاري و تنادي بالعرب و تقول أين جنود الله؟ و أين جنود صلاح الدين؟ الذين بذلوا من كل غال ورخيص في تحرير المسجد الأقصى و أرض فلسطين من قبضة الصليبيين، وقاموا بدور قيادي في الحفاظ على قدسية هذه الأرض و كرامتها و الدفاع عن سلامة تربتها، و تصيح هذه الأرض أين البيعة للموت؟ كما حدث في بيعة الرضوان وأين المشتاقون للقاء الله ويوم الدين؟ وتردد هذه النداءات لكي ترسخت خطورة مأساتها في أذهان الناس لكي ينهضوا ويهبوا مسرعين إلى هذه الصرخات وتعود الأرض لشعبها وأبناءها، فيقول الشاعر هارون هاشم رشيد مناديا العرب والعجم إلى هذه المأساة الكبرى وداعيا إياهم إلى تحرير فلسطين من براثن الاحتلال اليهودي:

وتنوح مآذننا في القدس وفي كل فلسطين ...

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص22.
[2] نفس المصدر، ص 158.

تنوح ... وتبكي وأين العرب وأين الدين
أين جنود الله أين جنود صلاح الدين
أين البيعة للموت وأين .. وأين المشتاقون
للقاء الله ليوم الله ليوم الدين[1]

حاول الشاعر كل المحاولة على أن يلفت أنظار الناس إلى هذه القضية الحساسة ويخاطب الناس ويقول لهم بكل صراحة هل تسمعون؟ لأن الآذان أصبحت صماء والألسنة بكماء والعيون جافة والقلوب متحجرة، فبدأ يصيح ويصرخ لكي يهز مشاعر الناس ويحرك عواطفهم، وأنه ما كفر بهم و لكنه كفر بسكوتهم، ونكر بصمتهم لأن الصمت الكثيف ران على نفوسهم، ولاذوا بالسكوت كأن على رؤوسهم الطير، ولذلك الشاعر ينادي، ولكن ليس هناك داع ولا مجيب، لأن النار تأكله والشجون تؤلمه و تثخنه الجراح و الآلام التي حلت به وبشعبه بسبب الاحتلال، فثار الغضب في نفسه وهاج التمرد و الثورة في أحشاءه وتململ على وطنه السليب وحمل الرشاش وجاء إلى أرضه ويصيح بصوت عال ويقول إني أتيت إني أتيت، و يجوب هذا الصوت الديار والبلاد ويقطع من المحيط إلى الخليج، ولكن هناك فقط كان الصمت الكثيف والسكون المطبق، فلا شعاع و لا أمل، فيقول الشاعر هارون هاشم رشيد مشيرا إلى إيلامه الشديد وعذابه الأليم الذي أرق نومه وسلب راحة البال له:

هل، تسمعون أنا هنا للموطن السليب عدت
أنا ما كفرت بكم ولكني بصمتكم كفرت
ناديتكم، والنار تأكلني فما صوتا سمعت
فحملت رشاشي وجئت هنا إلى أرضي أتيت[2]

احتلت مدينة القدس مكانا في قلوب المسلمين، ونالت عظمة واحتراما بين الأمة الإسلامية لأنها مهبط الرسالات والنبوؤات ومحط الأنبياء والرسل، ولكن بسوء الحظ هذه المدينة سجنت وانتهكت حرمتها واغتصبت عرضها وطمست آي الرحمن فوق جبينها حتى تئن القدس تحت وطأة الاحتلال الذي يدنسها ويلطخ جبهتها المجد، وينفض الطهر عن عينيها فما زالت القدس في الأسر المذل وتضج في القيد و تنادي لوتهز مشاعر الأمة الإسلامية، وتحرك عواطف أبناءها، لعل هذا الصوت يكسر صخرة اللحد، وتنادي القدس الموتى والأحياء والأناجيل والقرآن، وتنادي الشيوخ والشبان بإسم الرحمن، ومن الأعماق الفرسان والشجعان و الكتائب والسرايا لأجل القدس

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 689.
[2] نفس المصدر، ص 714 .

لأن طهر القدس قد هان ويد الإرهاب والشرك تنهبها، فتروي القدس حكايات ذلها لأجل ترابها المنهوب، وينفث حزنها، وتبكي على آلامها و أشواكها التي أحاطت بها، وتنادي أمتها لتسقط صرح الظلم و الجور و الإفك و العدوان، فيقول الشاعر في "قصيدة للقدس" مشيرا إلى الاعتداء الإسرائيلي وأنات القدس باكيا على السبات العميق للأمة الإسلامية تجاه القدس وفلسطين:

مدينتي التي سجنت لحرمتها التي انتهكت
مدينتي التي اغتصبت آي الله قد طمست
للقدس وهي تئن تحت سنابك الحقد
خطى الغازين تصعفها تلطخ جبهة المجد
في الأسر المذل تضج في القيد
لعل الصوت يكسر صخرة اللحد[1]

فكر العودة ترسخ و وقر في ذهن الشاعر و لم ينفصل عنه بل ظل يرافقه في جميع الأوقات حتى يؤكد عليها ويرددها، وينفح روحها في شعبه، ويشعل مصباحه في الجيل الجديد، فيقول الشاعر بكل عزم إننا نعود إلى فلسطين من الخيام و الكهوف، ونحن نزحف و نشق الليالي السوداء، ونشق أستار الظلام و القتام في طريق عودتنا إلى الأرض، ونحن نمشي إليها على صخر الأسى والحزن والألم، وعلى الرغم من قسوة الزمن والليالي العابثات بنا، ونحن نأتي إلى فلسطين على الرغم من السدود والحدود و العراقيل في طريق العودة، ولكن نحن لا نبالي بها بل نسير بأنشودة الأمل و الفرح والسرور هاتفين أتيناك يا فلسطين لنلقاك أتينا، فيقول الشاعر وهو يظهر هذا العزم القوي في قصيدة " أوبريت العائدين":

نحن عدنا يا فلسطين رجعنا ومن الخيمة والكهف زحفنا
وعلى صخرالأسى المضني مشينا وأتيناك لنلقاك أتينا [2]

تخطر ذكريات الوطن ببال الشاعر وتحوم المناظر الطبيعية في تلك الأرض حول رأسه، و تمثل السهول و الجبال و الهضاب و الذرى أمام عينيه مع أنه كان بعيدا عنها فهو لا يرى سواها و لا يرى في الوجود منظرا إلا بلاده ولا غير بلاده لأنه يحبها سماء وثرى، لا يتنور شيئ إلا بها، وحتى لم تكن حيفا ويافا والسهول والقرى مشرقة إلا بها، فلولا هواها ما يعتلي الشاعر في الحياة منبرا ولا منصة ولا مكانا عاليا من المناصب، و لو لا حبها فما وقف صامدا ثابتا وما اندفع ثائرا، ولا يكون متمردا ولا غاضبا ولا يسبح العقل إلا بها ويكبرها القلب، ولولا هواها فإنه

[1] ديوان هارون هاشم رشيد، ص 445-442.
[2] المرجع السابق، ص 179 .

يسير في العالم كافرا وجحودا، وكم من قائل قال له هاجر ولكنه اعتزم بأنه لن يهاجر ولن يترك الأرض ولن يكبر بدونها، ولن يرض بدلا عنها ولا يسمو ولايرتفع إلا بها، ولذلك يصرخ العائدون بها ليهزوا المنبر والمنصة ومشاعر بني آدم، فيقول الشاعر وهو يبدي صلته المتينة ببلاده وعلاقته الواسعة بوطنه وأرضه:

حبيبتي لا تسألي فإن عيني لا ترى
سوى السهول والجبال والهضاب والذرى
ولا أرى غير بلادي في الوجود منظرا
أحبها يا منية النفس سماء و ثرى
بها أشيم كل شيء مشرقا منورا
يافا بعيني و حيفا و السهول و القرى
لولا هواها ما اعتليت في الحياة منبرا
و ما وقفت صامدا و ما اندفعت ثائرا[1]

يبدي الشاعر أحزان لاجئة في قصيدة له التي قد ضاقت بالعالم النتن وبالناس والأحزان والآلام وحديث الناس عنها وعن وطنها، حتى خافت العيون التي تظل ترمقها، والهمس والتفريع التي ترن في أذنها، والنذل الذي يتابعها، والعيون التي ترهبها، والنار في بدنها وتأكلها، وتسكب تلك اللاجئة الدموع على وطنها السليب، وتتحسر على أرضها المسلوبة التي ذهبت في يد اليهود، وبالرغم من ذلك تعتزم بالرجوع والعودة، وتؤمن بأن قسوة الزمن ستنتهي والليالي السوداء الحالكة ستنحسر، و ينبثق فجر جديد بعد هذه الظلام والقتام فيقول الشاعر مشيرا إلى أحزانها مع العزم والإيمان بالعودة:

قد كان لي وطني قد كان لي.. و مضى مع الزمن
وغدا يعود ..... يعود .. لي وطني

1 ديوان هارون هاشم رشيد، 417-416.

خاتمة البحث

الأدب العربي الفلسطيني هو ثروة فنية دقيقة بارزة، وتراث فكري غالي، وحلقة علمية وثيقة من سلسلة الأدب العربي في الأقطار العربية، فالشعر الفلسطيني بدء في الربع الثاني من القرن العشرين وتطور وازدهر، وبلغ قمة الجودة والرصانة وارتقى من حيث الفكر والفن واللفظ والمعنى في العقود الأخيرة من هذا القرن.

أما الموضوعات والأغراض التي عالجها واستلهمها الشعراء والأدباء في فلسطين من فواجع بلادهم وأحداث أوطانهم مما أجبرت أهلها على تحمل الانتداب وجوره وعدوانه وبطشه، ومن كيد الصهيونية ودهائها ومكرها، ومن البطولات التي خلدها أبناء فلسطين في نضالهم المرير وكفاحهم الشديد، واستهانتهم بجميع أنواع من الضغط والعنف والعذاب والإرهاب، فالموضوعات التي تمخضت من هذا العنف والإهاب وظهرت على المشهد الأدبي الفلسطيني في فترة الانتداب البريطاني هي الانتداب وأساليب تنكيله وتعذيبه وبطشه، والهجرة اليهودية، ووعد بلفور، ومناضلة الاستعمار ومكافحة الاحتلال بالقلم واللسان والتمرد والثورات العارمة والكفاح المسلح وإذكاء الوعي القومي. واستنهض الشعراء والأدباء همم الأمة العربية كما أفعموا قلوبهم بالغيرة الإيمانية والحماسة الدينية ونبئوهم بما ينسج ضدهم اليهود من دسائس ومؤامرات ومكائد، وأصروا عليهم إلى احتياج الحق إلى القوة، وكما أثنوا لهم على تقديم التضحية والفداء في سبيل الوطن، وأحمدوا لهم على ما قدم الأبطال والشهداء والعباقرة، ودعووهم إلى توحيد الصفوف باعتباره الطريق الوحيد إلى النجاة والخلاص من الأعداء الألداء اليهود.

لم يقف الشعراء والأدباء بذكر الموضوعات السياسية والوطنية فحسب، بل ولجوا في الأبواب الشعرية المختلفة، وعبروا عما في نفوسهم من المشاعر الجميلة والأحاسيس الشديدة تجاه الوطن والقوم. وفي بعض الأحيان استجابوا نوازع قلوبهم، فغنوا وتغزلوا وعبروا عن أناشيد الحب والهوى، ورسموا بما أعجبت أعينهم من المناظر الطبيعية الخلابة، وصورا الصور الفاتنة رونقا وجمالا وبهاء. ثم تقدم الشعر الفلسطيني إلى أحسن مما كان عليه، وارتقى وازدهر في إبداعه وجودته.

شردت الكارثة مئات الألوف من الشعب الفلسطيني عن أوطانهم وديارهم، وجعلتهم غرباء ولاجئين يجوبون مختلف الديار والأقطار بحثا عن الطعام واللباس والملجأ، وأجبرت المأساة العديد

من الشعراء والأدباء على التشريد عن بلادهم ومدنهم وقراهم وعن مراتع طفولتهم ومهود صباهم وأيامهم الحلوة الباسمة، فذاقوا كؤوس الغربة واللجوء، وتجرعوا غصص الحسرة والعذاب والحزن والألم، وتذوقوا مرارة الحرمان والفقر والبؤس والضياع، فأصبحت هذه الكارثة الأليمة المفجعة مصدرا للإلهامات الشعرية وينبوعا للوحي في الشعر الحديث، وهذه المشاعر والعواطف تنعكس في شعر هارون هاشم رشيد بكل معنى الكلمة.

فمن دراسة قصائد الشاعر الوطني قد ثبتت فرضيتنا حقا، وكان السؤال في بداية الأمر، هل كانت هذه الاتجاهات والقضايا تتجلى في شعر هارون هاشم رشيد، فالجواب عن هذا السؤال والفرضية أن الإنتاج الأدبي والدواوين الشعرية مفعمة بصرخات الوطن وصيحات على الوطن السليب ونداءات إلى الأرض المفقودة مع ذكر القضايا الوطنية والاجتماعية فيها.

فالشاعر هارون هاشم رشيد من الشعراء القلائل الذين أوجدتهم النكبة الفلسطينية من الذين قرضوا أغلب قصائدهم على فواجعها وأحداثها، وله في الخيمة السوداء شعر رصين وفي وصف حياة اللاجئين شعر أنيق، وما يضطرم بين جوانح العامة قصيدة رائعة بديعة. وهب الشاعر كل طاقاته الشعرية وإنتاجاته الأدبية لصلاح الوطن والأرض وأهله، وكرس الجهود الجبارة للدفاع عن فلسطين بكل ما أوتي له من عزم وحزم وقوة، وكافح في سبيل قضية أمته الوطنية، ولا يزال يتعهد بالحفاظ على أفكاره الوطنية ومنطلقاته الفكرية، ويعبر عن موقفه الصارم تجاه كل ما يجري على الساحة الفلسطينية والتشبث بنهج المقاومة والمكافحة ضد الاحتلال الغاشم استخداما بجميع الوسائل والأدوات، ولذلك تتمحور موضوعات الدواوين له ومقالاته الأدبية حول الأرض والوطن وأهله، فكانت فلسطين هي الاسم الحقيقي والعنوان الأصلي لدواوينه وقصائده، وهي البداية والنهاية في حواراته، ونقطة الانطلاق ومسك الختام في حفلاته وندواته وجلساته.

هز الشاعر مشاعر الناس من الأعماق لما في شعره من جمال وعمق وقوة سحر ومع العاطفة الصادقة، والجوهر الخطابي والشعري، والصورة الفنية الرائعة، والموسيقى الإيقاعية وهذه الميزات البارزة والخصائص الكبرى نجد في معظم دواوينه وقصائده. صاغ شعره الملحمي متحمسا بالمقاومة والمكافحة ضد اليهود الظالمين وصبغه بلون الثورة والتمرد، وساق قافلة الثورة في صحراء الضياع والتشرد على الرغم من العواصف الهوجاء والسحاب المظلمة والغيوم السوداء والليالي الحالكة. وأيقظ في الشعب الفلسطيني الأحاسيس النبيلة والمشاعر الطيبة نحو الأرض والوطن، فأضاءت كلماته اللامعة أذهان الفلسطينيين الناشئين في سرى الليل البهيم، وأناشيده وقصائده تدفع الناس إلى الحرب والثورة والكفاح المسلح، وتثير نحو العزة والكرامة، فتمتاز دواوينه الشعرية بما تحتوي من ملامح وميزات وخصائص مثلا من الأسلوب البلاغي الطبيعي، والجمال

الفني الخالص الرقيق، والعواطف الجياشة المشبوبة، والخيال الرفيع العالي، والذوق الفطري السليم، والشاعرية المطبوعة الموهوبة، وفصاحة الأسلوب الشعري، وعذوبة الكلام الأدبي، والمتعة الأدبية وعماد السحر و اللغة المدهشة وخاصية الغنائية والبنية الدرامية والمنهجية السردية والطبيعية الرومانسية والصورة الفنية والإيقاع الموسيقى. فتناول الشاعر بنسج من آلام البائسين وهموم الحانقين، واهتم بأنات المساكين واليتامى وعبرات الثكالى. وسجل تحولات الكارثة الفلسطينية في أشعاره ومقالاته عبر التاريخ لكي تجد الأجيال العربية النوارس البيضاء مما يحفزهم على العودة إلى الوطن السليب، فتغنى بشعره الأجيال العربية من الخليج إلى المحيط لما فيه من ملامح الرومانسية الوطنية والقومية وما تحمله من عذابات القهر والتشرد واليتم مع ذكر الحب والود والإناث والغزل.

عالج الشاعر القضية الفلسطينية في دواوينه بكل أبعادها السياسية والدينية والوطنية والإنسانية واعتنى بمعاناة شعبه من لجوء ونفي وجلاء وغربة وتشريد وتهجير وقتل وإعدام، ويكرر مثل هذه المفردات في أشعاره كثيرا: النار والليل والسواد والسقم والآلام والشجن والأحزان والمحن والبؤس والفقر والشكوى والدمع مما تنم عن عمق حزنه عن حياة الغرباء واللاجئين فهذه الكلمات الشعرية توحي إلى ألمه الشديد وحزنه العميق ووده الخالص تجاه وطنه وأهله خلال تقديم شعره وأدبه. فالشاعر من الشعر الفلسطينيين الذين استخدموا مفردات العودة والرجوع، ومن الذين عالجوا قضية الوطن بمناهج مختلفة وبأساليب متعددة، وعبروا عن القضية الفلسطينية في أدبهم وشعرهم، فمنهم من يهتم بحياة اللجوء وأبعاده، ومنهم من يعتني بحياة المخيم وتفاصيله وآثاره، ومنهم من يركز عنايته البالغة على العودة من المخيم إلى الوطن الأصلي.

فغنى الشاعر للوطن السليب بكل نبضات قلبه وخفقات وجدانه وارتعاشات لروحه، غنى للجبال ووديانه، لزيتونه ورمانه، لبرتقاله وأعنابه، غنى لدروبه ومتعرجاته، لكل بقعة في أرضه، لكل ذرة رمل على ثراه، لكل قطرة ماء تجري بين جنباته، فنداء العودة للوطن السليب، ومناجاته بحدائقه وبساتينه وجباله وتلاله وكرومه وأشجاره وذكر أيام الطفولة الحلوة بين ربوع أرض فلسطين، هذه هي السمات البارزة للشاعر التي أبدعت فيه شاعريته أروع، وأجذب ما غنى، وأجمل وأحسن ما نظم.

[تمت بعون الله وبالله التوفيق]

قائمة المراجع والمصادر

1- عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العاشر، 1990م.

2- غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال(1967 -1948) بيروت، الطبعة الأولى، 1968م.

2- هارون هاشم رشيد، طيور الجنة، مصر، دارالشروق، الطبعة الأولى، 1998م.

3- هارون هاشم رشيد، وردة على جبين القدس، مصر، دارالشروق، 1998.

4- سعدي أبوشاور: تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الطبعة الأولى،2003م.

5- كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصرفي فلسطين من سنة 1960-1860 القاهرة، دارالمعارف.

6- هارون هاشم رشيد: إبحار بلا شطآن فصول من سيرته الذاتية، عمان(الأردن) دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004 م.

8- عبدالله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، دمشق دارالقلم، 1964م.

9- د. محمد حسن عبد الله: إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره، مؤسسة جائزة عبدالله سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002م.

10 – سميح القاسم: ديوان سميح القاسم، بيروت، دارالعودة،1987م.

11- غسان كنفاني:عالم ليس لنا، بيروت (لبنان)، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الرابعة، 1987م.

12- مي زيادة: ظلمات وأشعة، مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر 2011.

13- توفيق ذياد: ديوان توفيق ذياد، لم يوجد ذكر الناشر والطباعة.

14- تيسيرجبارة: تاريخ فلسطين، بيروت، دارالشروق، الطبعة الأولى 1998.

15- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دلهي، فيصل ديوبند.

16- هارون هاشم رشيد: ديوان هاشم رشيد، بيروت دار العودة، 1966 .

17- هارون هاشم رشيد، حتى يعود شعبنا، بيروت دار العودة، 1966.

18-هارون هاشم رشيد، فدائيون، بيروت دار العودة، 1969.

19-هارون هاشم رشيد، مزامير الأرض والدم، بيروت دار العودة، 1970.

20- هارون هاشم رشيد، عودة الغرباء، بيروت دار العودة، 1956.
21- غزة في خط النار، بيروت دار العودة، 1957.
22-هارون هاشم رشيد، مع الغرباء، بيروت دار العودة، 1954.
23-هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، بيروت دار العودة،1959.
24- سناء بياري: الأبعاد الموضوعية والفنية في شعرهارون هاشم رشيد، جامعة بيرزيت، 2006.
25- نجية فايز الحمود: صورة اللاجئ الفلسطيني في شعرهارون هاشم رشيد ديوان "مع الغرباء" نموذجا، فلسطين، جامعة القدس المفتوحة.
26- غسان كنفاني: أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، قبرص(بيروت) دار منشورات الرمال، الطبعة الأولى 2013.
27- عايدة النجار: صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2005.

المراجع الأجنبية:

- **Gregory Harms with Todda M. Ferry,The Palestine Israel Conflict A Basic Introduction,Pluto Press London.ANN ARBOR,MI ,1995.**
- **T.G Fraser, The Arab-Israel, Conflict, Machmillan, London,1995.**
- **Neil Caplan, The Israel-Palestine Conflict Contested Histories, Willy, Blackwell, 2009**

المواقع العربية

- شيماء حسن: شاعر الحلم الفلسطيني، منبر الأقصىminbaralaqsa.com
- الأستاذ هيثم أبو الغزلان: هارون هاشم رشيد شاعر العودة المتمسك بفلسطين، صوت البارد الحر. www.albaredvoice.net
- محمد بركة: شاعر العودة هارون هاشم رشيد، الإسلام اليوم. www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-53-13102.htm
- محمد منصور: حوارمع الشاعرهارون هاشم رشيد، مؤسسة فلسطين الثقافية.
- رانية عبد الرحيم المدهون: حوار مع هارون هاشم رشيد، شبكة الأخبار العربية. www.annt.tv
- نعمان فيصل: هارون هاشم رشيد من أبرز الشعراء المعاصرين، دنيا الوطن. https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/343456.html
- محمود مفلح: الشاعر هارون هاشم رشيد في قصائد الفلسطينية، واحة الأدب والفن. مؤسسة القدس للثقافة والتراث *alqudslana.com/index.php?action=article&id=*